فِقهُ العَولمة

دراسة إسلامية معاصرة

سلطان المؤلفين آية الله العظمى
الإمام المظلوم المجدد الشيرازي الثاني
أعلى الله درجاته




فقه العولمة
دراسة إسلامية معاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

الطبعة الثانية
1423 هـ - 2002م



هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

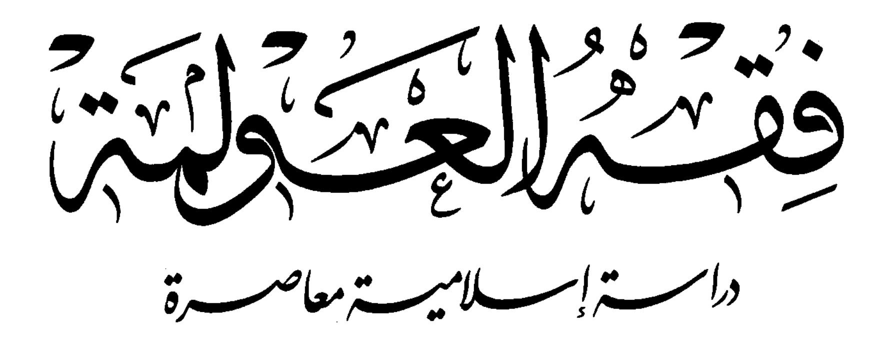
مكتب بيروت الرئيسي: 72 39 360 (961)
فاكس: 15 30 775
ص.ب: 921 صيدا - لبنان
البريد الإلكتروني: khdam_almahdi@yahoo.com

مكتب الكويت: 33 30 256 - 42 04 256 (965)
فاكس: 82 54 257
ص.ب: 11851 الدسمة 35159 الكويت

تصميم الغلاف: مارتن ستيوارت
(المنبر جرافيك - بيروت)

الإعداد المطبعي:
مؤسسة المجتبى عليه السلام
للتحقيق والنشر
ص.ب: 5951 / 13
بيروت - لبنان

توزيـع:
مركز نور محمد
صلى الله عليه وآله وسلم
بيروت - حارة حريك - بئر العبد
خلف البنك الفرنسي
هاتف: 66 39 360

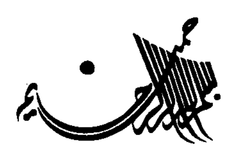


دراسة إسلامية معاصرة

سلطان المؤلفين آية الله العظمى
الإمام المظلوم المجدد الشيرازي الثاني
أعلى الله درجاته


بسم الله الرحمن الرحيم
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
صدق الله العلي العظيم

كلمة الناشر



لعل هذا السفر العظيم يعد الدراسة الأولى من نوعها التي تنطلق من مباني فقهية إسلامية لمعالجة قضية عصرية شائكة ذات تفريعات متعددة، ألا وهي قضية (العولمة) التي لا تزال مورد نقاش وبحث المفكرين والأكاديميين وكل المكترثين بالمحيط الثقافي.
ولعل أكثر ما يضيف صعوبة إلى نمط معالجة هذه القضية أن معالجيها مازالوا متباينين في تعاريفهم لها، ولم يتفقوا بعد على توصيف محدد بخصوصها، حتى أضحت مفردة (العولمة) محل اختلاف واسع في تحديد ماهيتها ومراميها، واستتبع ذلك بطبيعة الحال حصول حالة من الشد والجذب بين المتناولين لهذه المسألة، فرفضها بعضهم رفضا قاطعا باعتبار أنها تهدف إلى إذابة كل الخصوصيات العقائدية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وصهرها في قالب واحد غربي المفاهيم والأفكار، في حين أيدها بعض آخر واعتبرها صياغة لعالم موحد متعادل ذاتيا في ثقافته وعقيدته واقتصاده بحيثية تسهم في القضاء على مواطن الافتراق البشري ومعالجتها لتكوين المجتمع العالمي المنسجم المتوائم

مع نفسه .

وبين هذين الفريقين ، بـرز فريـق حصـر مناقشـته لـهذه النظريـة بالرؤيـة الاقتصاديـة والتجارية البحتة ، وبدوره انقسم إلى قسمين ؛ أحدهما معارض باعتبـار أن النظريـة إنمـا جاءت لخدمة الرأسمالية الغربية وإتمـام سـيطرتها علـى مقـدرات العـالم ، والآخـر مؤيـد بدعوى أنها تدفع باتجاه تطوير الهيكلة الاقتصادية العالمية والارتفاع بـالواقع التجـاري في العالم مع الحرص على قيم السوق الحر والمفتوح .

وضاعت في خضم هذه المناقشات والتباينات وجهة النظر الإسلامية المركزة المعتمدة على أسس بحثية سليمة غير منقادة إلى العاطفية أو الفهم غـير الدقيـق . وأحـدث ذلـك فراغا في معالجة قضية العولمة من الجانب الإسـلامي ، مـا أدى إلـى أن يكـون موقفـه منـها غير واضح الملامح .

ولذا جاء هذا الكتاب القيم ليضع النقـاط علـى حـروف المسـألة ، وليؤسـس لموقـف إسلامي نابع من أسس شرعية مع حرصٍ على الإنصاف والاعتدال ، فيتنـاول أطروحـة العولمة بجانبيها الإيجابي والسلبي ، ويقدم تصوراته حـول الصـالح منـها والطـالح ، مـع الاهتمام بخلق البديل الناجع .

وما يزيد من أهمية هذا الكتاب أنه مصنَّف مـن قبـل العـالم الشـيعي العبقـري الـذي أدهش المجامع الأكاديمية بنظرياته ورؤاه وأفكـاره ومؤلفاتـه التـي تزيـد عـن ألـف ومئتـين وخمسين كتابا ، لما أحدثتـه تلـك الـرؤى والنظريـات مـن صـدى واسـع في العـالم جعـل امتداداتـها وتأثيراتـها تقـع حتـى علـى العلمـاء والبـاحثين الغربيـين الذيـن سـجّل أسـتاذ الاجتمـاع في جامعـة (سيسـكس) اللندنيـة الدكتـور إيـاد محمـود نقـاط تـأثرهم بـالفكر الشيرازي في كتابه القيّم (دراسات في فكر الإمام الشيرازي) .

وفي هذا الكتاب الذي يأتي جزءا من موسوعة الفقه الشيرازية الضخمة التـي تعـدّت مئة وخمسـين مجلـدا ؛ يؤكـد إمـام المظلومـين الشـيرازي (أعلـى الله درجاتـه) إيمانـه بـأن العولمة الصحيحة هي تلك التي تعيد الاعتبار للإنسـان والإنسـانية ، كمـا أمـر الإسـلام .

وهو إذ ذاك يجعل هذا الاعتبار محور مناقشته لنظرية العولمة المطروحة، فيقايسها بالعولمة الإسلامية، من حيث الضمانات الإنسانية فيها. فلئن كانت العولمة الغربية مستندة على قاعدة رأس المال في سعيها لتوحيد أجواء العالم، فإن لدى الإسلام ما هو أعظم من المال، ألا وهو: الإنسان.. بما هو إنسان. ولئن كانت العولمة الغربية مطروحة بشكل رئيسي على أساس الرضوخ للأمر الواقع المتمثل بهيمنة المصالح الأميركية على العالم، فإن العولمة الإسلامية تطرح نفسها بكل ثقة على أساس الإيمان بالقوة الكونية اللامتناهية المهيمنة على كل المخلوقات والموجودات.. قوة الله العظيم الجبار ذي الجلال والإكرام.

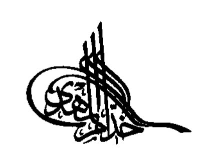
ومع السمة العصرية التي اتسم بها (فقه العولمة)؛ فإن الإمام الراحل (قدس سره) ينطلق في معالجته البحثية هذه من قواعد التشريع الإسلامي الأربعة: القرآن والسنة والإجماع والعقل، وذلك على سياق بحث استدلالي إسلامي حسب الأصول الفقهية، وهو بذلك يكون الفريد من نوعه في هذا المضمار، لجمعه بين الأصالة والتجديد.

ويصل السيد الإمام في خاتمة دراسته التي دوّنها قبل أشهر قلائل من استشهاده وارتحاله إلى الرفيق الأعلى إلى أن شريعة أهل البيت الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) قد سبقت الغرب في عولمته الحضارية والتقدمية التي ليس فيها شيء من السلبية أو الانتقاص لحقوق البشر وكرامتهم وتكافؤ فرصهم. فالعولمة الغربية ما هي إلا (أمركة) في واقع الحال ترمي إلى سيطرة الولايات المتحدة على مقدرات العالم واقتصادياته وشعوبه، من خلال تعميم نمط أميركي واحد من السير والسلوك وأساليب العيش والتدبير وطرائق التفكير والفهم على مختلف مجتمعات البشر، وهو ما ينال من الهوية العقائدية والفكرية والوطنية لكل منها. وبذلك لا تكون العولمة المطروحة سوى أسلوب من أساليب الاستعمار الجديد.

وفي هذا الشأن؛ وكمقارنة دراسية؛ ركز سماحته في سفره العظيم هذا على إيراد استناداته من القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الأئمة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، حاشدا كما هائلا من الشواهد التاريخية المؤكدة على ما انتهى إليه من نتيجة أن الإسلام تفوّق على غيره في طرحه لأسس عولمة صحيحة مشرقة تسهم في نماء الإنسان وتقدمه وتطوره، لا تكبيله وسجنه في إطار ما يمليه عليه أصحاب رؤوس الأموال من عادات ومفاهيم وسلوكيات.

وشعبة النشر في هيئة خدام المهدي (عليه الصلاة والسلام) لتتشرف بطبع هذا الكتاب وتولي نشره، خاصة وأن المكتبة الإسلامية العربية تفتقد نتاجا فكريا من هذا النوع الرصين والمحكم الذي تميز به التراث الأدبي والثقافي الحضاري لمرجع الأمة الراحل الإمام الشيرازي الكبير رضوان الله تعالى عليه.

ولا يسع الشعبة إلا أن تسجد لله تعالى شكرا على هذا التوفيق، إذ منّ بإخراج هذا السفر إلى الأضواء. ونسأل الله (جلت قدرته) أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول، وأن يعجل في فرج قائد البشرية نحو السلام والأمن والعدل والحرية، إمامنا المهدي الحجة بن الحسن أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء. إنه سميع مجيب.



كلمة
مركز الإمام الشيرازي رحمه الله
للبحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

العولمة، هي القضية التي كثر الحديث عنها ـ فجأة ـ ليس فقط على المستوى الأكاديمي، وإنما أيضاً على مستوى أجهزة الإعلام والتيارات السياسية والفكرية المختلفة، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن هنالك سيلاً أشبه بالطوفان في الأدبيات التي تتحدث عن الموضوع، ولم يعد الأمر يقتصر على مساهمات الاقتصاديين، وعلماء السياسة، أو المهتمين بالشؤون العالمية، بل تعدى الأمر ليشمل مساهمات الاجتماعيين والفلاسفة والإعلاميين والفنانين، وعلماء البيئة والطبيعة.

العولمة في مفهومها العام كما تدل الصياغة اللغوية ذات مضمون ديناميكي، يشير إلى عملية مستمرة في التحول والتغيير، فعندما نقول عولمة النظام الاقتصادي أو عولمة النظم السياسية، أو عولمة الثقافة، فإن ذلك يعني تحول كل منها من الإطار القومي ليندمج ويتكامل مع النظم الأخرى في إطار عالمي، لذلك ينظر إلى العَوْلَمَة في مفهومها العام على أنها اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول، لذلك يمكن تعريف العولمة بأنها: التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو الانتماء إلى وطن محدد أو إلى دولة معينة، في

حين أن هناك مفهوم للعولمة يركز على أنها: مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي. والعولمة بالمعنى الرائج: هي درجة من درجات تطور النظام الرأسمالي العالمي.

علماء التاريخ يقولون: إن العولمة الغربية ليست ظاهرة جديدة بل أن بداياتها الأولى بدأت مع بدء عملية الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقيا والأمريكيتين ثم اقترنت بالتطور التجاري الحديث لأوروبا، الأمر الذي أدى إلى نظام عالمي متشابك ومعقد ينادي ويروّج له العديد من المفكرين والعلماء والفلاسفة، فلا غرابة من مساهمات هؤلاء العلماء والمفكرين من اقتصاديين وسياسيين وفلاسفة، لأن قضية العولمة لها من الجوانب والزوايا الكثير مما يثير اهتمام كل هؤلاء خاصة وأن كل كاتب عادة ما يركز تحليله على جانب معين من العولمة، مثل الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي أو الإعلامي وغيره، لذا يوجد الآن ما يشبه التخصص في تناول العولمة، ومن النادر أن نجد كاتباً أو مرجعاً يتناولها من جوانبها الفقهية، ثم يتطرق إلى الجوانب الأخرى دون أن يكون على حساب المستوى العلمي، أو العمق بالتحليل، بيد أن كتاب (**فقه العولمة**) للإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (تغمده الله برحمته) يجيء استثناء في هذا المجال، لأن سماحته استطاع بجدارة وموضوعية أن يحيط بقضية العولمة من جوانبها المختلفة، من خلال رؤية عميقة ثاقبة وموسوعية واعية إسلامية متحضرة، ذات نزعة إنسانية.

ونحن اليوم في أمس الحاجة إليها عند تناول هذه القضية، بعد أن افسد الاقتصاديون والتكنولوجيون مفهوم العولمة، وبعد أن ضيقوا أفق الفهم الحقيقي لها، من خلال الطابع السطحي والدعائي الذي تمحورت بعض كتاباتهم حول هذا الموضوع.

ومهما يكن من أمر، فسوف نلاحظ في كتاب (فقه العولمة) القيّم، أن الإمام الشيرازي (قدس سره) قد أشار إلى مجموعة من الطروحات المهمة التي تستحق التأمل والتفكير لفهم قضية العولمة من منظور إسلامي حضاري متطور يختلف عن المنظور

الزائف الذي غالباً ما تطرحه علينا وسائل الإعلام المختلفة.

وأول هذه الطروحات هو أن العولمة الصحيحة هدف إنساني لا غنى عنه إلا بنشره وتعميمه، ولا طريق للإنسانية أمامها إلا بالدخول فيها والانتماء إليها، علماً بأنه لم يكن الدخول فيها قد بدأ في هذه الأيام، بل كان مع بداية إرسال الأنبياء أولي العزم عليهم السلام وأخذت تتبلور وتتكامل منذ بدأ عهد الرسالة الإسلامية، فإن الدين الإسلامي الحنيف أول من جاء بأسس العولمة الصحيحة، وبلّغ لها ودعا إليها، لأن الله سبحانه وتعالى وجّه الإنسان وفطّره على العولمة وأرسل إليه نظاماً عالمياً يحمل طابع الكونية في فكره وثقافته وفي اقتصاده وسياسته، ومن هنا تكوّن مفهوم العولمة الإسلامية.

فكان الدين الإسلامي الحنيف أول من طرح فكرتها الصحيحة، وأول من بنى من مفهومها نظاماً اقتصادياً سليماً، وأول من جاء بمستلزماتها ومقوّماتها، وأوّل من بنى أسسها وأحكم قواعدها وقد طبّق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومن بعده أهل البيت عليهم السلام العولمة الصحيحة التي جاء بها الإسلام، وحققوا نظام اقتصادها السليم، وسعوا لتبنيها وتحديد مسارها ومعالمها..

فجعلوا بأمر الله تعالى.. الدين واحداً، والمعبود واحداً، والكتاب واحداً، والاقتصاد واحداً، والتاريخ واحداً، والقبلة واحدة، والسنّة واحدة.. والشريعة واحدة، واللغة واحدة ومشتركة بين الجميع، مما يحقق الأسرة الواحدة والبيت الواحد.

فقد دأب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام على إطلاق أسس العولمة الصحيحة وتطبيقها بحكمة عالية كانت باستطاعتها تغطية كل العالم بظلال رحمتها وجناح عدلها، غير أن الحكام غير الشرعيين الذين علوا منبر الرسول صلى الله عليه وآله غيّروا وصادروا كل شيء جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، وبدلوا كل ما استطاعوا تبديله فحَرموا العالم من رحمة العولمة الصحيحة وعدلها بالشكل المطلوب.

نعم إن رسالة الإسلام رسالة عالمية، لأن الإسلام لم يكن يوماً للعرب وحدهم، ولم يكن القرآن لقريش وحدها، حين قال سبحانه وتعالى وهو يصف

رسوله الكريم ﷺ ورسالته المباركة: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[1].

وفي جانب آخر يصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم الذي هو دستور السماء لأهل الأرض **﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾**[2].

ومن هنا فإن الحديث عن العولمة الإسلامية حديث عميق في جوهره، فإن الإسلام جاء بها منذ أيامه الأولى، ومن حين بزوغ شمسه المنيرة على الكون، حيث تتجلى الرسالة العالمية وتتضح العولمة التي جاء بها الإسلام رحمة للناس، كل الناس، وليس لطبقة خاصة كأصحاب الاستثمارات والبنوك الذين لا يرون إلا مصالحهم ولا يعملون إلا من أجل منافعهم.

بالإضافة إلى أنه يستفاد من الأحاديث الكريمة المرويّة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام مقومات العولمة الإسلامية، فترى مخاطبتها لكل العالم، بلا حرج، وخاصة فيما يخص التماسك والترابط الاجتماعي، والتحابب والتوادد العاطفي، وتحويل المجتمع الإنساني الكبير إلى أسرة صغيرة واحدة يسودها الحب والحنان والرحمة والإحسان، فنرى الرسائل التي بعثها الرسول الأكرم ﷺ إلى رؤساء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، ليسلموا في دنياهم وآخرتهم، وينذرهم عاقبة التمرّد والاستبداد، ويحملهم أوزار رعاياهم وشعوبهم إن هم بقوا على كفرهم، إلى غيرها مما يفصح عن دعوتهم إلى الانتماء إلى الأسرة الواحدة والبيت الواحد والفكر الواحد ألا وهو التوحيد، وبيت العدل والمحبة، وكان رسول الله ﷺ يراعي بالإضافة إلى العبارات الأدبية والكلامية في رسائله الأبعاد التبليغية، والأهداف السياسية والدبلوماسية، وأدت بالنتيجة إلى انتصار الإسلام وانتشاره وبسط دولته العادلة ونفوذه الحكيم على مختلف بقاع الأرض، ومن هنا لابد من التأكيد على عالمية الدعوة الإسلامية من خلال تلخيص روح الرسالة الإسلامية في شعار التوحيد «لا إله إلا الله» وهذا هو سر علو الإسلام

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٤.

وعطائه العالمي، ولا ريب في أن أساس الأيديولوجية الإسلامية المتمركزة في ذلك الشعار الخالد يمتلك أروع وأقوى إمكانية للعالمية على المدى المتواصل، وكذلك فإن انتشار الإسلام وبسرعة فائقة ورغبة ملحّة من الشعوب في أكثر مناطق المعمورة هو مصداق بارز وواضح للعولمة الإسلامية التي تنسجم مع فطرة الإنسان، وبكل أبعادها الفكرية والثقافية والدينية والتعبدية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والتجارية وغير ذلك من الأبعاد الحيوية الأخرى، فهي نزعة إنسانية، وطريقة فطرية بشرية، دَعّم أساسها الرسول الأعظم ﷺ بأمر من الله تعالى مع تقويم منه للمنحدرات الاجتماعية والاعوجاجات الجاهلية.

وقد صرّح بذلك القرآن الكريم ودعا إليه في آيات متعددة كقوله تعالى: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾[3].

إن الله سبحانه وتعالى جعل أمه المسلمين أمة واحدة، وجعل لها حضارة عريقة، وأسلوباً جديداً في الأمور الحياتية ومنهجاً حديثاً في الشؤون الاقتصادية.

ميزات العولمة الإسلامية

وهنا لابد من توضيح أهم ميزات العولمة الإسلامية التي طرحها الإمام الشيرازي رحمه الله في هذا الكتاب القيّم وذلك في مختلف الأصعدة والعديد من المجالات:

١: الإطار النظري:

إن المفهوم الديني أو الوازع الإسلامي الإلهي، يهذب النفوس، ويطبع على القلوب محبة الآخرين، وإيصال النفع إليهم، ودفع الضرر والشر عنهم، لأن الإسلام

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٢.

دين سماوي جاء ليرسم سعادة الإنسان، وليس موضوعاً من الموضوعات البشرية.

٢: الإطار التطبيقي:

من المؤكد واليقين أن العولمة الإسلامية قادرة على رفاهية وإرغاد حياة البشر، وإسعاد بني الإنسان دنياً وآخرة، فالعولمة الإسلامية هي وحدها من بين الجميع، الجامعة للنمو والازدهار، والعدل والأخلاق للبشرية جمعاء، وتاريخ رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام خير شاهد على ذلك.

٣: الإطار الاقتصادي والمعنوي والأخلاقي:

إن عدم الاحتكار هو ميزة جوهرية للاقتصاد الإسلامي، وكذلك خضوع النظام الاقتصادي وتأطير العمل التجاري في الإسلام لأحكام الدين وقوانين الشرع الحنيف، وعليه فإن العولمة الاقتصادية الإسلامية حملت بين جوانحها كل مقوّمات الحضارة والسعادة والتقدم والرقي والازدهار والتطور، ونفي الفقر والحرمان، فهي تشتمل على الحكومة الشرعية والاقتصاد الأمين، والقوانين المالية العادلة، والوحدة العالمية بكل أبعادها الحضارية مضافاً إلى الآداب الإنسانية الراقية، والقواعد الأخلاقية التقدمية.

وعليه فلابد لنا نحن المسلمين من ترك السياسات الاقتصادية الضيقة، التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، والعمل على سياسة التكتل الاقتصادي الإسلامي الضخم، لمواجهة التكتلات الاقتصادية العملاقة، ولابد من اغتنام الفرصة وانتهازها للدخول في النظام العالمي الجديد: العولمة، وتحديها بشكل إيجابي وذلك بوضع أسس التعاون الاقتصادي الإسلامي وآراءه في نظام اقتصادي كامل وشامل.

وهنا ترى سماحة الإمام الشيرازي رحمه الله يؤكد على حتمية إرساء أسس لنظام اقتصادي عولمي إسلامي متطور غايته الرفاهية والازدهار للمسلمين وهدفه العدل والأخلاق، فيحددها (قدس سره) بالأسس التالية:

✿ طرح أصول الاقتصاد الإسلامي المستنبط من القرآن والسنة النبوية الشريفة، ودعوة كل اقتصاديي العالم إلى مدارسته ومذاكرته، وإيجاد أفضل الطرق إلى تطبيقه

وتنفيذه، وعليه فإن الاقتصاد الإسلامي قد أثبت جدارته في إنقاذ البشرية من الفقر، وإرغاد العيش للجميع، وهو اليوم قادر على تحقيق أمنيات الناس في الحياة لأنه قانون السماء الذي جاء به الوحي لإنقاذ أهل الأرض.

✿ لابد من وجود مركز إسلامي اقتصادي عالمي، يقوم بتقييم السبل التطبيقية واقتراح السياسات الاقتصادية الإسلامية، ويسعى هذا المركز على تحجيم وتحديد الاختلافات الموجودة، ويضم هذا المركز العديد من خبراء الاقتصاد الإسلاميين للتفكير في الأساليب والسياسات الاقتصادية الإسلامية في ظل المتغيرات الدولية والعالمية.

✿ العمل الجاد على تعديل السياسات المالية والنقدية والمصرفية التي تخالف القوانين والسياسات الإسلامية وجعلها تتوافق مع الاقتصاد الإسلامي القويم، وكذلك تحرير المبادلات التجارية من كل القيود والمضايقات، مثل انتقال عناصر الإنتاج والمنتجات والأشخاص، ورأس المال المؤطر بإطار الاقتصاد الإسلامي فيما بين البلدان الإسلامية، فلا جمارك ولا ضرائب، بالإضافة إلى حرية الملكية الشخصية وحرية جميع أنواع الكسب والتجارة في إطارها الإسلامي الصحيح.

✿ التأكيد على قيام سوق إسلامية مشتركة لرأس المال وحركته على مستوى البلدان ووضع إطار تطبيقي يتلاءم مع المتغيرات الحاصلة في الأسواق العالمية للاقتصاد، والارتقاء بالقدرات البشرية والإمكانات التقنية، وذلك على مستوى البلدان الإسلامية.

✿ العمل على استشراف آفاق المستقبل، ورسم صورة مستقبلية لموقع البلدان الإسلامية في الخريطة الاقتصادية الدولية، وتحديد مفهوم معين للأمن الاقتصادي الإسلامي، والعمل الجاد على الوصول إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي في البلدان الإسلامية، ووضع أسس لبناء القدرة التنافسية، علماً بأن التنافس التجاري والصناعي يعد كما هو معلوم من أهم عناصر التنمية الشاملة في البلدان الإسلامية، كما يلزم السعي للاستفادة من التجارب الاقتصادية العالمية في مجابهة العولمة، فإن العولمة الإسلامية هدفها ومحورها رفاهية وإسعاد حياة البشر.

العولمة الغربية

هنا يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي، ما هي العوامل التي أدت إلى إبراز العولمة الغربية في الوقت الحالي؟.

إن العولمة الغربية ظهرت بعد انهيار الشيوعية، وانفجار الاشتراكية في الداخل وتفكك اليمين التقليدي، فخرجت الليبرالية الجديدة باسم العولمة لتغزو الدول، وتدعو إلى حرية انتقال رأس المال، وإلغاء الحواجز الجمركية، وتطيح بالأنظمة لتعزيز حرية المبادلات التجارية، وذلك تحصيلا للربح الأكثر ولو كان على حساب الآخرين، مما أدى إلى تباعد بين النشاط المالي والنشاط الاقتصادي، فمن أصل ١٥٠٠ مليار دولار تدخل العمليات اليومية على الصعيد العالمي هنالك ١٪ فقط يوظف لاكتشاف ثروات جديدة، ويُدَوّر الباقي في إطار المضاربات، إذن هي مشروع أيديولوجي لليبرالية جديدة وثيقة الصلة بمنطق الرأسمالية المالية، لا تتطور ولا تجدد آلياتها أو تتقدم إلا بفعل التناقض الحاصل ما بينها وبين تقدمها وتطورها من جهة، وما بين التهميش الحاصل، سواء على مستوى الدولة الواحدة، أم على المستوى العالمي، ذلك التهميش الذي نجم عنه الاستقطاب الصارخ للثروات والدخول، إلى جانب تلازم هذه الظاهرة مع اتساع ظاهرة الفقر والبطالة سواء في المراكز الرأسمالية الأساسية، أم في الأطراف، وهي لا تتخذ شكل فضاء اقتصادي عالمي يقوم على الاعتماد المتبادل كما يُرَوّج لها، إنما تبرز هذه العولمة بوصفها صراعاً تجارياً ومالياً قاسياً، يزيد من حدته الاستقطاب الذي يؤدي بدوره تعميق الهوّة في مستوى التطور بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب إلى جانب المشكلات الاجتماعية في بلدان العالم أجمع.

إلاّ أن جوهر العولمة الغربية، لا يكمن في مظهرها، بقدر ما هو كامن في مضمونها، فإنها تمثل المشروع الغربي الحامل للمشروع الأيديولوجي للّيبرالية الجديدة التي ترتكز على قوانين حرية السوق والحرية المطلقة لانتقال البضائع والأموال والأشخاص والمعلومات والثقافة عبر الحدود، دون أية قيود لتحصيل الربح الأكثر، إلى جانب تقويم أسعار الصرف وإزالة القيود عن النظام المصرفي.

وللعولمة الغربية جانبها الثقافي، الذي يبدو أكثر قتامة من جانبها الاقتصادي والسياسي، وإن كان مكملاً لذلك الجانب، فالعولمة الثقافية تهدف إلى السيطرة الغربية على سائر ثقافات العالم، مستفيدة من وسائل الاتصال والتكنولوجيا المتقدمة التي تنشر بواسطة ما تملكه من إمبراطوريات إعلامية واسعة، ثقافة السوق والاستهلاك بواسطة الصوت والصورة على حساب القراءة والكتاب، فتسعى إلى تكريس جديد من المعايير التي ترفع من القيمة النفعية والفردانية والنزوع المادي والغرائزي المجرد من أي محتوى إنساني، وهنا نلاحظ أن العولمة الثقافية الغربية بوصفها أيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم، تمثل ثقافة الاختراق، بمعنى التطبيع مع الهيمنة وإشاعة الاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة الثقافية، هذه العولمة التي تهدف إفراغ الهوية الجماعية من محتواها وتدفع إلى التفتيت والتشتيت من جهة، إضافة لزعمها موت الأيديولوجيات كما تؤكد وتسوّغ هذا الشكل الجديد من السيطرة والهيمنة من جهة أخرى.

ومنذ عملية الترويج للعولمة، تثار مسألة هي على جانب من الأهمية، فمن المستفيد من سيادة العولمة على العالم؟.

إن العولمة بالإضافة إلى أنها تأتي رداً على أزمة الرأسمالية العالمية المعاصرة، وتكون غطاء للمشروعات الأمريكية في الهيمنة على العالم، لابد أن تحقق هذه العولمة منافع لجهات أخرى أيضاً، فإن التمعّن في هذه المسألة يجعلنا نصل إلى استنتاج بأن هناك مستفيدين آخرين، فالشركات متعددة الجنسيات والمافيات والحركات الصهيونية هي بلا شك من أهم المستفيدين من العولمة الغربية في تجلياتها المالية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

فالشركات متعددة الجنسيات تريد أن يكون العالم بأجمعه مسرحاً لنشاطها، وتريد أن تدخل وتخرج من وإلى مختلف دول العالم هيَ وبضائعها وأموالها، بلاحدود ولا قيود، وقد تبيّن من متابعة مفاوضات الأرغواي التي انتهت عام ١٩٩٤م، بتوقيع اتفاقية (الغات) الجديدة، وإقامة المنظمة العالمية للتجارة، الدور

الحاسم لمندوبي الشركات متعددة الجنسيات في إقرار هذه الاتفاقية، ولا شك أن المافيات يهمها أيضاً انفتاح السوق، وحرية حركة الأموال حتى إذا كان على حساب الآخرين، لذا فهي صاحبة مصلحة في سيادة قوانين العولمة الغربية، ولابد هنا من الإشارة إلى تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩م، الذي تناول تنامي دور الجريمة المنظمة في العولمة الغربية، فإنها تتيح فرصاً جديدة ومثيرة لمجرمي العالم من خلال حركة رأس المال وخفض الحواجز أمام التجارة الدولية، وانتقال السلع عبر الحدود، كما أن الاضطراب الناجم عن الانهيار الاقتصادي الذي تسببه العولمة يخلق أفواجاً من العاطلين والصالحين للاستغلال من جانب الشركات متعددة الجنسيات.

وتبدو قتامة المستقبل التي ستكون صوره من الماضي المتوحش للرأسمالية في فجر شبابها إذا ما سارت الأمور على منوالها الراهن.

حينها نرى سماحة الإمام الشيرازي (قدس سره) ينطلق من هذا التشخيص في الجوهر الفكري الذي يكوّن أساس فكره في مسائل العولمة حيث يشير إلى أن في ظل العولمة الغربية هناك فقط ٢٠٪ من السكان الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش في رغد وسلام، أما النسبة الباقية ٨٠٪ فتمثل في نظرتهم السكان الفائضين عن الحاجة، وإزاء هذا التدهور الحادث في أوضاع الطبقة الوسطى والعمال ومختلف الشرائح الاجتماعية محدودة الدخل، راح الإمام يؤكد بأن هذا النوع من العولمة ما هو إلا نتيجة حتمية خلقتها سياسات معينة بوعي وإرادة الحكومات والبرلمانات التي وقعت على القوانين التي طبقت السياسات الليبرالية الجديدة، وألغت الحدود والحواجز أمام حركات تنقل رؤوس الأموال، وسحبت المكاسب التي حققتها الطبقة الوسطى والعمال، وانتهاءً بالتوقيع على اتفاقية (الغات) التي ستتولى توقيع العقوبات على من لا يذعن لسياسة حرية التجارة، ففي كل هذه الأمور لم تكن هناك حتميات لا يمكن تجنبها بل إرادات سياسية، واعية بما تفعل وعبرت عن مصلحة الشركات دولية النشاط.

ومن الطروحات القيمة التي عرضها الإمام الشيرازي ﵀ في كتابه (فقه العولمة)

والتي تدلّ على عبقرية سماحته ودقة فهمه وتحليله للأوضاع التي سادت العالم هو أنه مع نمو العولمة يزداد تركيز الثروة، وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعاً رهيباً لا مثيل له؛ نلاحظ أن ٣٥٨ مليارديراً في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان الأرض، أي ما يزيد قليلاً على نصف سكان العالم، وأن هنالك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمي الإجمالي، وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية، ويمتلك سكانها ٨٥٪ من مجموع المدّخرات العالمية، هذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة، حيث تستأثر قلّة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطني والثروة القومية، في حين تعيش أغلبية السكان على الهامش.

وبعد أن يفصّل سماحته الكلام حول هذا النوع من العولمة، فقد حسم الجدل بين الباحثين والمفكرين بتحليله الدقيق لهذه الظاهرة حين يقول: إن نموذج الحضارة الذي ابتكره الغرب لم يعد صالحاً لبناء المستقبل، أي لبناء مجتمعات قادرة على النمو والانسجام مع الفطرة والبيئة وتحقيق توزيع عادل للثروة والدخل، ويعتقد (قدس سره) أن الدعاية المفرطة لهذا النموذج كانت جزءً من الحرب الباردة، ولهذا تسود الآن حسب رأي الإمام عملية نوع تحول تاريخي بأبعاد عالمية واضحة، ينعدم فيها التقدم والرخاء، ويسود التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي، والانحطاط الثقافي، في ضوء حضارة التنميط التي تسعى العولمة الغربية لفرضها.

ويرى سماحته قضية على جانب كبير من الأهمية، ولها علاقة وثيقة بالعولمة الغربية والتي تكشف حقائق يتغافل عن إثارتها الكثير من الباحثين الغربيين وأهل السياسة ألا وهي قضية النمو المطرد للبطالة، وما يرتبط بها من تقليص في قدرة المستهلكين واتساع دائرة المحرومين، فَتحْتَ تأثير الركض المحموم وراء الأرباح المرتفعة التي أصبحت تتحقق في الأسواق النقدية والمالية للبعض فقط، راحت القطاعات تتنافس وتتصارع من أجل خفض كلفة الإنتاج، وكان التنافس ضارياً والضغط شديداً على عنصر العمل للوصول إلى مسألة الأجور إلى أدنى مستوى ممكن.

ويحدد الإمام (قدس سره) بأن هذا الأمر لم يقتصر على الذين أُبعدوا عن

أعمالهم، بعد أن حلت الآلات الحديثة والمتطورة مكانهم في مواقع الإنتاج المادي، بل امتد الأمر ليشمل أيضاً مهن الطبقة الوسطى حيث تولت عمليات إعادة هندسة عنصر العمل، والاستخدام الموسع لأجهزة الكومبيوتر مهمة الاستغناء عن عشرات الآلاف من الوظائف والمهن التي كان يقوم بها هؤلاء، وكانت مذبحة العمالة قاسية جداً في البنوك وشركات التأمين وقطاع صناعة برامج الكومبيوتر وكذلك الصناعات الثقيلة كصناعة الصلب والسيارات وكذلك صناعة المواد الكيميائية والصيدلانية وكافة الأجهزة الإلكترونية وغيرها.

بالإضافة إلى هذه المسائل فقد تفرّد الإمام ببحث قضية العلاقة بين الديمقراطية والسوق أهمية خاصة، وهي العلاقة التي يعتقد مروّجو قيم العولمة الغربية أن طرفيها متلازمان لا يفترقان، حيث يرون أن الديمقراطية تتطلب السوق، كما أن السوق يتطلب الديمقراطية، لكن الإمام (قدس سره) يرى أن اقتصاد السوق والديمقراطية ليسا هما الركنين المتلازمين دوماً، واللذين يعملان بانسجام لزيادة الرفاه للجميع، وأن الأمر الأقرب للحقيقة والواقع في ظل نظام العولمة الغربية هو التعارض بين الديمقراطية لصالح البعض والسوق، ويستند في ذلك إلى خبرة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تجري الآن في مختلف بلاد العالم في ضوء السياسات الليبرالية الجديدة التي تستند عليها العولمة، فالديمقراطية التي يُجرى الدفاع عنها الآن هي تلك التي تدافع عن مصالح الأثرياء والمتفوقين اقتصادياً، وتضر بالعمال والطبقة الوسطى.

وهو ما نراه في الدعوة للتخفيض المستمر للأجور وزيادة ساعات العمل، وخفض المساعدات والمنح الحكومية، كما يشير الإمام (قدس سره) إلى أن الديمقراطية الحقة تمارس فقط حينما يكون الناس في مأمن ضد غوائل الفقر والمرض والبطالة، وأنه ما لم يتحقق الاستقرار والتقدم في حياة الناس، فسيبقى الناس مهددين بأن تحكمهم نظم تسلطية.

ومن هنا يعتقد الإمام رحمه الله أن ديمقراطية العولمة الموجودة حالياً التي تنحاز بشكل مطلق لبعض الأغنياء هي المسؤولة الآن عن كثير من مظاهر التوترات الاجتماعية

المتصاعدة في مختلف أصقاع المعمورة؛ صحيح أن تكامل الأسواق عالمياً، وحرية التجارة، وضمان تنقل السلع ورؤوس الأموال دون حواجز من شأنها أن تزيد من الدخول القومية للبلاد الصناعية المتقدمة، ألا أن التوزيع الملائم لمكاسب هذه الزيادة لايتم ما لم تحكمها القوانين الإسلامية العادلة، ولهذا يؤكد السيد الشيرازي أن عجلة العولمة الصحيحة لا يمكن أن تستمر في الاندفاع، دون ما يسمى بالتكافل الاجتماعي وبيت المال ومنح فرص العمل للجميع والحريات الاقتصادية الإسلامية، الذي ترعاه الدولة، لذلك يرى أن وجود نظام حكومي يرعى هذا التكافل وهذه الحقوق، هو الضمانة لاستمرار التأييد الواسع الذي لا يزال يمنحه المواطنون في البلدان الصناعية لنظام السوق.

ولذلك يلزم أن لا ننسى مختلف أشكال النضال التي تتم الآن، لتحقيق الديمقراطية المضادة لدكتاتورية الأسواق المعولمة، والمواجهة لبرامج الأحزاب الغربية الرامية لهدم دولة الرفاه والتكافل الاجتماعي، فهناك الملايين من الناس الذين يطالبون، بطريقة أو بأخرى، بوقف جنون السوق العالمية ومراعاة إنسانية الإنسان، وحماية البيئة والعدالة الاجتماعية.

وأياً كان الأمر، فإنه بالرغم من موجة النقد التي قادها السيد الإمام في هذا الكتاب لفوضى العولمة الغربية، وطغيانها المدمر للعدالة الاجتماعية، والاستقرار الاجتماعي وإساءتها للبيئة، فإنه يدعو ﵀ لإعادة طرح مشروع دولة الرفاه ولكن بصيغة إسلامية، وهذا يبدو واضحاً من المسائل والأفكار التي طرحها وهي الأفكار التي تعد إنها كفيلة بأن تمنع قيام مجتمع العشرين في المائة، وتحقق العدالة الاجتماعية والاستقرار وتحمي البيئة.

وبعد؛ فلابد أن نعي ونعرف نحن المسلمين مخاطر عولمة الغرب وإضرار سيطرة أوروبا وأمريكا على العولمة الجديدة، فإنها حسب رؤى الإمام لا تفكر إلا في نفسها ولاتبصّر الأمور إلا بمنظارها المادي البحت، وتخطط للقضاء على الإسلام والمسلمين لأنها تراهما يدعوان إلى عولمة صحيحة لا تقوم على الهيمنة والاستثمار، والاستبداد

والاستضعاف وإنما تبتني إلى جانب النمو والازدهار على المثل والقيم، وعلى العدل والقسط، وعلى الرحمة والرأفة، وعلى التعاون والتوادد، وعلى التبادل والتواصل.

وعليه فإن العولمة الصحيحة التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، ضرورة ملحة، وخاصة في مثل هذا العصر، لأن الإمام الشيرازي يحدد أن عملية تصدير الثقافة والمعلومات وتصدير الفن والعلوم والتقنية، وتصدير المواد الخام والمواد الأولية لاتختلف عن سائر العمليات التجارية الأخرى، فكل واحد منها له تقنياته وأساليبه، وما كان محرماً، فيمكن تنظيم قواعد وقوانين لبيان حرمتها حتى تتجنبها، أو تعديلها وفق ما هو جائز وحلال، لأن العولمة الغربية كما هو معلوم تشمل أهداف غير إنسانية وغير أخلاقية، وأن جلّ تفكيرها مضافاً إلى الربح المادي ولو على حساب الآخرين، في الغزو الفكري والثقافي، لأن العولمة الغربية رغم طابعها الكوني، وما توظفه من طاقات وتوسعها المستمر، ليست قدراً محتوماً تحدد مصير العالم الثالث أو مصير المسلمين، بل إن هذا المصير مرتبط إلى حد كبير بما سنعمل نحن المسلمين وكيف سنواجه التحديات، ولا يفيدنا تجاهل ما يجري حولنا أو الاكتفاء برفضه فقط، وهنا ينصحنا الإمام بالتمسك بالعولمة الإسلامية ومقوماتها ابتداءً من الإعلام وانتهاءً بالعمل الخارجي، فنحفظ على قيمنا ومبادئنا ويلزمنا هداية الآخرين حتى الغربيين لذلك.

وفي الختام لابد من استعراض التأكيدات على الحقائق التالية التي تحدد مكانة المسلمين من الظاهرة الجديدة المسماة بالعولمة:

الحقيقة الأولى:

إن النظام العالمي الجديد والعولمة الغربية هي صناعة أمريكية، وضعت استراتيجيتها منذ عقود خلت، ودخلت حيز التنفيذ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وترك الساحة مفتوحة للاعب الأمريكي، وهي بذلك لا تكون لصالح البشر، حيث لم يكن الإنسان بما هو إنسان، المحور فيها، غير أن العولمة الإسلامية هي التي تكون بصالحه تماماً وأنها تتميز بميزة تقديم حقوق الإنسان عليها، وجعلها المؤشر الرئيسي لتوجيه مسار

العولمة لأنها وحدها ـ حسب قول الإمام ـ تجمع النمو والازدهار، والعدل والأخلاق.

لذلك لا يمكن قبول فكرة هيمنة السوق بصورة مطلقة على عملية العولمة دون اعتبارات إنسانية وحقوق الإنسان وكرامته.

الحقيقة الثانية:

الرأي القائل بأن المجتمع الغني بالمعلومات والمدعوم بعتاده الآلي الحديث سوف يقضي بوحده على الأمراض الاجتماعية الراهنة والتخلف المخيف، هو رأي بعيد عن الواقع، فليس من الصحيح ما يتصوره بعض أبناء الأقليات الغنية بأنهم سوف يتغلبون بصورة سحرية عندما يوجهون نظم الكومبيوتر، على سنوات الحرمان المتراكمة عبر الأجيال، دون الالتفات إلى الواقع الذي أغلبه من الفقراء والمعدمين والمحرومين على مستوى العالم وبلدان العالم الثالث على وجه الخصوص، مضافاً إلى فكرة استخدام علاقات القوى السياسية لفتح الأسواق العالمية قسراً، وغزوها قهراً من دون مراعاة القوانين الإنسانية والإسلامية.

فالعولمة التي ينبغي طرحها على الساحة العالمية والتي تتضمن الإنقاذ الحقيقي للبشرية، في مختلف أبعادها حتى الإنساني والمعنوي منها، فإنها لا تتحقق إلا في ظل العولمة الإسلامية الحكيمة التي تلبي حاجيات الإنسان الفطرية والمادية والمعنوية، وتحترم حقوقه المشروعة وتنشر العدل والقسط في العالم.

الحقيقة الثالثة:

ليس من الصحيح تصديق كل ما يقال من أن النظام العالمي الجديد الذي خرجت من إطاره العولمة الغربية سيعمل على تحقيق العدالة والمساواة بين كل شعوب العالم، وأن هدفه الأول تحقيق ضمان حقوق الإنسان وصيانة كرامته وحل النزاعات الدولية، ولكن ما حدث ويحدث عكس ما يقال ويسمع، فالولايات المتحدة وهي الدولة التي تقود النظام العالمي الجديد وترعى العولمة، هي المسؤولة عن العديد من الانتهاكات لحقوق الإنسان في العالم.

وعليه؛ فإن العولمة الصحيحة التي أمر بها الإسلام، في مجال حقوق الإنسان تدعو للانفتاح على الآخرين وتأمر بالأخذ والعطاء معهم، فإنه كلما يتم التعاهد أو التوافق بين المجتمع الدولي على أهداف محددة، أو مفاهيم معينة، مقابل التزامات يقبلها الجميع، تأمر بالمشاركة وتعاون الدول فيما بينها لتطبيقه وتضمن المنع من الانتهاكات لحقوق الإنسان، وكذلك الالتزام بالمفاهيم التي أقرها المجتمع الدولي من خلال أكثر من مائة اتفاقية ومعاهدة وإعلان رسمي، وبيان دولي، وعدّ ما جاء فيها من حقوق الإنسان بأنه كلٌّ لا يتجزأ، فالإسلام قد بين حقوق الإنسان في بدو رسالته.

الحقيقة الرابعة:

إن التقنيات الحديثة قد أثارت حماساً شديداً، كما أثارت العديد من التنبؤات غير المدروسة بفوائد اجتماعية واسعة النطاق، إذ يقال: إن استخدام الآلات الإلكترونية الحديثة ستوفر في وقت واحد كم وكيف وفورية إعلامية ومعلوماتية ستعمل إلى جانب تقليص المسافات والمساحات الجغرافية على تضييق الفجوة بين الجنوب والشمال، وبين الفقر والغنى، غير أن ما يحدث في الواقع العملي عكس ما بشر به دعاة العولمة، فالفجوة تزداد اتساعاً بين من يملك وبين من لا يملك، بين الأغنياء وبين الفقراء، بين القادرين على حيازة تكنولوجيا المعلومات والتعليم عليها، وبين غير القادرين على المستوى الوطني والإقليمي والدولي، وإن الفجوة ستزداد اتساعاً، وإذا ما اعترفنا بعمق الفجوة المعرفية والتقنية، فإنه من غير الصحيح إنكار جوانب أخرى وأمراض عديدة وخطيرة خارجة عن نطاق سيطرتنا، فما يحدث الآن هو تعديات مخيفة على خصوصيات بيوتنا وثقافاتنا ومحرمات لم يسبق انتهاك حرمتها.

الحقيقة الخامسة:

وبناءً على ما تقدم فإن العالم اليوم بحاجة ملحّة إلى مشروع عالمي مبني على العدالة والإنسانية تلتقي عنده شعوب الأرض وتجتمع عليه، مشروع يوحّد كل هذه الشعوب ويسمح لها في نفس الوقت بالتمايز الذي يحفظ عبره الهوية وأصالة كل شعب لنفسه، هذا المشروع يجب أن يقوم على أساس المساواة حتى يستطيع أن يبلغ هدفه

الأساسي، الذي هو تحقيق العدالة والسلام والتقدم للبشرية جمعاء، بالإضافة إلى توفير إدارة جيدة لشؤونها المشتركة.

وعليه فإن النظام الأفضل حسب ما يراه الإمام الشيرازي ﷺ يجب أن يتركز عليه هذا المشروع والذي أخذ من نوره أيضاً ميثاق الأمم المتحدة: هو ما جاء به الإسلام العظيم، وبلّغ له الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ، فإنه النظام الشامل والكامل الذي يستطيع أن يلبي حاجات الإنسان، ويحترم حقوقه المشروعة وينشر العدل والقسط بالعالم.

مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات

بيروت لبنان / ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: إن الله تعالى شرّع الإسلام وضمّنه كل ما يحتاج إليه الانسان من اقتصاد وسياسة، واجتماع وعولمة وغيرها، وجعله يمتاز على غيره من الأديان والمبادئ بامتيازات كثيرة، وإن من أهم تلك المميزات هو: الاهتمام بالانسان وجعله المحور في هذا الكون، حيث سخر له كل ما فيه، وخاطبه بالأحكام والتكاليف، وراعى فيه جانبيه الذين أودعهما تعالى فيه، جانب الروح وجانب الجسم، أو جانب المعنى وجانب المادة.

بينما الغرب ليس كذلك، فإنه ـ عادة ـ ينظر إلى الأشياء كلها من الجانب المادي فقط كما إنه لا يهتم بالإنسان كمحور في هذا الكون، ولذلك جاءت عولمته التي طرح فكرتها وحاول تطبيق نظريتها في العالم خالية من المعنويات، ومن الاهتمام بالإنسان، وإنما تتمحور عولمته حول الاقتصاد والماديات، وترى التنمية والنمو الاقتصادي للبعض فقط هو كل شيء حتى وإن كان ذلك على حساب سعادة الإنسان بل وحياته أيضاً، فكانت عولمته ناقصة، فيها النمو والازدهار

الاقتصادي في الجملة للبعض على حساب الآخرين، وليس فيها العدل والأخلاق في الجانب الإنساني.

وعلى أثر ذلك نتج الفقر والحرمان، والجهل والمرض، والحرب والدمار، فملايين الجائعين، وملايين المرضى، وملايين الأميين، وملايين المعوّقين، وملايين المشرّدين والمهجّرين، وما إلى ذلك من المآسي والويلات المترتبة على مادية الغرب ومادية عولمته.

بينما عولمة الإسلام الناظرة إلى الجانب الروحي والمادي معاً، والمراعية للمعنويات أيضاً، والمهتمة بالإنسان كمحور أساسي، جاءت كاملة شاملة تجمع بين النمو والازدهار الاقتصادي، وبين العدل والأخلاق في الجانب الإنساني، فهي وحدها الصالحة لإصلاح العالم ولإسعاد العالمين، لأنها تجمع بين النمو والازدهار، والعدل والأخلاق، وقد كتبت هذا الكتاب لبيان هذه الميزة التي تميز بها الإسلام وتميزت بها عولمته الصحيحة والشاملة، راجياً من الله تعالى أن يفيد به، وأن يتقبله بأحسن قبوله، وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

مدخل
إلى مفهوم العولمة



تصريف العولمة

العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة، على وزن قولبة، واللفظ مشتق من العالم، والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة.

فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي منقول، أما (عولمة) فرباعي مخترع ـ إن صح التعبير ـ.

فإن هناك جماعة من اللغويين يقولون بجواز اختراع ألفاظ وكلمات في اللغة العربية على وزان الألفاظ والكلمات الموجودة فيها، كما يقولون بجواز الزيادة والنقيصة على حسب الزوائد أو النقائص اللغوية الأخرى، مثل: صرف الباب الثلاثي إلى باب الانفعال، أو التفعيل، أو المفاعلة، أو الاستفعال، وكذلك أبواب الرباعيات ونحوها، فإنه كما يقال: عولمة، يقال: تعولمنا، وتعولمتُ، وتعولمت البلاد وهكذا، من قبيل تدحرجنا، وتدحرجتُ، وتدحرجت الكُرات وما أشبهَ ذلك.

العولمة لغة واصطلاحاً

إن العولمة على ما سبق مشتق من العالم، أي: صرنا عالميين، ومعنى العالمية: أن تتحد كل شعوب العالم في جميع أمورها على نحو واحد وهيئة واحدة في الجملة، فيكونوا كبيت واحد، وأسرة واحدة، فلا يكون هناك شعب فقير

وشعب غني، ولا شعب أُمي وشعب مثقّف، ولا شعب تختلف اقتصادياته أو سياساته أو ثقافياته أو اجتماعياته أو سائر شؤونه ـ كشؤون التربية والسلوك وما أشبه ذلك ـ عن شعب آخر، أي: كما كان عليه الحال قبل الآلة الحديثة، حيث الأسفار البعيدة، والاتصالات المنقطعة أو شبه المنقطعة، وإنما يكون الانتماء للعالم كلّه كالانتماء إلى دولة واحدة كلها، فكما يقال: بغدادي وبصري، يقال: عراقي ومصري، أو شرقي وغربي أو ما شابه ذلك، فإن البلاد وإن كانت مختلفة ولم يتصل بعضها ببعض، لكنّ الفكر يكون واحداً، والاتصال موجوداً، ويبقى الاختلاف قليلا وبشكل جزئي في بعض النقاط وفي المناطق الصغيرة من أطراف العالم.

أما الاختلاف في العالم وعلى نحو عام وكلي فلا يكون، حيث تتداخل السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك بعضها في بعض، وتؤثر جميعاً على حياة الانسان في الأرض أينما كانوا وحيثما حلوا ونزلوا، وذلك من دون اعتداد قابل للذكر بالحدود السياسية لدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدّد أو لدولة معيّنة، ومن دون حاجة إلى إجراءات حكومية خاصة، ولا إلى تعديل الإجراءات وتوحيدها أو تعديل الحكومات وتوحيدها، لأنها رغم كثرتها وتعددها تكون واحدة من حيث السلوك والأسلوب نوعاً ما، وإذا كان بينها اختلاف يكون الاختلاف عندها من نوع الاختلاف في الولايات، لا كالاختلاف في الدول.

إذن: العولمة التي أصبحت اليوم كلمة شائعة في العلوم الاجتماعية، ومستخدمة كثيراً في الأدب المعاصر، يمكن تعريفها بما يلي: إعطاء الشيء صفة العالمية، من حيث النطاق والتطبيق.

من تعاريف العولمة أيضاً

ولقد عرفوا العولمة بتعريف آخر، قالوا: (العولمة اسم شمولي مصطلح للدلالة على حقبة نفوذ تتميز بأدوات أوسع من الأدوات الاقتصادية، تهم الثقافة والحضارة حتى البيئة - مع احتفاظ الاقتصاد بعمودها الفقري - لديها قدرة التأثير على العالم، وذلك بغلبة من الرأسمالية الغربية التي تجتاح العالم وتسيطر على أسواقه المالية والفكرية).

وعرفوا العولمة بتعريف ثالث، قالوا: (العولمة هي الحركة الاجتماعية التي تتضمن انكماش البعدين: الزماني والمكاني، مما يجعل العالم يبدو صغيراً إلى حد يُحتّم على البشر التقارب بعضهم من بعض).

وعرفوها بتعريف رابع وهو: (التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسية والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدد، أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية).

فقالوا: إن المفهوم الدقيق للعولمة يعني هيمنة نمط الإنتاج الرأسمالي وانتشاره في الصميم مضافاً إلى انتشاره في الظاهر أيضاً، وبعبارة أخرى واضحة يعني: هيمنة النمط الرأسمالي الأمريكي، ليتلازم معنى العولمة في مضمار الإنتاج والتبادل المادي والرمزي، مع معنى الانتقال من المجال الوطني أو القومي إلى المجال العالمي أو الكوني، وذلك في ضمن مفهوم تعيين مكاني جغرافي: وهو الفضاء العالمي برمته، وتعيين زماني تاريخي: وهو حقبة ما بعد الدولة القومية، أي: الدولة التي أنجبها العصر الحديث إطارا كيانياً لصناعة أهم وقائع التقدم

الاقتصادي والسياسي، والاجتماعي والثقافي.

فالعولمة المتداولة يعني: وصول نمط الإنتاج الرأسمالي إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتداول، والتوزيع والتسويق، والتجارة والتمويل، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها.

وبعبارة ثانية: إن ظاهرة العولمة المتداولة هي بداية عولمة الإنتاج، والرأسمال الإنتاجي، وقوى الإنتاج الرأسمالية، وأخيراً علاقات الإنتاج الرأسمالية أيضاً، وترويجها في كل مكان مناسب خارج مجتمعات المركز الأصلي ودوله.

فالعولمة بهذا المعنى هي: رسملة العالم على مستوى الصميم بعد أن تمّت رسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره.

ويكون الناتج من هذه التعاريف كلها: ان العولمة حسب قول البعض هو:

حرية أصحاب رؤوس الأموال، لجمع المزيد من المال في سياسة اقتصادية قديمة، كانت تعتمد على الإنتاج الذي يؤدي إلى تحقيق الربح، وانقلابه اليوم إلى الاعتماد على تشغيل المال فقط دون خسائر من أي نوع، للوصول إلى احتكار الربح.

إن هذا المعنى يتلخص في عودة الهيمنة الغربية من جديد، لكن محمّلة على أجنحة المعلوماتية والعالم المفتوح، ومدجّجة بالعلم والثقافة حتى وإن كانت غير إنسانية، وبذلك تقلب القاعدة القديمة القائلة: إنّ القوي يأكل الضعيف، إلى قاعدة جديدة عصرية عولمية تقول: السريع يأكل البطيء، علماً بأن القاعدة الجديدة، لا تختلف عن القاعدة القديمة، من حيث النتيجة، بل تكون هذه الجديدة أشدّ بأساً وأعظم ظلماً من تلك القديمة، لأن أصحاب السرعة يعملون على تثبيط حركة الآخرين بكل وسعهم وجميع إمكانياتهم.

إن منطق التطور الرأسمالي يقضي بالتوسع المستمر خارج الحدود، إذ قد انتقلت الرأسمالية من حدود الدولة القومية والاقتصاد القومي، في عملية زحف استعماري سريع، وفرض هيمنة واسعة حتى شملت عالم ما وراء البحار ومعظم مناطق جنوب الأرض لتطال المواد الخام واليد العاملة الرخيصة والأسواق.

وهكذا خرج النظام الرأسمالي العالمي من واجهة المزاحمة أو المنافسة الحرة، إلى واجهة الاحتكار وواجهة الهيمنة والاستعمار مع أن الاحتكار والاستعمار من أبغض الصفات التي يمكن أن يتصف بها ظالم وغاشم.

وقد ورد النهي عن الاحتكار في الشريعة الإسلامية، قال أبو عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نفد الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله قد نفد الطعام ولم يبق منه شيء إلا عند فلان فمره يبيعه الناس، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا فلان إن المسلمين ذكروا أن الطعام قد نفد إلا شيئاً عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تحبسه»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحكرة أن يشتري طعاماً ليس في المصر غيره فيحتكره فإن كان في المصر طعام أو يباع غيره فلا بأس بأن يلتمس بسلعته الفضل»[3].

وفي الحديث عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الرجل يحتكر الطعام ويتربص به هل يجوز ذلك، فقال: «إن كان الطعام كثيراً يسع الناس فلا بأس به، وإن كان الطعام قليلا لا يسع الناس فإنه يكره أن يحتكر الطعام ويترك

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٢٦٦ باب الحكرة والأسعار ح٣٩٦١.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٦٤ باب الحكرة ح٢.

(٣) الاستبصار: ج٣ ص١١٥ ب٧٧ ح٧.

الناس ليس لهم طعام»[١].

وعن معتب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام وقد يزيد السعر بالمدينة: «كم عندنا من طعام؟ قال: قلت: عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرةً، قال: أخرجه وبعه، قال: قلت له: وليس بالمدينة طعام، قال: بعه، فلما بعته قال: اشتر مع الناس يوماً بيوم، وقال: يا معتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطةً فإن الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها ولكني أحب أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة»[٢].

وعن معتب قال: «كان أبو الحسن عليه السلام يأمرنا إذا أدركت الثمرة أن نخرجها فنبيعها ونشتري مع المسلمين يوماً بيوم»[٣].

أما اليوم في سياق الثورة الثقافية نرى التوسع الرأسمالي يحتل المكان الأسمى من الدعاية والتبليغ، ليفسح المجال أمام هيمنة الأسواق وسياسة الربح وحده، فيطيح بحدود جديدة: الحدود القومية في نفس المجتمع الرأسمالي بعد أن أطاح بحدود المجتمعات المنتمية إلى منظومة الجنوب وما أشبه.

ولكن يبدو أن العولمة بمعناها الشمولي أعم من العولمة الاقتصادية ـ وإن كانت ربما هي الهدف الأصلي من عولمتهم الغربية تحصيلاً للأرباح الأكثر والأكبر والأشمل ـ فتشمل أيضاً العولمة السياسية والثقافية والاجتماعية وما أشبه.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٦٠ ب١٣ ح١٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٣٦-٤٣٧ ب٣٢ ح٢٢٩٣٢.

(٣) الكافي: ج٥ ص١٦٦ ح٣.

خلاصة التعاريف

إن النمط الجديد الذي مرّ ذكره: من التوسع واستمرار هيمنة الأسواق، وسياسة الربح وحده، الذي هو مرحلة جديدة من مراحل الهيمنة والاستعمار الجديد، هو ما أطلقوا عليه اليوم اسم: العولمة، وصفته الظاهرة هي ـ كما يراه الخبراء ـ توحيد العالم وإخضاعه لقوانين مشتركة تضع حداً فيه لكل أنواع السيادة.

إن هذا المسار بدأ على الساحة منذ ميلاد ظاهرة الشركات متعددة الجنسيات العابرة للقارات، وذلك قبل عقود، لتصل اليوم إلى نظام التجارة الحرة الذي اعترف به دولياً، وقرر التعبير عنه مؤسسياً ضمن قوانين موضوعها: رؤوس الأموال والتجارة، والحواجز الجمركية والقاطرات المالية، وهذه القوانين يلغي مفعولها مفعول القوانين المرعية في الدول الوطنية بتحطيم الحواجز الجمركية لصالح حرية انتقال السلعة ورؤوس الأموال فيها، وذلك بإشراف منظمة دولية تحمل اسم (الغات)، وهي اختصار لعبارة «الاتفاقية العامة للتعرفات الجمركية» وأهداف الغات ومن بعدها المنظمة العالمية للتجارة هي: تحرير التجارة الدولية وإزالة الحواجز الجمركية وفتح الأسواق الدولية أمام المنافسة بنحو الليبرالية الاقتصادية. وكل دولة خرجت عن إطارها ورفضت الانخراط فيها كان جزاؤها العزلة الاقتصادية، وهي أخطر أنواع العقوبات التي لا تتحمل عادة.

إن أمريكا أدّت دوراً رئيسياً في دعمها للرأسمالية، إذ مضافاً إلى أنها بقيت طوال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أكبر سوق وأكبر دولة مصدرة في العالم، اتخذت من بناء اقتصاد عالمي رأسمالي، حجر أساس في سيطرتها على الصعيد

السياسي، والصعيد الاقتصادي الدولي، ومن المعلوم أنها حيث كانت أكبر دولة مصدرة، فإن لها أعظم مصلحة شخصية في تنمية الاقتصاد العالمي، لأجل تغذية نموها الاقتصادي.

ثم إن أمريكا ومن منطلق حراسة الأنظمة والمؤسسات الرأسمالية التابعة لها، في وجه التهديدات الناجمة من أنظمة اجتماعية واقتصادية أخرى كالشيوعية والاشتراكية، صرفت الكثير على انتشار اقتصاديات رأسمالية في بلدان أخرى في أوروبا الغربية، وفي شرق وجنوب شرقي آسيا، وعلى الأخص في بلاد عدوّيها السابقين: ألمانيا واليابان، بالإضافة إلى مشروع مارشال في أوروبا الغربية.

هذا وقد صرفت أمريكا مساعداتها الخارجية أيضاً في مناطق أخرى من العالم النامي تعزيزاً للمؤسسات الرأسمالية حيثما أمكنها ذلك بل فوق ما يتصور.

ولكن رغم كل ذلك، فإن الرأسمالية بمعناها الموجود حيث إنها كالشيوعية والاشتراكية مخالفة للفطرة والعقلانية، فإن مصيرها سيكون نفس مصير الشيوعية والاشتراكية من السقوط والزوال، ولا يبقى على وجه الأرض إلاّ العولمة الصحيحة التي دعا إليها الإسلام.

فصل:

العولمة الإسلامية



الفطرة الاجتماعية

مسألة: قد خلق الله تعالى الإنسان على فطرة اجتماعية، فهو أبداً يهوى العولمة ويسعى للتعولم، وإليه أشار قول الله تعالى في القران الحكيم: ﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا انّ اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[1].

فكل الفصول الثلاثة من الآية المباركة طبيعية للبشر، حيث إنّ الذي يعمل أكثر وبكيفية أحسن، يكون أكرم ذاتاً، والأكرمية الذاتية تتبعها الأكرميّة العرضية، فإن كل ما بالغير ينتهي إلى ما بالذات كما يقوله الحكماء.

مضافاً إلى ذلك إنّ الإنسان يميل إلى هذه الجهة: جهة التعارف والتآلف، وينحو نحو هذا الاتجاه الفطري الموهوب، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «خير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف»[2].

فالإنسان مهما كان بلده وموطنه هو إنسان، وله نفس المشاعر والأفكار الجسدية التي يحملها كل إنسان آخر، وإنما الاختلاف غالباً في الأفكار والآراء، وللفكر موازين و مقاييس، والميزان الصحيح والمقياس المستقيم هو الذي ذكره الله تعالى، وبيّنه العقل: من أنّ للكون إلهاً واحداً قادراً عادلاً حكيماً، إلى آخر ما ذكر في توحيد الله سبحانه وتعالى وكذلك في سائر أصول الدين من العدالة والنبوة

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٥٠ ب٨٨ ح٩٩٧٠.

والإمامة والمعاد في يوم القيامة، وكل شيء ينحرف عن هذا المعتقد السليم فهو انحراف عن الفطرة والعقلانية.

العولمة الصحيحة أمر لابدّ منه

مسألة: إن العولمة الصحيحة هدف إنساني لا غناء عنه إلاّ بنشره وتعميمه، ولا طريق للإنسانية أمامها إلاّ بالدخول فيها والانتماء إليها، علماً بأنّه لم يكن الدخول فيها قد بدأ في هذه الأيام، بل منذ إرسال الأنبياء أولي العزم عليهم السلام وأخذت تتبلور وتتكامل منذ بدء عهد الرسالة الإسلامية، ففي يوم الأحزاب عندما كان رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون معه يحفرون الخندق حول المدينة ليأمنوا جانب العدو استعصى عليهم حجر صلد، فضربه رسول الله صلى الله عليه وآله بمعوله فانقدحت منه شرارة وسطع منها نور، فقال صلى الله عليه وآله وهو يبشر المسلمين: إني رأيت فيه قصور الحيرة ومدائن كسرى، ثم ضربه ثانية وثالثة، فانقدحت في كل ضربة شرارة، وسطع منها نور كذلك، وفي كل مرة يقول صلى الله عليه وآله لأصحابه بأنه رأى فيها هدفا من الأهداف العالمية، حيث بشّر المسلمين بأنهم يصلون إلى تلك البلاد وينشرون الإسلام فيها، فإن الإسلام دين عالمي[1].

(١) راجع مجمع البيان، ج٢ ص٢٦٩، وفيه: إن النبي صلى الله عليه وآله خط الخندق عام الأحزاب، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلا قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «سلمان منا أهل البيت».

قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة ونعمان بن مقرن المزني، وستة من الأنصار، في أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب، أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة، كسرت حديدنا، وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان! ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فان المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيه بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه.

وبالفعل، فقد وصلوا إلى تلك المناطق البعيدة، ونشروا الإسلام فيها، وهم في طريقهم إلى تحقيق ما وعدهم الله من ظهور الإسلام على كل الأديان، لما في الإسلام من محاسن الأديان كلها وخلو الأديان من محاسن الإسلام.

ويؤيد ذلك تنبؤات بعض كُتّاب الغرب ومحققيهم فقد قال أحدهم في

قال: فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله، خرجت صخرة بيضاء مروة، من بطن الخندق، فكسرت حديدنا، وشقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك. فإنا لا نحب أن نجاوز خطك.

قال: فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق، والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان، فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى كان لكأنّ مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، وكبّر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية، فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى كان لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، وكبّر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة، فكسرها فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى كان لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، وكبّر المسلمون، وأخذ بيد سلمان ورقى.

فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط.

فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: رأيتم ما يقول سلمان؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: ضربت ضربتي الاولى، فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرائيل إن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية، فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، ثم ضربت ضربتي الثالثة أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل إن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا، فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون: ألا تعجبون، يمنّيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة، ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون ان تبرزوا؟

فنزل القرآن: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**﴾ سورة الأحزاب: ١٢. وأنزل الله في هذه القصة: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انك علي كل شيء قدير**﴾ سورة آل عمران: ٢٦.

كتابه: إنه لا يمرّ علينا مائة عام إلا ونرى البريطانيين يدخلون في الإسلام.

وقال آخر منهم: إنه لا يمرّ مائة عام إلاّ والمسلمون يأخذون بزمام أمريكا.

هذا بالإضافة إلى ما نعتقده نحن من أنه سيظهر الإمام المهدي ﷺ ليحقق تطبيق الإسلام على جميع أرجاء المعمورة وذلك قوله سبحانه: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾[1] فإن الإسلام لابد له من يوم يأخذ فيه بزمام العالم كله، أخذا صحيحا تحت لواء الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ومن يدرس الإسلام ويرى حقائقه الناصعة، ويدرس في المقابل الانحرافات في غيره، لابد أن يعترف بذلك.

كما يعترف من يرى نور الشمعة ويرى نور المصباح الكهربائي بأن نور المصباح غالب، وسوف يتغلب على نور الشمعة ويحلّ محلها، لأن من الواضح أن الطاقة الكهربائية نافعة للإنسانية جميعا نفعا كبيراً، بينما ليست الطاقة المتولدة من الشمعة أو ما أشبه مثلها، وكذلك من يرى السفر على الوسائل البدائية والقديمة من البغال والحمير، ويرى السفر بالوسائل المتطورة الحديثة من القاطرات والطائرات، ولعله يأتي في المستقبل شيء يفوق هذه الوسائل الحديثة الموجودة الآن، فإنه يصح له أن يقول: إن المستقبل للوسائل الحديثة، وذهاب دور القديمة منها وزوالها.

وهكذا بالنسبة للعولمة الصحيحة.

---

(١) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

كيف تكوّنت العولمة؟

مسألة: إن الله تعالى جبل الإنسان وفطره على العولمة، وأرسل إليه نظاماً عالمياً يحمل طابع الكونية في فكره وثقافته، وفي اقتصاده وسياسته، ومن هنا تكوّنت العولمة.

إن الإسلام هو أول من جاء بأسس العولمة الصحيحة، وبلّغ لها، ودعا إليها، قال الله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾(١) وحيث إن كلمة: «من» في الآية الكريمة من كلمات العموم، فالخطاب موجه إلى كل أهل الأرض، وجميع أهل العالم، ولا يمكن أن يكون الخطاب من الله الحكيم موجها إلى كل أهل الأرض، إلا إذا كان الإسلام الذي أنزله الله تعالى في كتابه، وبعث به رسوله الحبيب محمد ﷺ جامعاً لكل أسس العولمة الصحيحة، وشاملاً لجميع القوانين الصالحة لإدارة العالم كله على نهج عادل وقويم، موفراً لكل أهل العالم فرداً وجماعة الرغد والدعة، والأمن والاستقرار، والسعادة والعيش الهنيء، والإسلام فعلاً هو كذلك، وإلا لما دعا الله تعالى ـ وهو الحكيم المطلق ـ العالم كله إليه، وحذّر من التديّن بغيره من الأديان والمبادئ الأخرى.

ويؤيد ذلك قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[(١)].

فالرسول الحبيب ﷺ رسول إلى الناس كافة، وليس لبعضهم دون بعض، ورحمة مهداة للعالمين، وليس لعالم دون آخر، كما قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[(٢)].

العولمة وأول من طرح فكرتها

مسألة: الإسلام هو أول من طرح فكرة العولمة الصحيحة، وأول من أقام صلبها بنظام اقتصادي سليم، وأول من جاء بمستلزماتها ومقوماتها، وأول من رصّ أسسها وأحكم قواعدها، وقد طبّق الرسول الأعظم ﷺ العولمة الصحيحة التي جاء بها الإسلام، وحقق نظام اقتصادها السليم، وسعى لتبيينها وتحديد مسارها ومعالمها، فجعل بأمر الله تعالى الدين واحداً، والمعبود واحداً، والكتاب واحداً، والاقتصاد واحداً، والتاريخ واحداً، والقبلة واحدة، والسنّة واحدة، والشريعة واحدة، واللغة واحدة ومشتركة بين الجميع، مما يحقق الأسرة الواحدة والبيت الواحد.

إنّه شرع الأذان ـ مثلاً ـ إعلاماً للصلاة ورتّب فصوله باللغة العربية، وبحكمة فائقة، وجعله شعاراً للإسلام، إنه يدعو فيه كل يوم عدة مرات، إلى أوليات العولمة الصحيحة، وملاكاتها القويمة: إلى تمجيد الله وتوحيده، وإلى الإيمان بالرسول ورسالته، والى توحيد الإمامة والولاية في أهل بيته، وإلى الصلاة بين يدي الله الواحد الأحد، بلسان واحد، ولغة واحدة، وباتجاه قبلة واحدة، وعلى سنّة واحدة، وشريعة واحدة، وكم في هذا وحده من إيحاء للنفس على

---

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ج١٦ ص١١٥ ب٦ ح٤٤.

الشعور المشترك بالعمل المشترك، وتربية لها على العولمة الصحيحة وحب الآخرين؟.

إنه لو لم يكن في الإسلام ما يدعو إلى العولمة الصحيحة سوى الأذان، الذي أشرنا إلى القليل من معانيه الكثيرة، لكان الإسلام وحده هو الجدير بأخذ زمام العالم، ونشر رحمة عولمته الحكيمة والعادلة على كل الشعوب وجميع الناس.

نعم، لقد جاء الرسول الحبيب صلى الله عليه وآله بأسس العولمة الصحيحة، وطبّقها بحكمة عالية كانت باستطاعتها تغطية كل العالم بظلال رحمتها، وجناح عدلها، غير أن الحكام غير الشرعيين الذين علوا منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وصادروا حق علي أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين، مثل حكام بني أُمية، وبني مروان، وبني العباس، وبني عثمان، غيّروا وبدّلوا كل شيء جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى الأذان الذي جاء به جبرئيل إليه صلى الله عليه وآله. فإنّهم حذفوا بعض فصوله، وزادوا عليه وبدّلوا تبديلاً، كما وإنهم بدّلوا كل ما استطاعوا تبديله، فحرموا العالم رحمة العولمة الصحيحة وعدلها.

وهكذا تقدم الزمان، ونزلت الأجيال في شرق الأرض وغربها، وهي محرومة من عولمة الإسلام، حتى تململ الغرب وتحرك من تحت سياط الاستبداد وخرج من ظلمات القرون الوسطى ليرى النور، فلم يبصر شيئاً سوى مظالم الحكام وظلمات الخلافة الجائرة، ولم يبصر ـ ومع الأسف الشديد أو لم يحاول الإبصار ـ ليرى نور الإسلام، ونور كتابه ومنهجه، ونور قوانينه وأحكامه، ونور رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ونور العولمة الصحيحة التي جاءوا بها وسعوا في تطبيقها، ولذلك حنقوا على الإسلام وعلى كل شيء من العولمة التي جاء بها، وقضوا على الخلافة العثمانية، وقسموا العالم إلى الكتلة الشرقية والكتلة الغربية،

ولما ذاقوا وبال هذا التقسيم عملوا على توحيد العالم، فحذفوا الكتلة الشرقية من الخارطة، وقرّروا توحيد العالم تحت عولمة غربية بقيادة الولايات المتحدة.

العولمة الصحيحة ومقوماتها

مسألة: من اللازم علينا إذا أردنا ـ نحن المسلمين ـ تحقيق العولمة الصحيحة بالمعنى الإسلامي أن نعيد الاعتبار للإنسان والإنسانية كما أمر به الإسلام، وأن نحيي الخُلق الإسلامي، ومفاهيم الحوار الحر بين كل الأطراف كما كان جارياً مع كل الأديان والمذاهب على طول التاريخ الإسلامي، وذلك: انطلاقاً من مبدأ الأخوة الإسلامية العامة والشاملة، غير المنحصرة في ضيق القوميات والعرقيات، ولا المحدودة بالحدود الجغرافية والإقليمية.

يعني: على غرار ما أسسه الرسول ﷺ في المدينة المنورة بعد الهجرة، وذلك بعد أن رصّ قواعده في مكّة المكرّمة، فقد ورد في التاريخ إن النبي ﷺ آخى بين المسلمين مرّتين، مرّةً في مكة المكرّمة ومرّة في المدينة المنوّرة، وآخى بين الرجال كما آخى بين النساء، أخوّة جامعة لكل معاني الأخوة وحقوقها.

وهناك الكثير من الروايات في باب الأخوة وحقوقها، نشير إلى بعضها.

قال أبو جعفر عليه السلام: «من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»[1].

وعن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟

قال: «له سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع

(١) الكافي: ج٢ ص١٦٩ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح١.

منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب.

قلت له: جعلت فداك وما هي؟

قال: يا معلى إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل.

قلت: لا قوة إلا بالله.

قال: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره.

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى.

والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه وتصنع طعامه وتمهد فراشه.

والحق السابع: أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته وإذا علمت أن له حاجةً تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرةً فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[1].

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: كتب بعض أصحابنا يسألون أبا عبد الله عليه السلام عن أشياء وأمروني أن أسأله عن حق المسلم على أخيه، فسألته فلم يجبني، فلما جئت لأودعه فقلت: سألتك فلم تجبني؟

فقال: إني أخاف أن تكفروا إن من أشد ما افترض الله على خلقه ثلاثاً إنصاف المرء من نفسه حتى لا يرضى لأخيه من نفسه إلا بما يرضى لنفسه منه ومواساة الأخ في المال وذكر الله على كل حال ليس سبحان الله والحمد لله ولكن

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٥ ب١٢٢ ح١٦٠٩٧.

عند ما حرم الله عليه فيدعه»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المسلم أخو المسلم وحق المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ولا يروى ويعطش أخوه ولا يكسى ويعرى أخوه فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم»[٣].

وقال عليه السلام: «أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإن سألك فأعطه، لا تمله خيراً، ولا يمله لك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته، وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فاعضده، وإن تمحل له فأعنه، وإذا قال الرجل لأخيه أف انقطع ما بينهما من الولاية، وإذا قال أنت عدوي كفر أحدهما، فإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»[٥].

وعن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المؤمن على

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٤٢ ب١٥ ح٤١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٩ ب١٠٥ ح١٠١٤٥.

(٣) الاختصاص: ص٢٧.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٧٠ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح٥.

(٥) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٤٧ ب١٥ ح٤٤.

المؤمن؟ قال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة إلى قبره، وأن لا يظلمه، وأن لا يغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذبه»[1].

وعن أبان بن تغلب قال: كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا قد سألني الذهاب معه في حاجة فأشار إلي أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه فبينا أنا أطوف إذ أشار إلي أيضاً، فرآه أبو عبد الله عليه السلام فقال: «يا أبان إياك يريد هذا؟

قلت: نعم.

قال: ومن هو؟

قلت: رجل من أصحابنا.

قال: هو مثل ما أنت عليه.

قلت: نعم.

قال: فاذهب إليه فأقطع الطواف.

قلت: وإن كان طواف الفريضة.

قال: نعم.

قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه بعد فسألته فقلت: فأخبرني عن حق المؤمن على المؤمن؟

فقال: يا أبان دعه لا تريده.

قلت: بلى جعلت فداك، فلم أزل أردد عليه.

فقال: يا أبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر إلي فرأى ما دخلني، قال: يا

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٧ ب١٢٢ ح١٦١٠٠.

أبان أما تعلم أن الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟

قلت: بلى جعلت فداك.

قال: إذا أنت قاسمته فلم تأثره بعد تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر»[١].

وعن عيسى بن أبي منصور قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أنا وابن أبي يعفور وعبد الله بن طلحة فقال ابتداءً منه: يا ابن أبي يعفور قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عز وجل وعن يمين الله.

فقال ابن أبي يعفور: وما هن جعلت فداك؟

قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله، ويناصحه الولاية.

فبكى ابن أبي يعفور وقال: كيف يناصحه الولاية؟

قال: يا ابن أبي يعفور إذا كان منه بتلك المنزلة بثه همه، ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه، وإلا دعا الله له»[٢].

عن محمد بن عجلان قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلم، فسأله: كيف من خلفت من إخوانك؟

قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى.

فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم.

فقال: قليلة.

قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟

---

(١) مصادقة الإخوان: ص٣٩-٤٠ باب حقوق الإخوان بعضهم على بعض ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٧٢ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح٩.

قال: قليلة.

قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟

فقال: إنك لتذكر أخلاقاً قل ما هي فيمن عندنا.

قال: فقال: فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة»[(١)].

وعن أبي إسماعيل قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير، فقال: فهل يعطف الغني على الفقير وهل يتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟

فقلت: لا.

فقال: ليس هؤلاء شيعةً، الشيعة من يفعل هذا»[(٢)].

وعن معلى بن خنيس قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حق المؤمن؟

فقال: سبعون حقاً لا أخبرك إلا بسبعة، فإني عليك مشفق أخشى ألا تحتمل.

فقلت: بلى إن شاء الله.

فقال: لا تشبع ويجوع، ولا تكتسي ويعرى، وتكون دليله وقميصه الذي يلبسه، ولسانه الذي يتكلم به، وتحب له ما تحب لنفسك، وإن كانت لك جارية بعثتها لتمهد فراشه وتسعى في حوائجه بالليل والنهار، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا وولايتنا بولاية الله عز وجل»[(٣)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف

---

(١) وسائل الشيعة: ج٩ ص٤٢٨ ب٢٧ ح١٢٤٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٥٤ ب١٥ ح٤٩.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٧٤ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح١٤.

والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ»[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ «حق على المسلم إذا أراد سفراً أن يعلم إخوانه وحق على إخوانه إذا قدم أن يأتوه»[(٢)].

وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا»[(٣)].

نعم انطلاقاً من مبدأ الأخوة الإسلامية بما لها من الحقوق التي هي ما بين واجب ومستحب، وانتهاءً إلى توحيد التاريخ الإسلامي الهجري، وتوحيد اللغة العربية لغة القرآن والوحي، بذلك سنحصل على ثقافة واقعية إسلامية، وأسلوب صحيح لتكوين مجتمع إسلامي قويم على أساس من الفكر الإسلامي المنفتح، والمتجاوب مع كل تيّارات الحداثة، والتطورات الإيجابية، والمستجيب لكل رغبات الإنسان المادية والروحية المشروعة، وفي ظل ذلك يكون تعميق الوعي الروحي والمعنوي، وتفتح الوعي المادي والتجريبي.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٣ ب١٢٢ ح١٦٠٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٥٧ ب١٥ ح٥٤.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٧٥ باب التراحم والتعاطف ح٣.

الرسالة العالمية والعولمة الإسلامية

مسألة: رسالة الإسلام عالمية، فلم يكن الإسلام يوماً للعرب وحدهم، ولم يكن القرآن يوماً لقريش وحدها، ومن هنا فإن الحديث عن العولمة الإسلامية حديث جميل وشيق للغاية، إذ قد جاء الإسلام بها منذ أيامه الأولى، ومن حين بزوغ شمسه المنيرة على الكون.

وقد أكد القرآن الكريم على هذا المعنى، وأيدته الأحاديث النبوية الكريمة والسيرة النبوية الشريفة، وهي كثيرة نستعرض منها ما يلي:

١: قال الله تعالى في صفة القرآن الذي هو دستور السماء لأهل الأرض: **﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾**(١).

٢: وقال تعالى مباهياً بما أنزل من دستور وبمن أنزل عليه من رسول ﷺ: **﴿تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾**(٢).

٣: وقال سبحانه وهو يصف رسوله الكريم ﷺ ورسالته المباركة: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**(٣).

٤: وقال سبحانه في بيان مهمة الرسول الأعظم ﷺ: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾**(٤).

---

(١) سورة التكوير: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان: ١.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) سورة سبأ: ٢٨.

٥: وقال جلّ وعلا في أجر الرسالة والرسول ﷺ: ﴿**وما تسألهم عليه من أجرٍ إن هو إلا ذكر للعالمين**﴾[١].

٦: وقال عزّوجلّ في صفة الكعبة والبيت الحرام: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين**﴾[٢].

٧: قال تعالى: ﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين ۞ ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾[٣].

٨: وقال سبحانه: ﴿**إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ۞ لينذر من كان حياً**﴾[٤].

٩: وقال عز من قائل: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[٥].

١٠: وقال تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[٦].

إلى غيرها من الآيات والروايات.

ومن هذه الآيات المباركة وغيرها تتجلى الرسالة العالمية، وتتضح العولمة التي جاء بها الإسلام رحمة للناس كل الناس، وليس لطبقة خاصة، كأصحاب الشركات والاستثمارات الذين لا يرون إلا مصالحهم، ولا يعملون إلا من أجل منافعهم، وان تضرر الآخرون من الأكثرية الساحقة.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: ٩٦.

(٣) سورة ص: ٨٧ - ٨٨.

(٤) سورة يس: ٦٩ - ٧٠.

(٥) سورة النحل: ٨٩.

(٦) سورة الأنعام: ٣٨.

الأحاديث الشريفة والعولمة

مسألة: يستفاد من الأحاديث الكريمة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام مقومات العولمة الإسلامية، فترى مخاطبتها لكل العالم، ولكل الأجيال، بلا حرج، وخاصة في ما يخصّ التماسك والترابط الاجتماعي، والتحابب والتوادد العاطفي، وتحويل المجتمع الإنساني الكبير إلى أسرة صغيرة واحدة، يسودها الحب والحنان، والرحمة والإحسان.

فعن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لابد لكم من الناس إن أحداً لايستغني عن الناس حياته والناس لابد لبعضهم من بعض»[1].

وعن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال: «تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم»[2].

وفي حديث آخر قال قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ قال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فو الله إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٥ باب ما يجب من المعاشرة ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٥ ب١ ح١٥٤٩٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٦ ب١ ح١٥٤٩٧.

وعن حبيب الخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره»[١].

وعن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام وأوصيكم بتقوى الله عزوجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل هذا أدب جعفر، فو الله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها آداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث إليه وصاياهم وودائعهم تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[٢].

وعن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام «من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل»[٣].

وعن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٥ باب ما يجب من المعاشرة ح٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٥-٦ ب١ ح١٦٤٩٦.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٣٧ باب حسن المعاشرة ح١.

بأهله فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً ثم قال: «يا شيعة آل محمد اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه ومجاورة من جاوره ومما لحة من مالحه، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم ولا يتهجم بعضكم على بعض ولا تضاروا ولا تحاسدوا وإياكم والبخل كونوا عباد الله المخلصين»[٢].

العولمة في السيرة النبوية

مسألة: السيرة النبوية الشريفة وسيرة أهل بيته المعصومين عليهم السلام، تؤكد على العولمة الإسلامية، فترى الرسائل التي بعثها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى رؤساء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام ليسلموا في دنياهم وآخرتهم، وينذرهم عاقبة التمرد والاستبداد، ويحمّلهم أوزار رعاياهم وشعوبهم إن هم بقوا على كفرهم، إلى غيرها مما يفصح عن دعوتهم إلى الانتماء إلى الأسرة الواحدة، والبيت الواحد، ألا وهو أسرة التوحيد، وبيت العدل والمحبة.

فقد أرسل صلى الله عليه وآله رسالة إلى كسرى أبرويز بن هرمز، بيد عبد الله بن حذاقة السهمي.

ورسالة إلى هوذا ملك اليمامة بيد سليط بن عمر العاري.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٧ باب حسن المعاشرة ح٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٥٤ ب١٥ ح٥٠.

ورسالة إلى ملك الحبشة بيد عمر بن أمية.

ورسالة إلى النجاشي الأول بيد محمد بن أبجر.

ورسالة إلى المقوقس حاكم الأقباط بيد حاطب بن أبي بلتعة.

ورسالة إلى إمبراطور الروم هرقل، وعامله الحارث الغساني، بيد شجاع ابن وهب.

وكان هؤلاء هم العالم المعاصر للرسول ﷺ آنذاك.

وكان مضمون هذه الرسائل واحداً وإن اختلفت ألفاظها، وكلها تحكي عن الدعوة إلى الإسلام، والصلح، ومستقبل الحق والأمن والسلام في الدنيا والآخرة.

رسالة النبي ﷺ إلى هرقل

فكانت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، عبده ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين[1] ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾[2]».

رسالة النبي ﷺ إلى كسرى

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ملك إيران: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع

(١) الأريسين: جمع أريس، أي المزارع.

(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بداعية الله عزوجل، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس».

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى ملك الحبشة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأضخم ملك الحبشة: بسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حمله من روحه ونفخ كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وإن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر ونفراً من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي، والسلام عليكم وعلى من اتبع الهدى».

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي الثاني

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي الثاني: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من النبي ﷺ إلى النجاشي عظيم الحبشة: سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني رسوله، فأسلم تسلم ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا**

اشهدوا بأنا مسلمون﴾(١) فإن أبيت فعليك إثم النصارى».

رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس كبير القبط: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، و ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾(٢)».

رسالة النبي ﷺ إلى ملك مصر

روي أن النبي ﷺ كتب رسالة ثانية إلى المقوقس ملك مصر، وكان نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى صاحب مصر، أما بعد، فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل علي قرآناً، وألزمني بالاعذار والإنذار ومقاتلة الكفار، حتى يدينوا ديني، ويدخل الناس في ملتي، وقد دعوتك إلى الإقرار لوحدانيته، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت، والسلام».

رسالة النبي ﷺ إلى صاحب دمشق

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده

---

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

لاشريك له ، يبقى لك ملكك» .

رسالة النبي ﷺ إلى ملك البحرين

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي : سلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ممن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ، ومن أبى فعليه الجزية» .

رسالة النبي ﷺ إلى ملك اليمامة

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى هوذة بن علي ملك اليمامة : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي : سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فاسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك» .

رسالة النبي ﷺ إلى ملوك عمان

وكانت رسالة النبي ﷺ إلى جعفر و عبد النبي ملكي عمان : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى جعفر وعبد النبي الجلندي : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما ، فإني رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام ، فإنه زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما» .

وكان رسول الله ﷺ يراعي بالإضافة إلى العبارات الأدبية والكلامية في رسائله، الأبعاد التبليغية، والأهداف السياسية والدبلوماسية، فترى الأمور التالية ظاهرة في رسائله ورسله:

١: الشجاعة والاعتماد الكامل بالنفس، فالشخص الدبلوماسي والرجل السياسي لابد أن يكون مطمئناً ومعتمداً اعتمادا كاملاً على شخصيته في إبلاغ ندائه وثقافته ورسالته لمخاطبيه.

٢: الألقاب الرسمية المناسبة في تلك الرسائل، مثل: إلى هرقل عظيم الروم، إلى كسرى عظيم فارس، عظيم القبط، وغير ذلك.

٣: الترغيب والتهديد المعقول والمناسب في ضمن رسالة واحدة، مثل: (أسلم تسلم).

٤: الاستناد إلى الاستدلال والمنطق، عندما يكون مخاطبوه من أهل الكتاب، ومن له ثقافة عالية، مثل: الرسالة التي بعثها إلى النجاشي ملك الحبشة.

٥: إبلاغ النداء النهائي للإسلام، وتحرير الإنسان، ونفي الاستثمار، وتشاهد هذه النقطة في خاتمة رسالته بآية: ﴿**يا أهل الكتاب**﴾[1].

٦: بقاء واستمرارية أعمال الحاكمية والقدرة ونفوذ السلطة في حالة الاستجابة لنداء الإسلام وقبول حاكمية الدولة الإسلامية، كما يظهر من رسالته إلى هوذة بن علي ملك اليمامة، والحارث بن أبي شمر الغساني ملك دمشق، والتأكيد عليهما في الرسالتين.

٧: الاطمئنان من بسط نفوذه ﷺ وانتصار النداء، كما يظهر جلياً في ذيل رسالته إلى هوذة بن علي مشيراً إليه بقوله ﷺ: «واعلم أن ديني سيظهر إلى

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

منتهى الخف والحافر».

وكانت ردود الفعل من قبل رؤساء الدول على نداء النبي ﷺ التبليغي متفاوتاً، فبعضهم استجاب لندائه العالمي الرباني، مثل: النجاشي الذي استجاب لدعوة التوحيد وتشرف بالدين الجديد، وأرسل هدية أيضاً إلى النبي ﷺ.

ولكن البعض الآخر أصر على تكبره وتجبره من قبول دعوة التوحيد، والاستخفاف بنداء النبي ﷺ، مثل خسرو برويز ملك إيران حتى بعث اليه ﷺ برسالة تهديد.

والبعض الآخر كان متردداً في هذا الأمر، بين قبوله أو رفضه، مثل قيصر والمقوقس، اللذين كانا يخشيان ملتهما.

كما بعث رسول الله ﷺ برسائل أخرى إلى رؤساء القبائل والشيوخ، وأدت النتيجة إلى انتصاره ﷺ وبسط دولته العادلة ونفوذه على جميع أراضي الجزيرة العربية، وكانت قبائل العرب تأتي إليه ﷺ جماعات جماعات وأفواج أفواج معلنين عن استقبالهم لدين الإسلام والانضمام تحت راية التوحيد، كما قال تعالى:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاء نصر الله والفتح۞ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً۞ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا﴾[1].

ومن هنا يعرف أن دعوة الإسلام عالمية حيث يمكن تلخيص روح الرسالة الإسلامية في شعار التوحيد وهو«لا إله إلا الله» وهذا سر علو الإسلام وعطائه العالمي.

ولا ريب في أن أساس العقيدة الإسلامية المتمركزة في ذلك الشعار الخالد يمتلك أروع وأقوى إمكانية على المدى المتواصل عالمياً.

---

(١) سورة النصر: ١- ٣.

ثم إن انتشار الإسلام وبسرعة فائقة، ورغبة ملحة من الشعوب، في أكثر مناطق المعمورة، هو مصداق بارز للعولمة الإسلامية التي تنسجم مع فطرة الإنسان، وبكل أبعادها الفكرية والثقافية، والدينية والتعبدية، والسياسية والعسكرية، والاقتصادية والتجارية، وغير ذلك من الأبعاد الحيوية الأخرى.

ولقد حاربت كل من الإمبراطوريتين: الفرس والروم، الإسلام والمسلمين، وأخذت تجاهه مواقف عدائية، ورفضت الدين الجديد، والحضارة الجديدة، وذلك بدوافع من الخوف على معتقداتهم وان كانت سقيمة، والحذر من فقدان ما تركه لهم الآباء والأجداد وان كان هشاً، فحرموا بذلك أنفسهم وشعوبهم رحمة الإسلام وعدله، حيث إنهم لم يعيروا أهمية للثقافة الإسلامية، ولا للمعلومات الحضارية، ولا للقوانين السماوية التي جاء بها الإسلام لإسعاد الإنسان وإرغاد عيشه، وإعزاز شخصه فرداً ومجتمعاً.

العولمة وحقوق الإنسان

مسألة: ينبغي الالتفات إلى أن العولمة التي جاء بها الإسلام هي آخر صيغة في قاموس الحقوق ـ بما فيه من حقوق الإنسان ـ من حيث الصحة والأمانة، والجامعية والشمول، ولما كان وما يكون، ولم تكن هناك صيغة كهذه تجمع بين العدل والأخلاق والنمو والازدهار.

قال الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[1].

ومما يدل على ذلك رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام[2]، وخطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله في نهج البلاغة كعهده عليه السلام إلى الأشتر النخعي[3] وما أشبه.

قال الراوي: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله موعظة ذرفت العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فما تعهد إلينا، قال: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدها إلا هالك، ومن يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي وسنة الخلفاء الراشدين من أهل بيتي، فعضوا عليهم بالنواجذ وأطيعوا الحق ولو كان صاحبه عبدا حبشيا، فإن المؤمن كالجمل الألوف حيث ما قيد استقاد»[4].

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) راجع مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٥٤ ب٣ ح١٢٦٦٤، بحار الأنوار: ج٧١ ص١٠ ب١ ح٢، تحف العقول: ص٢٥٥ رسالته عليه السلام المعروفة برسالة الحقوق.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

(٤) إرشاد القلوب: ج١ ص٣٧ ب٥ في التخويف والترهيب.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «أغلق أبواب جوارحك عما يقع ضرره إلى قلبك، ويذهب بوجاهتك عند الله تعالى، ويعقب الحسرة والندامة يوم القيامة، والحياء عما اجترحت من السيئات، والمتورع يحتاج إلى ثلاثة أصول: الصفح عن عثرات الخلق أجمع، وترك خطيئته فيهم، واستواء المدح والذم، وأصل الورع: دوام محاسبة النفس، والصدق في المقاولة، وصفاء المعاملة، والخروج من كل شبهة، ورفض كل عيبة وريبة، ومفارقة جميع ما لا يعنيه، وترك فتح أبواب لايدري كيف يغلقها، ولا يجالس من يشكل عليه الواضح، ولا يصاحب مستخف الدين، ولا يعارض من العلم ما لا يحتمل قلبه ولا يتفهمه من قائله، ويقطع عمن يقطعه عن الله عز وجل تعالى شأنه»[1].

نعم إن الإسلام قد سن حقوق الإنسان، حقوقاً رفيعة ولائقة به وبكرامته، ودافع عنها وناضل من أجلها.

وقد جعل الإسلام، الإنسان وحقوقه، هو المركز والمحور لعولمته التي جاء بها، وذلك نظراً لما يكون بين العولمة وحقوق الإنسان من ترابط وثيق، ومن تأثير كبير لكل واحد منهما على الآخر، ومن توقف نجاح وفوز، بل سعادة وسيادة كل منهما على الآخر، مما جعلهما كتوأمين لا ينفكّان.

نعم إن العلاقة بين حقوق الإنسان والعولمة قد تداخلت بشكل ملحوظ، وترابطت بصورة وثيقة، وذلك لأن العولمة وبكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية أخذت تؤثر تأثيراً كبيراً وعميقاً على حقوق الإنسان في كل هذه الأبعاد المذكورة من سياسة واقتصاد، وثقافة واجتماع، وغير ذلك.

وقد أصبحت العولمة في إطارها العلمي النظري، الذي يدعو إلى تزايد التبادل، وتحقيق الاعتماد المتبادل على مستوى العالم، وإدارة المصالح المشتركة

---

(١) مصباح الشريعة: ص٤٠-٤١ ب١٨ في الورع.

للبشرية ولصالح الناس، تبدو وكأنها ضرورة لا غنى عنها في التعامل مع كثير من قضايا حقوق الإنسان، بعد اتساع هذه الحقوق وتداخلها على مستوى العالم.

أجل يلزم أن تكون حقوق الإنسان بما للكلمة من معنى جزءً من القانون الدولي، ولم تعد الانتهاكات اليومية التي تحدث لحقوق الإنسان في أي مكان من العالم، من الشؤون الداخلية للدولة، بل تصبح من اهتمامات المجتمع الدولي ككل، وتتطلب تدخله فيها، فإن ذلك من حق الشعوب المضطهدة على عاتق المنظمات العالمية تجاه حكوماتهم الغاشمة وحكامهم الظالمين، رغم إن مقاييس هذا التدخل ما زالت غامضة ومثيرة للكثير من الجدل، والكبير من المناقشة.

إن دائرة حقوق الإنسان قد اتسعت اليوم اتساعاً كبيراً، بحيث أصبحت تتناول قضايا لا يمكن معالجتها في نطاق إقليمي محدود، وإنما يجب معالجتها على مستوى العالم، مثل الحق في تحقيق السلام الذي أصبح يحتاج إلى تصميمات أوسع نطاقاً من الدول المتنازعة والأطراف المتخاصمة.

وهكذا يكون الحق في تحقق التنمية، الذي أضحت فيه مسؤولية الدول القادرة متجلية واضحة تجاه الدول التي تنعدم فيها إمكانات التنمية لنقص الموارد وفقد المواد الخام.

وكذلك يكون الحق في امتلاك بيئة نظيفة، عديمة التلوث، فإن ما يحدث من حرائق في الغابات وغيرها يؤثر على العالم أجمع من حيث تلويث البيئة وفساد المناخ والأجواء.

المطالبة بحقوق الإنسان

مسألة: لقد علا جهاراً وفي كل أرجاء الأرض صوت المطالبة بالحقوق السياسية وكذلك المدنية للإنسان، ونال دعماً كبيراً في عصر العولمة، وإن كانت هناك سياسات حاكمة على هذه النداءات حيث لا ترضى إلا بمصالحها لا مصلحة الإنسان بما هو إنسان.

لقد أصبحت حقوق الإنسان هي لغة العصر التقدمية، للعوامل والأسباب التي نذكر بعضها، علماً بأن الإسلام هو الذي بين أفضل حقوق الإنسان وضمنها له.

السبب الأول:

سهولة الاتصالات والارتباطات وسرعة تناقل الأخبار والمعلومات، بحيث أصبحت الكرة الأرضية على أثرها كقرية صغيرة، وأسرة واحدة، فإن في وصول أخبار الانتهاكات وهدر الكرامات، وبسرعة فائقة من أدنى الأرض إلى أقصاها، وذلك عبر الفاكس والإنترنت وما أشبه، إضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة التي جعلت كل الناس في الأرض يعيشون في رؤية وعلى مسمع من الجميع، هو نوع انتصار للإنسان ولحقوقه الضائعة، وإن كان الانتصار الحقيقي والكامل للإنسان لا يتحقق إلا في ظل الإسلام وعولمته العادلة، التي تجمع بين النمو والإزدهار والعدل والأخلاق.

نعم، بعد هذا التقدم الكبير في الارتباطات أصبح من الصعب إخفاء الانتهاكات التي يمارسها الحكام ضدّ الشعوب بالنسبة إلى حقوق الإنسان، وهذا يعتبر تطوراً هاماً وكبيراً يؤدي إلى تحقق الحريات الإنسانية، ورعاية حقوق الإنسان مستقبلاً، ويؤدي أيضاً إلى صعوبة إقامة الأسوار الحديدية مرة أخرى

ومن جديد حول أي مجتمع من المجتمعات، وذلك بعد هذه الثورة في الاتصال، والقفزة في المعلومات والارتباطات المدهشة.

السبب الثاني:

حدوث منظمات وجمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان، فإن المنظمات الدولية وجمعيات حقوق الإنسان في العالم بما فيها منظمات وجمعيات العالم الثالث، استطاعت ولو بقدر من أن توصل صوت الإنسان إلى أخيه ومن إيجاد بعض الضغوط الدولية على من لا يحترم حقوق الإنسان، علماً بأنه من اللازم استقلالية هذه الجمعيات اقتصادياً وإعلامياً وسياسياً وما أشبه، حتى لا تخضع في عملها للدول الكبرى أو ما أشبه.

وعند ذلك يكون من السهل اليسير التحرك دولياً في مواجهة الانتهاكات المحلية، كما ويمكن خارجياً أن تجعل صوتاً عالمياً لمن يحرم من صوته، وفي هذا السبيل يمكن تجنيد جميع منظمات حقوق الإنسان في العالم كله للوقوف ضد هذه الانتهاكات ومساندة نشطاء حقوق الإنسان والدفاع عنهم.

ويمكن أن تصبح هذه المنظمات والجمعيات الحقوقية المنتشرة في الأرض بذرة صالحة لشجرة مثمرة، تثمر مجتمعاً مدنياً، على مستوى العالم، ولقد أدت شبكات الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة بما فيها الفاكس والجوّال والميديا العالمية دوراً هاماً في إقامة هذه المنظمات والجمعيات واستمراريتها.

نعم إن هناك بعض التلكؤ في تحقيق أهداف هذه المنظمات والجمعيات ناتجة عن عدم استقلالية بعض هذه المنظمات، ونفوذ بعض الدول الكبرى فيها، مضافاً إلى رفض بعض الحكومات المعاصرة لمنظمات حقوق الإنسان، أو حاصلة من ملاحقتها لها باستمرار، مما اضطر الكثير من هذه المنظمات إلى أن تستمد العون من الخارج، حتى أصبحت على اثر ذلك كأنها امتداد لتلك المنظمات الخارجية،

وخسرت عندها التفاعل الحقيقي مع المؤسسات الوطنية والشعبية، كما وفقدت التعامل الصادق مع تلك الحكومات المعاصرة وشعوبها.

ولكن مع كل ذلك فقد حققت هذه المنظمات على اثر الضغط الإنساني الموجود، نجاحاً نسبياً، لكنه ليس بالمستوى المطلوب، الذي يطالب به الإسلام من حقوق الإنسان بما هو إنسان لكي يستطيع التقدم في مختلف مجالات الحياة خاصة ما يرتبط بالانفتاح في الحكم، ورعاية حقوق المعارضة، والتعددية السياسية، ونفي الاستبداد عند الحكام، واحترام حقوق الإنسان لدى الجميع.

السبب الثالث:

حصول ثورة تجارية عالمية ذات كرامة اقتصادية، والكرامة الاقتصادية تأتي بالكرامة الإنسانية، فإن التوسع المثير في حقل التجارة العالمية، والثورة التجارية هذه قد ضاعفت فُرص الاتصال بين المجتمعات المنفتحة والمجتمعات المنغلقة.

ومن المعلوم: أن هذا الاتصال المتكرر مع مختلف المؤسسات الاقتصادية الدولية يدفع إلى التعارف الأكثر، والتقدم الأكبر في مجال الوعي بالحريات الأولية من الانفتاح ونفي الاستبداد، علماً بان معظم الدول الغربية والشرقية، ومجموعة الدول الأوروبية، والمؤسسات العالمية الغربية المهتمة بعمليات التحول إلى اقتصاد السوق وصناديق التنمية، تتظاهر بالربط بين المساعدات التي تقدمها للدول النامية، وبين سجل حقوق الإنسان والتحولات السياسية: من نفي الاستبداد ودعم الانفتاح في هذه الدول.

واللازم أن تصبح قضية الدفاع عن حقوق الإنسان أمر حقيقي لا يمكن لأحد أن يتجاوزه.

ومن الواضح أن ازدهار الحريات ونفي الاستبداد يؤثر إيجابياً على حقوق الإنسان ويسبب كرامته السياسية والمدنية.

المسلمون والعولمة الغربية

مسألة: يلزم على الأمة الإسلامية ومثقفيها أن تتخذ الأسلوب المناسب تجاه مساوئ هيمنة العولمة الغربية.

فإن ما تقدم من تصريحات بوش الأب، واعترافات الخبير الأمريكي، والمواقف العملية للحكام الأمريكان، بل المواقف العملية لحكام الغرب والشرق كلهم، تتطلب منا ونحن في جانب آخر من العالم أن نحدّد موقفنا من هذه الهيمنة الغربية الظالمة، كما إن علينا ونحن نعيش في البلدان الإسلامية أن نقرر طريقة مواجهة هذا التحدي، وأسلوب هذه المواجهة، آخذين بالحسبان ما نحن مقبلين عليه من القرن الواحد والعشرين قرن تعارف الثقافات وتقاربها، واختيار الأحسن منها، كما قال تعالى: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...**﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿**فبشر عبادِ ۞ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾(٢).

ويجب أن يكون ذلك بأساليب أكثر نجاحاً من تلك التي واجهنا بها سابقاتها، مثل مواجهة هجمات نابليون بونابرت على مصر أواخر القرن الثامن عشر، أو تلك التي قوبل بها سقوط الأمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى أوائل القرن العشرين.

والأسلوب الناجح هو اتباع سياسة رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام من سياسة السلم واللاعنف والاكتفاء الذاتي والتطور العلمي والعملي وما أشبه.

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

نصيب المسلمين من العولمة

مسألة: إن نصيب المسلمين من العولمة الغربية إذا لم ينتبهوا ولم يتداركوا الأمر بالرجوع إلى القوانين الإسلامية المنسية، هو الغزو الاستعماري بنسبة أو بأخرى في العديد من المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وما أشبه، وقد ذكر «بول اشميد» وهو عالم ألماني، في كتاب له كتبه قبل نصف قرن تقريباً يحذّر فيه الغربيين من المسلمين، ويحرّضهم على إشعال الحروب الصليبية وإعادتها ضدّهم، ويعلّل ذلك بأن المسلمين سوف يتغلبون عليهم لولا تدارك الأمر، وذلك لنقاط القوة الموجودة عند المسلمين، ثم يلخصها في أربع نقاط كالتالي:

١: قوة اقتصادهم، للثروات الطبيعية والمعدنية التي يمتلكونها.

٢: كثرة نسلهم، وازدياد عددهم، حيث إنهم يعملون بما أوصاهم نبيّهم ﷺ بقوله: «تناكحوا تناسلوا تكثروا، فإنّي أُباهي بكم الأُمم يوم القيامة ولو بالسقط»[١].

٣: موقعهم الجغرافي المهم، فإن منطقتهم منطقة حساسة، تتربع على الوسط الرابط بين طرفي العالم، وتشرف على المياه الدافئة، وما إلى ذلك.

٤: وثّابية دينهم، وانتشاره السريع، واستقطابه للجماهير، وذلك بسبب ما يحمله من سهولة ومرونة، وانفتاح وحرية، ومنطق وعقلانية، وجد واجتهاد، وحركة واستمرار، إنه يدعوهم للنشاط الدائم، والابداع المستمر، والابتكار المتطور.

---

(١) جامع الأخبار: ص١٠١ ف٥٨ في التزويج.

نعم إن الإسلام يؤكد على التنافس في الخير والتقدم، قال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من استوى يوماه فهو مغبون»[٤].

مضافاً إلى روايات المحاسبة التي تحث على عمل الخير والتقدم الأكثر يوماً بعد يوم، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن النهار إذا جاء قال يا ابن آدم اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك به عند ربك يوم القيامة فإني لم آتك فيما مضى ولا آتيك فيما بقي فإذا جاء الليل قال مثل ذلك»[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «المغبون من غبن عمره ساعةً بعد ساعة»[٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة»[٧].

---

(١) سورة الحديد: ٢١.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٣.

(٣) سورة البقرة: ١٤٨، سورة المائدة: ٤٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٩٤ ب٩٥ ح٢١٠٧٣.

(٥) الكافي: ج٢ ص٤٥٥ باب محاسبة العمل ح١٢.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٩٤ ب٩٥ ح٢١٠٧٢.

(٧) معاني الأخبار: ص٣٤٢ باب معنى المغبون ح٣.

وعن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسناً استزاد الله وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»(١).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة من همك وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزوجل فأعد جواباً»(٢).

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم»(٣).

وعن أبي ذر في وصية النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهز للعرض الأكبر يوم تعرض، لا تخفى منك على الله خافية، إلى أن قال: يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حل أم من حرام، يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عزوجل من أين أدخله النار»(٤).

وقال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، فقال رجل: يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣١١ ب٢٥ ح١.

(٢) الأمالي للطوسي: ص١١٥ المجلس ٤ ح١٧٦.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٠٨.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٤٦٥ ب٢ فصل ٥ في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري.

نفسه وقال يا نفسي إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه بما أفنيته، فما الذي عملت فيه، أ ذكرت الله، أم حمدته، أ قضيت حوائج مؤمن فيه أنفست عنه كربه، أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده، أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه، أكففت عن غيبة أخ مؤمن، أعنت مسلماً ما الذي صنعت فيه، فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصيةً أو تقصيراً، استغفر الله وعزم على ترك معاودته»[١].

وهذا كله مما جعل المسلمين الأولين يقفزون إلى الامام قفزات كبيرة و سريعة، وينشرون الإسلام في أقصى نقاط الارض، وأبعد مناطق المعمورة، وذلك كما هو مذكور في التاريخ.

ثم إن الغربيين ومنذ اتفاقية وعد بلفور في سنة ألف وثلاثمائة وستين هجرية تقريباً، وبعد مئات الاتفاقيات، بَنَوْا على استعمار البلاد الاسلامية واستثمار المسلمين، أي: اتفقوا على مبدأ السيطرة العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والاعلامية لبلاد الاسلام والشعوب المسلمة، وهذا ما حصل فعلاً وذلك للاطماع الاستعمارية في تلك الجهة، وقبول الاستعمار في هذه الجهة لقلة الوعي والابتعاد عن القوانين الإسلامية وعدم أهلية الحكام.

نعم، إن الغربيين بصورة عامة والأمريكان بصورة خاصة يسعون في فرض هيمنتهم وتقليص الشخصية غير الغربية وغير الامريكية وتحجيم دورها، وخاصة الشخصية الإسلامية في مجتمع العولمة الجديدة، ولكن مع كل ذلك فإن للعولمة الإسلامية المطابقة مع الفطرة الإنسانية كل أسباب النمو والتقدم والإزدهار، فعلينا نحن المسلمين السعي لتعريف العالم بها.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٩٨ ب٩٦ ح٢١٠٨١.

البلدان الإسلامية والعولمة الاقتصادية

مسألة: إن النظام الاقتصادي العالمي، المعبّر عنه بالعولمة الاقتصادية، يشكل تأثيراً كبيراً على البلدان الإسلامية واقتصادياتها، إذ وراء هذه العولمة خبراء اقتصاديون وحكام سياسيون لا يفكرون إلا في مصالحهم الشخصية ومنافعهم الفردية، وهذا ينذر الإنسانية كلها وليس المسلمين فحسب بالشر والخطر.

وعليه: فالعالم الإسلامي مهدد كله بأخطار العولمة الاقتصادية، ولكنه في نفس الوقت نراه يعيش حياة التناحر والتآكل، والترهل والتهميش، فاقداً لأي موقف صحيح وهادف للدفاع أو للهجوم.

إن محاولات الضغط والكبت، والاستضعاف والاستثمار التي تحاك ضد البلدان الإسلامية إنما هي من أجل زلزلة أمنها، وزعزعة استقرارها، وتعطيل مؤهلاتها، وسحق كفاءاتها، كي يُلجئوها الى الدخول في تيار العولمة الغربية بأضرارها، وبالسباحة القهرية وفقها، والانتماء الى التدويل الشامل للاقتصاد، أو العولمة الاقتصادية بعبارة أخرى.

أثر العولمة على البلدان الإسلامية

إنّ الكلام الساخن حول ظاهرة العولمة وحول أثرها الاقتصادي على البلدان الإسلامية لا يزال قائماً بين ثلاثة آراء فكرية أو أكثر:

١: الرأي القائل بتحبيذ العولمة وتحسينها على وجه العموم، ويستدلون له بأنهم سيستفيدون من التقدم التقني، والتطور الصناعي المتسارع، والتكامل الاقتصادي العالمي، ويأملون باستصلاح حال الناس اقتصادياً، وحصول ملايين

البشر على حياة فضلى، مع إذعانهم بأن العولمة هذه تستلزم خسارة البلدان الإسلامية لبعض الشيء من سيادتها على اقتصادها وتوجيهه كما تريد وكيف تشاء.

هذا ولا يخفى إن المدافع عن هذا الرأي هم: قسم من رجال الأعمال، وأمريكا، والمؤسسات الثلاث للعولمة: الصندوق والبنك الدوليين والمنظمة العالمية للتجارة.

٢: الرأي القائل بواقعية العولمة وموضوعيتها، وإنها نتيجة طبيعية للتطور العلمي والتقني، وقوى الانتاج الرأسمالي، إنها تؤدي على التقارب بين مختلف الاقتصادات، إنهم يرون للعولمة هذه المحسنات، ويرون الى جانبها مساوئ أيضاً، من أهمها هو: أن الذي يحصل على منافعها قليل من الدول التي لا يتجاوز عدد سكانها ٢٠٪ من إجمالي سكان العالم، بينما أضرارها تمس أغلب البلدان النامية، وتسبب زيادة مشاكلها الاقتصادية، وتقضي على التنمية فيها.

ثم إن المدافع عن هذا الرأي هم: قسم من القوى اليسارية، وهواة الاشتراكية المقيمين في البلاد الرأسمالية، وبعض أصحاب الفكر القاطنين في بلاد العالم الثالث.

٣: الرأي القائل بشرارة العولمة ومضارها، وإنها من تبعات النظام الرأسمالي العالمي، لأنها تقصد تعويض اقتصادات الدول الرأسمالية عن تقلّص أسواقها الداخلية، بنقل أكثر عمليات الإنتاج ـ وخاصة الصناعات المنحطّة والمضرة للبيئة والناس ـ إلى البلدان النامية، مع إمساك قيادة الإنتاج في العالم بيدها.

وعليه فالرأسمالية تريد حلّ مشاكلها الاقتصادية عن طريق عولمة الاقتصاد، بمعنى: أنها تريد تصدير مشكلاتها الاقتصادية إلى بلدان العالم

الثالث، لتتخلص هي منها، وتلقي بثقلها عليهم وإن أدى ذلك إلى خلق مجتمع طبقي بغيض فيهم.

ولا يخفى: إن المدافع عن هذا الرأي هم: القسم الأعظم من أصحاب القوى السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، في البلدان النامية، المطلعة على ما يعانيه الناس من ويلات النظام الطبقي غير العادل، المؤدي الى الفقر والحرمان، والجهل والأمية، والمرض والتبعية، والسلب والنهب لثروات بلدان العالم الثالث عن طريق الشركات متعددة الجنسيات، وبواسطة التبادل التجاري غير المتكافئ وغير العادل.

موقفنا تجاه العولمة

مسألة: من المهم أن نعرف نحن المسلمين مخاطر العولمة الحديثة وأضرار سيطرة أمريكا وغيرها من الدول الغربية على العولمة الجديدة، فإن هذه العولمة لا تفكّر إلاّ في نفسها، ولا تبصر الأمور إلاّ بالمنظار المادي البحت، وتخطط للقضاء على الإسلام والمسلمين، لأنها تراهما يدعوان إلى عولمة صحيحة، لاتبتني على الهيمنة والاستثمار، والاستبداد والاستضعاف، وإنما تبتني إلى جانب النمو والازدهار على المُثل والقيَم، وعلى العدل والقسط، وعلى الرحمة والرأفة، وعلى التعاون والتوادد، وعلى التباذل والتواصل.

علماً بأن البقاء إنما يكون للذي بنى أساسه على العدل والقسط، والعاقبة إنما تكون للذي رصّ بنيانه على قواعد الفطرة والعقلانية، بينما الذي أسس بنيانه على خلاف ذلك، كان مصيره الزوال والسقوط، كما سقط النظام الشيوعي، وبادت الاشتراكية وزالت إلى غير رجعة.

ولكن مع ذلك فإن الدنيا دار أسباب ومسببات وكانت وستكون للعاملين فيها وقد قال الله سبحانه: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[1].

وقال عزوجل: **﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء﴾**[2].

وعليه: فإن كان المسلمون هم العاملون ـ عملاً مرضياً لله ورسوله،

---

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) سورة الإسراء: ٢٠.

ومطابقاً للقرآن والإسلام ومؤطراً بإطار العصر ومتطلبات الحياة الجديدة ـ انتصر الإسلام وساد الدنيا، وعم الجميع رحمته وعدله.

وإن كان العاملون هم الغربيون، وهم اليوم كذلك، أي: على خلاف المسلمين المتقاعسين عن العمل، انتصر الغرب وسادوا الدنيا، وعمّ الجميع أضرارهم وظلمهم، كما هو اليوم حال الدنيا وحال أهلها، ففي كل نقطة من نقاط الدنيا وخاصة في بلدان العالم الثالث حرب ودمار، وجوع وفقر، ومرض وحرمان، وظلم واستبداد، وإلى آخر ما في قائمة الشقاء من ألفاظ وكلمات.

وهذه هي أيضاً سنّة الله تعالى في الحياة، حيث جعل الدنيا للعاملين، سواء كانوا من أهل الحق كالمسلمين، أو من أهل الباطل كالمستعمرين.

كما إن سنة الله تعالى هذه قد جعلها سبحانه في الدنيا للاختبار والامتحان، حيث إن الدنيا دار اختبار واختيار، وللإنسان أن يختار الحقّ أو الباطل، وأن يعمل أو يتقاعس عن العمل، وأن يكون مخلصاً في عمله أو مرائياً، وأن يجدّ في عمله أو يتماهل، فحيث إن الدنيا دار اختبار واختيار، يمدّ الله تعالى كلا الفريقين: أهل الحق، وأهل الباطل، بالأسباب والوسائل، وبالحول والطَول، كما قال تعالى: ﴿**كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك**﴾[1]. وذلك ليُري الله تعالى الناس أنفسهم المخلص منهم من المرائي، والمحق من المبطل، وليوقفهم على مدى قدر أنفسهم، ويعرّفهم مبلغ استحقاقهم من الأجر والثواب أو العذاب والعقاب، حتى لا يقول أحد يوم القيامة: ليس هذا هو ما استحقّه من الثواب والجنة، أو من العقاب والنار.

نعم هذه هي سنّة من سنن الله تعالى في الحياة، وقدره وقضاؤه، ولكن هناك سنة أخرى وهو الوعد بالفتح والنصر المطلق للمسلمين المؤمنين وذلك في

---

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

زمن ظهور الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فعند ذلك سيأتي الله بالفتح، وينصر الحقّ وأهله، ويدحض الباطل وأهله، وينقذ الناس من الشقاء والعذاب، ومن الجهل والفقر، ويذيقهم رغد العيش، وسعادة الحياة، وحلاوة الأمن والاستقرار، وذلك كما أخبر تعالى في كتابه الكريم حيث قال: **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[(١)].

وكما قال سبحانه: **﴿وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**[(٢)].

وكما قال عزّوجلّ: **﴿قل جاء الحقّ وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾**[(٣)].

وعسى أن يكون ذلك اليوم قريبا إن شاء الله، فتعم العولمة الصحيحة تحت ظل الإسلام الحكيم كل بقاع الأرض، وتنشر رحمتها على كل الأنام، وتقضي على العولمة المعاصرة الظالمة.

---

(١) سورة القصص: ٥.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

(٣) سورة سبأ: ٤٩.

مجابهة العولمة الاقتصادية الغربية

مسألة: إن الله تعالى جعل المسلمين أمة واحدة بقوله سبحانه: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾[1]، وجعل لها حضارة عريقة، وأسلوباً جديداً في الأمور الحيوية، ومنهجاً حديثاً في الشؤون الاقتصادية حيث قال تعالى: ﴿**فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون**﴾[2] ورزقهم رغبة ملحّة في بناء مستقبل أجيالهم.

وعليه: فلابدّ لنا نحن المسلمين أن نترك السياسات الاقتصادية القطرية الضيقة التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، إلى سياسة التكتل الاقتصادي الاسلامي الضخم، لمواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية العملاقة، ولابد من اغتنام الفرصة وانتهازها للدخول في النظام العالمي الجديد: العولمة، وتحديها بوضع أسس التعاون الاقتصادي الإسلامي، وإراءة نظام اقتصادي كامل وشامل، يجمع بين النمو والإزدهار، والعدل والأخلاق.

وهنا لابد من الإشارة إلى بعض الإجراءات التي بواسطتها يمكن مواجهة العولمة الغربية، وصد أمواج فسادها ودمارها.

الإجراء الأول:

مسألة: يلزم طرح أصول الاقتصاد الإسلامي المستنبط من القرآن الكريم والسنة الشريفة، من مثل قوله تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض**

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٩.

جميعاً﴾[١].

ومثل قوله سبحانه: **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾**[٢].

ومثل قوله عزوجل: **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾**[٣].

ومثل قوله تعالى: **﴿والذين في أموالهم حق معلوم✿ للسائل والمحروم﴾**[٤].

ومثل قوله سبحانه: **﴿وأقرضوا الله قرضاً حسنا﴾**[٥].

ومثل قول النبي صلى الله عليه وآله: «الناس مسلطون على أموالهم»[٦].

ومثل قوله صلى الله عليه وآله: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه»[٧].

ومثل قوله صلى الله عليه وآله: «الأرض لله ولمن عمرها»[٨].

ومثل قوله صلى الله عليه وآله: «من سبق إلى ما لا يسبقه إليه المسلم فهو أحق به»[٩].

ومثل قوله صلى الله عليه وآله: «من ترك ضياعاً فعليّ ضَياعه[١٠]، ومن ترك ديناً فعليّ دينه»[١١]. إلى غيرها من الآيات والروايات الشريفة.

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٣) سورة البقرة: ١٨٨.

(٤) سورة المعارج: ٢٤-٢٥.

(٥) سورة الحديد: ١٨ ﴿وأقرَضوا﴾، سورة المزمل: ٢٠ ﴿وأقرِضوا﴾.

(٦) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٧.

(٧) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٢٢ ف٩ ح٩٨.

(٨) الكافي: ج٥ ص٢٧٩ باب في إحياء أرض الموات ح٢.

(٩) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٢٠٩٠٥.

(١٠) الضَياع: العيال، انظر مجمع البحرين: ج٤ ص٣٦٧ مادة ضيع.

(١١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢١١ ب٨٤ ح١١.

ثم دعوة اقتصادي العالم إلى مدارسته ومذاكرته وإراءة أفضل الطرق إلى تطبيقه وتنفيذه، فإن الاقتصاد الإسلامي قد أثبت جدارته في إنقاذ البشر من الفقر، وإرغاد العيش للجميع، وهو اليوم قادر على تحقيق أمنيات الناس في الحياة من كل الجهات المادية بل وحتى المعنوية أيضاً، وذلك لأنه قانون السماء الذي جاء به الوحي لإنقاذ أهل الأرض من الفقر والحرمان.

الإجراء الثاني:

مسألة: يلزم العمل لإيجاد مركز إسلامي اقتصادي عالمي، يقوم بتقييم السبل التطبيقية، واقتراح السياسات الاقتصادية الإسلامية، ويسعى لتحجيم وتحديد الاختلافات الموجودة بينها، وهذا بحاجة إلى جمعية استشارية تضم خبراء الاقتصاد الإسلاميين للتفكير في الأساليب والسياسات الاقتصادية الإسلامية في ظل المتغيرات الدولية والعالمية.

الإجراء الثالث:

مسألة: يلزم العمل لتعديل السياسات النقدية والمالية، والصادرات والواردات في التجارة الخارجية التي تخالف القوانين الإسلامية، فيجب توفيقها مع الاقتصاد الإسلامي القويم.

الإجراء الرابع:

مسألة: يلزم دعم ما تقدمه البلدان الإسلامية من الإصلاحات الاقتصادية في مجال التطبيق، المنطبقة مع الاقتصاد الإسلامي، وذلك تسهيلاً للحضور الفاعل في مجال التكتلات الاقتصادية العالمية.

الإجراء الخامس:

مسألة: يلزم العمل على قيام سوق إسلامية لرأس المال وحركته على مستوى البلدان الإسلامية، ووضع إطار تطبيقي يتلاءم مع المتغيرات الحاصلة في الأسواق العالمية للاقتصاد.

الإجراء السادس:

مسألة: يلزم العمل على ارتقاء القدرات البشرية، والإمكانات التقنية، وذلك على مستوى البلدان الإسلامية.

الإجراء السابع:

مسألة: يلزم العمل لتحرير المبادلات التجارية من كل القيود والمضايقات، مثل: انتقال عناصر الإنتاج، والمنتجات وقوة العمل، والأشخاص، ورأس المال المؤطر بإطار الاقتصاد الإسلامي فيما بين البلدان الإسلامية، فلا جمارك ولا ضرائب بين البلاد الإسلامية، مضافاً إلى حرية الملكية الشخصية في إطارها الإسلامي الصحيح، وحرية الإرث بلا فرض الضرائب عليه.

الإجراء الثامن:

مسألة: يلزم العمل على استشراف آفاق المستقبل، ورسم صورة مستقبلية لموقع البلدان الإسلامية في المحيط الاقتصادي الإقليمي والدولي، وتحديد مفهوم معيّن للأمن الإسلامي، وتصوير إمكان قيام السوق الإسلامية المشتركة، وما يرتبط بها من الحرية الاقتصادية، والمنافسة، والحماية، والدعم.

الإجراء التاسع:

مسألة: يلزم العمل من أجل الوصول إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي في البلدان الإسلامية، ووضع أسس لبناء القدرة التنافسية علماً بأن التنافس التجاري والصناعي يعد من أهم عناصر التنمية الشاملة في البلدان الإسلامية.

الإجراء العاشر:

مسألة: يلزم السعي للاستفادة من التجارب الاقتصادية العالمية في مجابهة العولمة كالتجربة الصينية وغيرها.

أجل إن في التجربة الصينية وتعاملها مع العولمة الغربية درساً هاماً، وعبرة بليغة لجميع الدول النامية بصورة عامة، والأقطار الإسلامية بصورة خاصة، فإن الصين تمكنت من ممارسة عملية التنمية بجناحيها: الاقتصادي والاجتماعي، معتمدة على إمكاناتها الداخلية وطاقاتها الذاتية بالدرجة الأولى، ومحاولة إصلاح اقتصادها الاشتراكي إصلاحاً جذرياً، ومتعاملة مع العولمة بعقل مفتوح ومن موقع قوة الاقتصاد الصيني، فأضحت بذلك ذات سوق متحركة، وفي نفس الوقت قادرة على أن تجذب الاستثمارات الخارجية الخاصة والعامة إليها، حتى أصبحت تنافس الاقتصاد الغربي في كثير من الموارد.

نعم، إن المستقبل هو للتكتلات الاقتصادية والجمعيات الاستثمارية العظمى، فإن الدنيا تخطو خطوات كبيرة نحو عالم التقنية والمعلوماتية، ونحو الشركات الكبرى والمعامل الأم، ونحو عالم الإدارة المحنكة والقرار النافذ، ومن هذا المنطلق ينبغي للبلدان الإسلامية أن تخطو خطوات سريعة وحاسمة، كبيرة وجبارة، لتحقيق هدف التكامل في تطبيق الاقتصاد الإسلامي، وإراءة صورة

الوحدة الاقتصادية الإسلامية، التي بدونها لن يقدر المسلمون على إقامة اقتصاد ناجح ومتين، يتحدى الآخرين على البقاء والمنافسة في عالم الاقتصاد المعاصر، ودنيا المبادلات التجارية الناشطة.

الحكام من وراء ضعف المسلمين

مسألة: إن العولمة الإسلامية رغم توفرها على كل مستلزمات العولمة الصحيحة، واشتمالها على الكفاءات الذاتية، حيث إنها تجمع بين النمو والازدهار، والعدل والأخلاق، وهي الأمور المقومة للعولمة الصحيحة، والتي لم تتوفر في العولمة الغربية وغيرها، إلا أنها لسوء تصرف الحكام المتطفلين على الإسلام، وسوء تعامل الحكومات الأموية والعباسية والعثمانية المتسلطة على المسلمين بلا شرعية، بقيت العولمة الإسلامية مقصورة على البلاد الإسلامية، ومحصورة بين جوانحها، بل وضائعة أيضا حتى بين المسلمين أنفسهم، وما ذلك إلا بذنب من الحكام المستبدين، والحكومات الظالمة، التي استلمت مركز القيادة الإسلامية بلا شرعية، ولا تأييد من المسلمين، فجنت على الإسلام بهجر عولمته، وعلى المسلمين بنسيانها واتباع مظاهر العولمة الغربية.

العولمة والتعولم

مسألة: لا يخفى إن المسلمين وعلى اثر الظروف القاسية التي مرّت بهم، واستبداد حكامهم، ودكتاتورية حكوماتهم، وعدم تطبيقهم الإسلام تطبيقاً صحيحاً، حيث اكتفى بعضهم من الإسلام بإجراء حدوده وقوانينه الجزائية فقط وذلك من دون مراعاة الشروط التي يلزم توفرها، مما أدى إلى تشويه سمعة الإسلام، وتمويه حقيقته الناصعة، فتسبّب ابتعاد المسلمين عن واقعهم، ورفع أيديهم عن ظواهرهم الإسلامية، وسرعة تهافتهم على الظواهر المستوردة، شرقية كانت أم غربية، فقد أصبح كثير منهم جراء ذلك لا يحتاجون إلى من يدعوهم إلى التعولم، إذ هم اليوم متعولمون وداخلون في العولمة الحديثة، فترى أسماءهم عبارة عن: محمد وأحمد وحسن وحسين وعلي وزهراء وفاطمة، ولكنّهم يتشبثون بالمظاهر الشرقية أو الغربية في كثير من أُمورهم.

مثلاً: يتبعونهم في الوجبات السريعة المتواجدة على شكل سلسلة مطاعم، وكذلك في الأثاث والأجهزة، وفي الكلام واللغة، وفي السلوك والسيرة، وفي الشكل والصورة، وفي الهندام والمظهر، وفي التزيين والتجميل، وفي الأزياء والألبسة، وفي العلاقات والعشرة، وفي باقي أمورهم وسائر شؤونهم.

إذن: فنحن داخلون في العولمة الغربية بالمفهوم الغربي، في كثير من خصوصياتنا ومزايانا، لا أننا نريد أن نتعولم وندخل في العولمة.

هذا وقد نهى نبي الإسلام ﷺ المسلمين عن التشبّه بغير المسلمين كما هو معروف، فكيف بمزاولة كل خصوصيات الحياة عندهم؟

وقد جاء في الحديث: «من تشبّه بقوم عُدّ منهم»[١]، فكيف بمن أصبح مثل قوم في جميع خصوصياتهم؟ فهو جزء منهم، لا أنه محسوب عليهم.

أجل، لقد أصبح الكثير من المسلمين اليوم متعولمين سلبياً بما للكلمة من معنى، يعني: إنهم أضحوا يقلدون الغربيين في سيّئاتهم وسلبياتهم، دون تطورهم وتقنيتهم، إنهم تركوا العلم والعمل، والفن والصنعة التي تقدموا فيها ببركة الإسلام، وأخذوا منهم الميوعة والاستهتار، والمجون والخلاعة، والمسكرات والمخدّرات، والإدمان والفساد، وكل السلبيات والسيّئات التي أفسدت الغرب وأنهكته، وأعجزت الغربيين عن معالجتها وإصلاحها، إذ ليس لها علاج إلا في تعاليم الإسلام، ولا إصلاح إلا باتباع نهج القرآن، وقد ابتعد الناس عن الإسلام والقرآن جهلاً وربما عناداً، ولذلك لا يجدون لأزماتهم حلاً، ولا لفسادهم إصلاحاً، ولا لمرضهم علاجاً.

لقد أخذ المسلمون فساد الغرب، فابتلوا بمرضهم ودائهم، ووقعوا في أزماتهم ومآسيهم، إنهم تركوا تعاليم الرسولﷺ في الزواج المبكّر، وتكوين الأسرة المبكّرة، فابتلوا بالعزوبة، وبويلاتها من أمراض نفسية وجسدية، وفردية واجتماعية.

وقد روى سلمان عن رسول اللهﷺ : بأن البنت إذا بلغت كانت كالثمرة إذا أينعت، فإذا لم تقتطف الثمرة فسدت، فكذلك البنت إذا لم تزوّج، ثم إنها إذا لم تزوج وارتكبت فاحشة، كتب إثمها على أبيها وكل من كان أمرها بيده ولم يزوّجها.

وفي حديث آخر: إن رسول اللهﷺ كان إذا رأى شاباً سأله عن أمرين: إنّه متزوج أم أعزب، وإنّه ذو شغل أم عاطل؟ فإذا قال: لا شغل لي قالﷺ: سقط

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٤٤٠ ب٣٥ ح٢١٨٠٤.

من عيني[١]، وإذا قال: لا زوجة لي، شدّد معه رسول الله ﷺ وأمره بأن يتزوج ولا يبقى عزباً[٢].

وفي حديث آخر: إن رسول الله ﷺ كان يسأل النساء أيضاً عن أنهنّ متزوجات أم لا؟ وإذا لم تكن إحداهنّ متزوجة سعى ﷺ في زواجها.

هذا مضافاً إلى ما جعل الإسلام من الأهمية للمرأة، وما أعطاها من العزّة والكرامة، وما منحها من العناية والشرافة، إنه أعلى شأنها ومقامها، وعرفها بالريحانة، وبالقوارير، وعلى الإنسان مداراة الرياحين والرفق بالقوارير.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال في رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن عليه السلام: «لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[٣].

و عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً، قال: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها»[٤].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها»[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اتقوا الله في الضعيفين» يعني بذلك اليتيم والنساء[٦].

وعن يونس بن عمار قال: زوجني أبو عبد الله عليه السلام جاريةً كانت لإسماعيل

---

(١) راجع مستدرك الوسائل: ج١٣ ص١١ ب٢ ح١٤٥٨١.

(٢) راجع مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٥-١٥٦ ب٢ ح١٦٣٥٩.

(٣) الكافي: ج٥ ص٥١٠ باب إكرام الزوجة ح٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٩ ب٨٨ ح٢٥٣٣٠، وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥١١ ب١ ح٢٧٧١٨.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٩ ب٨٨ ح٢٥٣٣٠.

(٦) بحار الأنوار: ج٧٦ ص٢٦٨ ب١٠٣ ح٤.

ابنه، فقال: «أحسن إليها» فقلت: وما الإحسان إليها، فقال: «أشبع بطنها واكس جثتها واغفر ذنبها»[(١)].

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة»[(٢)].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أ يضرب أحدكم المرأة ثم يظل معانقها»[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عيال الرجل أُسراؤه، وأحبّ العباد إلى الله عزّوجلّ أحسنهم صنعاً إلى أُسرائه»[(٤)].

وقال صلى الله عليه وآله: «ألا خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»[(٥)].

وقال صلى الله عليه وآله: «أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله وأنا ألطفكم بأهلي»[(٦)].

روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا أُخبركم بشرّ رجالكم»؟

فقلنا: بلى.

فقال: «إنّ من شرّ رجالكم البهّات البخيل الفاحش، الآكل وحده، المانع رفده، الضارب أهله وعبده، الملجئ عياله إلى غيره، العاقّ بوالديه»[(٧)].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥١١ باب حق المرأة على الزوج ح٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧٠ ب٨٨ ح٢٥٣٣٣.

(٣) الكافي: ج٥ ص٥٠٩ باب إكرام المرأة ح١.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٥٥ باب النوادر ح٤٩٠٩.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧١ ب٨٨ ح٢٥٣٤٠.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٣ ب١٠٤ ح١٥٩٢٨.

(٧) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٣٤ ب٧ ح٢٤٩٥٨.

بين العولمتين الإسلامية والغربية

مسألة: إن الفرق بين العولمتين أعني: العولمة الإسلامية والعولمة الغربية، هو كالفرق بين الاستقامة والانحراف، إذ في العولمة الغربية يكون الهدف صبّ العالم في منهج غربي خاص به اقتصادا واجتماعا، وسياسة وثقافة، وتربية وسلوكا، إلى آخر هذه القائمة، وذلك لتحصيل الربح المادي الأكثر.

ومن المعلوم: أن كل ذلك الذي يحتويه المنهج الغربي من الفساد والأضرار مخالف للدليل المنطقي والقانون العقلي والفطري، فلا الاقتصاد صحيح، ولا السياسة صحيحة، ولا السلوك سليم، ولا الثقافة سليمة، ولا الاجتماع مستقيم، ولا التربية مستقيمة، وهكذا.

والدليل على عدم الصحة والاستقامة هو: نسيان جانب الروح، بل تناسيه، مع أن جانب الروح هو الجانب الأهم بالنسبة إلى بقية الجوانب في الإنسان، فإنه على أكثر التقادير للروح نصف الأهمية، وللبدن النصف الآخر، ولكن مع كل ذلك نرى خصوصيات العولمة الحديثة منحصرة في البدن فقط مضافاً إلى انحصاره أيضا لصالح البعض لا الإنسان بما هو إنسان.

نعم إنّ العولمة الغربية المنحصرة في البدن والماديات مخالفة للعقل والعقلانية والفطرة السليمة، فإنهم يجعلون الآثار للشهوات المنحطة، والمُتع الرخيصة، ويتغافلون عن عواقبها الوخيمة، وتبعاتها المدمّرة، التي تجر الويلات على الفرد والمجتمع.

ثمّ إن من الواضح: أن الذي قد أخذ بزمام العولمة في الحال الحاضر هو: الغرب بما فيه أمريكا، واليابان، والاتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى سعي أمريكا

الحثيث والجاد لفرض هيمنتها في كل الشؤون على النظام العالمي، ولا يخفى ما في ذلك من المآخذ والمشاكل، والمآسي والويلات.

ثم إن للغرب آليات لهذا الشيء، مثل منظمة التجارة العالمية، وهي تسعى لفرض هذه الآليات على الجميع، كالشركات المتعددة الجنسيات، والحلف الأطلسي، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومجلس الأمن، ووسائل الاتصالات والإعلام، والأبحاث الإلكترونية، والأبحاث الكيماوية، وشبكات القنوات الفضائية، وشبكات الانترنيت، وهذا التصرف من دون ملاحظة مصالح الإنسانية غير صحيح كما لا يخفى.

أما العولمة في الإسلام فهي نزعة إنسانية، وطريقة فطرية بشرية، قد أسس أساسها الرسول الأعظم ﷺ بأمر من الله تعالى، مع تقويم منه للمنحدرات والإعوجاجات، وقد صرّح القرآن الحكيم بذلك ودعا إليه في آيات متعددة كقوله تعالى: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**بشيراً ونذيراً**﴾[3] حيث أطلق التبشير والإنذار، فكل انحراف وراءه إنذار، وكل استقامة بين يديها بشارة.

وقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافة للناس**﴾[4].

ولذا فقد أرسى الإسلام أساس العلم وجعله لخدمة الإنسان، وليس العلم

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة البقرة: ١١٩، سورة سبأ: ٢٨، سورة فاطر: ٢٤.

(٤) سورة سبأ: ٢٨.

للعلم، أو لخدمة الظلم والعدوان، بينما نشاهد اليوم أنّ العلم صار بعضاً منه للعلم، كما فعل أصحاب النظريات العلمية الجافة والعقيمة، التي لا تمتّ إلى الإنسان ومنافعه بصلة، وبعضاً للتحريف والتدمير كما فعل مخترعو وسائل التجسس والتعذيب، وصانعوا القنبلة الذرّية والنووية والجرثومية وما أشبه ذلك.

العولمة الإسلامية وأهم مميزاتها

مسألة: العولمة الإسلامية تمتاز بامتيازات هامة على العولمة الغربية وذلك في مختلف الأصعدة، وجميع المجالات النظرية والتطبيقية، والمادية والمعنوية، ولعل أهم ما يميز هذه العولمة ومن جوانب متعددة هو ما يلي:

١: يميز العولمة الإسلامية من حيث الإطار النظري العام: المفهوم الديني أو الوازع الإلهي الذي يهذّب النفوس ويطبع القلوب على محبة الآخرين، وإيصال النفع إليهم، ودفع الضرّ والشرّ عنهم، وذلك لأن الإسلام دين سماوي وليس موضوعاً من الموضوعات البشرية.

٢: ويميز العولمة الإسلامية من الناحية التطبيقية، نظراً لما سبق من سوء تصرف الحكام المستبدين والحكومات الظالمة المتطفّلة على الإسلام والمسلمين: المعاناة من ضعف وقصور حادّين، فهو بحاجة إلى مدارسة الأخصّائيّين من علماء الدين والدنيا لإراءة أفضل الطرق التطبيقية، المؤدية إلى الاستفادة المستقيمة والصحيحة من مواد العولمة الإسلامية، القادرة على إرغاد حياة البشر، وإسعاد بني الإنسان دنياً وآخرة، فإن العولمة الإسلامية هي وحدها من بين الجميع، الجامعة للنمو والإزدهار، والعدل والأخلاق.

٣: ويميز العولمة الإسلامية من الجانب المادي والمالي: عدم المراباة، فإن

عدم المراباة هو الميزة الجوهرية للاقتصاد الإسلامي، حيث لا يَظلم صاحب رأس المال ولا يُظلم، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ۞ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

وهذه الميزة اللاربوية هي من مفاخر وخصائص هذا الاقتصاد السماوي السليم، وبها يتميز ويتفرد وبشكل واضح عن الاقتصاد الرأسمالي وعن الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي البائد، وقد أخذت العديد من البنوك في العالم نظريات البنك اللاربوي في الإسلام، الذي هو واقعاً مصداق البنك التساهمي، والذي لايحيف بزبائنه، بل يتحمل كل منهم كلاً من الربح والخسارة، مع الخضوع لمتغيرات السوق وتقلباته.

٤: ويميز العولمة الإسلامية من الجانب المعنوي والأخلاقي: عدم الاحتكار، فإن عدم الاحتكار هو ميزة جوهرية أخرى للاقتصاد الإسلامي، إذ لا زالت السياسة الاقتصادية العالمية الإسلامية من يومها وحتى هذا اليوم خاضعة كلياً لحركة السوق التجارية: من بضائع وأمتعة، وأموال ونقود، ومسكوكات فضية وذهبية، ومواد غذائية وصناعية، وغير ذلك، ويحكمها قانون العرض والطلب، والتسويق والتدويل، ولم يكن للاحتكار تداولاً في الأسواق العالمية الإسلامية.

٥: ويميز العولمة الإسلامية أيضاً: حياد الاقتصاد في النظام العالمي في الاقتصاد الإسلامي، فإنه لا يعترف، بالسيادة القومية أو السيادة الاقتصادية لدولة على أخرى؟.

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٨-٢٨٠.

٦: ويميز العولمة الإسلامية عن غيرها: خضوع النظام الاقتصادي وتأطير العمل التجاري الإسلامي لأحكام الدين وقوانين الشرع الحنيف، وتظهر هذه الميزة وأهميتها في حالات الطوارئ وغيرها، فإن الاقتصاد يكون حينئذ أحد مقومات حكم الجهاد الإسلامي وركائزه الركيزة وهكذا عند بروز حالات المجاعة والزلازل والفيضانات وما أشبه.

وبكلمة واحدة نقول: إن العولمة الاقتصادية الإسلامية قد حملت بين جوانحها كل مقومات السعادة والحضارة، والتقدم والرقي، والإزهار والتطور، ونفي الفقر والحرمان، من الحكومة الشرعية، والاقتصاد الأمين، والقوانين المالية العادلة، والوحدة العالمية بكل أبعادها الحضارية، إلى الآداب الإنسانية الراقية، والقواعد الأخلاقية التقدمية.

وخلاصة القول: إن العولمة الإسلامية حملت الحضارة بكل أبعادها، وجمعت بين النمو والإزدهار، والعدل والأخلاق.

من مشتركات العولمتين

مسألة: إن العولمتين الإسلامية والغربية قد تشتركان ـ إن صح التعبير ـ في بعض من الأسس العلمية، والبنى التحتية، سواء على الصعيد العلمي النظري، أم على الصعيد الخارجي التطبيقي. والتعبير الأدق إن الإيجابيات الموجودة فهي من بركة الإسلام وتعاليمه، فحرية الشركات الضخمة، وحرية التجارة وقوانين العمل، وحرية هجرة الأيدي العاملة، وحرية انتقال رؤوس الأموال، وحرية المضاربات التجارية، والمواد الأساسية من حقوق الإنسان، كلها أحكام شرعية بيّنها الإسلام وطُبقت في حكومة رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا المشتركات هي جزء من النظام الاقتصادي العالمي والإسلامي، بصورة عامة، وإن كان هناك بعد كبير وبون شاسع في مسألة الجانب الإنساني والمجال الأخلاقي وما أشبه فيما بين النظامين بصورة خاصة.

ويمكن القول: بأن مجتمع شبه الجزيرة، مركز الوحي والإسلام، ونزول الرسالات والقرآن هو من أوائل المجتمعات ذات الخصوصية التجارية العالمية في ذلك اليوم، أو حسب الاصطلاح الحديث ذات الخصوصية الاقتصادية في هذا اليوم، فرحلتا الشتاء والصيف المعروفتين، واللتين تعرض القرآن الكريم لذكرهما[1] أصبحتا الآن من ذكريات تاريخ مجتمع شبه الجزيرة، فقد كانتا في حد ذاتهما تنظيماً اقتصادياً واعياً ودقيقاً، وفق جدول زمني دقيق، بل كانتا حركة ناشطة، ومسيرة حثيثة، وانتفاضة اقتصادية شعبية عارمة، ذات صبغة اقتصادية شاملة، فقد كان جميع التجار صغارهم وكبارهم، يشتركون وبصورة جادة في هاتين الرحلتين المعروفتين وليس كبار التجار فقط، أو المضاربين في السلع والأمتعة، أو المسافرين والسائحين فحسب.

---

(١) سورة قريش: ٢.

العولمة الإسلامية ضرورة ملحة

مسألة: إن العولمة الصحيحة التي جاء بها الإسلام هي ضرورة ملحة، وخاصة في مثل هذا العصر، عصر الارتباطات والمواصلات السريعة.

إن عملية تصدير الثقافة والمعلومات، وتصدير الفن والتقنية، وتصدير المواد الخام والمواد الأولية، لا تختلف عن سائر العمليات التجارية الأخرى، فكل واحد منها له تقنياته وأساليبه، وما كان منها محرّماً فيمكن تنظيم قوانين لبيان حرمتها حتى تجتنب، أو تعديلها وفق ما هو جائز وحلال، وهكذا وهلّم جراً.

وعليه: فمن الممكن بدل أن نقف تجاه العولمة الغربية موقفاً سلبياً مطلقاً، أن نأخذ ببيان الثقافة الإسلامية وقوتها ثم تسريبها إلى هذه العولمة، كما إنّا بحاجة ملحة أيضاً إلى أن ندرس بدقة مقومات هذا النظام الجديد، كي نستطيع تطبيق ما يمكن تطبيقه بالنسبة إلى عالمنا واقتصادنا، وأنفسنا ومجتمعنا، واجتناب ما هو ضار منها ومحرم في شريعتنا.

ومن الواضح إن النظام العالمي الجديد في الاقتصاد، والقوانين التجارية العالمية، والأنظمة المالية، وحركة السوق، وما أشبه ذلك، لم تحدث فجأة واعتباطاً لمجرد رغبات تجار أو شركات، ولم توجد دفعة وعفواً لتلبية نداء رئيس معيّن أو قائد مشخّص، بل جاء هذا النظام العالمي الاقتصادي الجديد نتيجة تحركات تجارية واقتصادية استمرت عقود عديدة ونتيجة عمل متواصل، وحركة دؤوبة، وثورة اقتصادية متنامية، في مختلف المجالات من النظري والعلمي، والخارجي والتطبيقي، والتقني والتجريبي.

ومن المعلوم أيضاً: أن هذا النظام الاقتصادي العالمي الجديد، جاء حصيلة تلاؤم المعادلات الاقتصادية والسياسية، والدولية والعالمية، كما أنه جاء نتيجة تفاعل الحركات الاقتصادية على الساحة الخارجية، السلبية منها والإيجابية أيضاً، علماً بانا لسنا بعيدين كثيراً عن كل تلك الحركات والمعادلات الدولية والعالمية، ابتداءً فيها من عصبة الأمم ومجموعة دول الكومنولث، وانتهاءً بها إلى الأمم المتحدة، هذا في مجال السياسة الدولية، وابتداءً من منظمات الغات والفاو منتهياً إلى منظمة التجارة العالمية، والأوبك والأوابك، وهذا في المجال التجاري، وبدءً بصندوق النقد الدولي، منتهياً إلى البنك الدولي في مجال النقد والمال، وبدءً باليونسكو وانتهاءً بحركات حقوق الإنسان في المجال الثقافي.

وهكذا وهلم جرا، حتى القنوات الفضائية والحاسوب والإنترنت حالياً، وما سيأتي مستقبلاً يكون أكثر مصداقية مما نحن عليه اليوم.

السوق الإسلامية العالمية

مسألة: من الضروري في العولمة الاقتصادية تشكيل السوق الإسلامية المشتركة، التي تعم جميع البلاد الإسلامية من دون جمارك ولا حدود ولارسومات ولا ضرائب إلا بمقدار ذكره الشارع المقدس، وهذا مما يوجب نمو الاقتصاد وازدهاره، فإن الاقتصاد لن يكون بنظر الاقتصاديين اقتصاداً بالمعنى الصحيح ولا اقتصاداً بالمعنى السليم إلا إذا كان متطوراً نامياً، وذلك حتى يكون قادراً على حل أية مشكلة اجتماعية واقتصادية كهبوط الدخل وسقوط العائد اليومي للفرد، والبطالة وما أشبه ذلك.

مضافاً إلى أن شجرة الاقتصاد والتجارة والسوق معلولات اجتماعية على ما ذكره البعض، كما أن شجرة البرتقال والليمون والتفاح معلولات زراعية،

ولابد لكل شجرة من النمو والازدهار وإلاّ فالذبول والخمول، ثم الموت والهمود حتمي، وشجرة الاقتصاد والتجارة لم يوجدا إلاّ لينموا ويعيشا، لا ليموتا ويضمحلاّ.

هذا ولو ألقينا نظرة سريعة على حركة السوق الإسلامية المعاصرة لوجدنا أن كثيراً من النظريات الاقتصادية العالمية غير الصحيحة هي بنفسها مستخدمة فيها، وهي تنافي حرية الإنسان الاقتصادي وتخالف القوانين الحيوية الإسلامية كقانون: (حيازة المباحاة) و(الأرض لله ولمن عمرها) وقانون (السبق) [١] وما أشبه.

فنظرية الضرائب الثقيلة والسياسات التجارية التصديرية والاستيرادية، ونظرية الجمارك، ونظرية البنك الربوي وما أشبه ذلك، وكذلك بعض نظريات التكتلات الاقتصادية، فإنها غير مختلفة عن تلك التي هي موجودة في أوروبا وأمريكا.

أجل إن مسألة السوق الإسلامية المشتركة، التي نقول بضرورتها، لأنها تعد خطوة بسيطة من خطوات التكتل الاقتصادي، ومرحلة أولية من مراحل العولمة الإسلامية، ليست هي أقل حظاً ولا أضعف قدراً من السوق العربية المشتركة، فإن هذه السوق ما زالت تبدو وكأنها حبر على ورق يتجاذبها المجتمعون في مجالس الجامعة العربية، لأنها بقيت خاضعة لمتطلبات الحكام والرؤساء، ومعه لا يمكن لمثل هذه السوق أن تستقل لنفسها وتنمو وتزدهر.

---

(١) راجع كتاب (القواعد الفقهية) للإمام المؤلف رحمه الله.

كلمة لابد منها

مسألة: الحاجة توجب للأمة أن تكون أسيرة ورهينة، كما هو واضح، وهنا لابد من التصريح بالحقيقة المرُة التالية وهي: ما تواجه الأمة الإسلامية من الضعف والتأخر في المجال العلمي والتكنولوجي وما أشبه.

وهذا مما يؤثر كثيراً في انتشار العولمة، فإن كل صاحب عولمة يسعى إلى تحقيق عولمته الخاصة، والذي يقدر على أن يصنع التقنية ويبدعها هو الذي يقدر على تحقيق عولمته وتطبيقها، لا كل من يمتلك التقنية أو يستعملها فقط.

وقد ورد في الحديث الشريف: «احتج إلى من شئت تكن أسيره»[١].

ومن لم يبتدع التقنية يحتاج في اقتنائها إلى غيره، فيكون أسيره، والمسلمون قد أصبحوا اليوم وللأسف الشديد من المستهلكين فقط لا من المبدعين، مما ينبغي لهم أن يكونوا كما كانوا في الأمس هم أول مبتدع ومبتكر في كل المجالات.

نعم لابد أن يهتم المسلمون في رفع مستوى وعيهم، وسطح علمهم، حتى يدركوا معنى الآية الكريمة: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾[٢] ويعلموا تحليلها العلمي والعملي الدقيق، ويعلموا أن الحاسوب والإنترنت من وسائل القوة، وكذلك الفضائيات، ويعرفوا أن علم الرياضيات والهيئة من مقومات القوة، ويعرفوا أن علم النفس والاجتماع، وعلم الحيوان والنبات، وعلوم الوراثة والهندسة والطب وغيرها من العلوم العصرية من مقومات القوة، بل إنها

---

(١) الإرشاد: ج١ ص٣٠٣ ومن كلامه في وصف الإنسان.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

جميعاً من الواجبات الكفائية على المسلمين، والتي إذا تركها المسلمون جميعاً أثم الجميع بتركها. وقد كان المسلمون يوماً هم السبّاقون في هذا المجال وكل المجالات الحيوية الأخرى، وذلك عندما كان الغرب يعيش في ظلام القرون الوسطى وجاهلية الجهلاء، فعليهم أن يستعيدوا اليوم ما كانوا عليه بالأمس فإنهم سينتصرون إن شاء الله تعالى.

أجل، إن من اللازم على المسلمين أن يعرفوا أن العلم هو من أهم الوسائل إلى معرفة الله القادر الحكيم، والخالق العليم، وأن القرآن الكريم استهل عند نزوله بالعلم وأمر به، وانه أراد من الرسول ﷺ أن يقول في دعائه: ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾[1] مع كثرة ما علّمه الله تعالى من علوم الأولين والآخرين، وأنه أراد من الناس أن يتفكروا في آيات الله تعالى وفيما خلق الله تعالى ويتدبروها، كي يعملوا ويعلموا أن: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[2].

ثم يأخذوا بالعلم في جميع المجالات ليستعيدوا عزهم وكرامتهم التي وصلوا إليها ببركة الإسلام وتعاليم الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ.

---

(١) سورة طه: ١١٤.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

استقامة العولمة باستقامة أصحابها

مسألة: إن المسلمين يتميزون عن غيرهم بالعدالة، فقد أمرهم الله تعالى بذلك في كتابه الكريم، حيث يقول: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون**﴾[١]، وذلك ليس في السلوك فحسب بل في الفكر أيضاً، فلا ينبغي بعد أن أمرنا الله بهذه الصفة الإنسانية، وميزنا بهذه الميزة الحضارية أن نرجع إلى الأعقاب وأن نكون كالذين وصفهم الله تعالى في القرآن الحكيم بأنهم أشدّ كفراً ونفاقاً، ولا ينبغي أن ينطبق علينا شيء من تلكم المواصفات غير العادلة والخارجة عن السلوك الإسلامي والإنساني.

إنما لا نريد ذلك لأن الله تعالى أراد لنا أن نكون شموليين، خارجين عن ضيق الفردية والأنانية، ناظرين برحابة صدر وسعة باع إلى العالم كله، متفكرين في إصلاحه وإسعاده.

كما أراد الله تعالى للإسلام وعولمته الشمول والاستيعاب، فقد قال سبحانه: ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾[٢].

وقال عزوجل: ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[٤].

هذا وإذا أمعنا النظر في العلاقة بين العولمة الاقتصادية والبلدان الإسلامية،

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٢.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) سورة الحجرات: ١٠.

لما وجدناها أكثر ضرراً على المسلمين وعلى بلادهم من تناحرهم فيما بينهم، ومعاداة بعضهم لبعض، ومضادتهم مع أنفسهم، سواء كان هذا التناحر الذي ابتلوا به نتيجة القصور في الوعي، وغياب النظرة المستقبلية، أم كان نتيجة تحريض قوى خارجية، وتسويل شياطين الشرق والغرب، فإن كلا العاملين مذموم ومنفور، ينبغي التخلص منهما.

ثم إنا إذا أمعنا النظر ثانياً في العولمة الاقتصادية لوجدنا الارتباط بين الاقتصاد المحلي المحدود الراكد، وبين الاقتصاد العالمي النامي المتحرك، وأنه لو طبق القوانين الإسلامية الاقتصادية لكان في صالح الجميع وأنه يعود عليهم بالخير والبركة، والحركة والنمو، حيث تطلع عليهم آفاق جديدة، وتنفتح لهم أسواق المشاركة، وتتوسع أمامهم أساليب العمل، وتتطور عندهم وسائل الإنتاج، وذلك لا يكون نتيجة لتوسع الطلب على قوى العمل، بل يكون نتيجة لتوفر المعلومات الحركية للسوق الدولية والعالمية، التي أقل ما ينتج عنها هو توفير فرص العمل لآلاف العمال، وترفيه حال آلاف العوائل والأفراد المرتبطين بأولئك العاملين.

هذا ومن الواضح: إن أحداً لا يستطيع أن ينكر ما وفرته المعلومات الحركية للسوق من تكثير فرص العمل، فمثلاً صناعة أجهزة الراديو والتلفاز مثلاً، قد وفرت الآلاف من فرص العمل على أولئك الناس الذين يشتغلون حالياً في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، من إعداد وإخراج، ومن تأليف وتصوير، ومن مراسلين ومذيعين، وغير ذلك، وعلى أولئك الذين يشتغلون في صيانة تلك الأجهزة الإلكترونية من آلاف المهندسين والتقنيين، وغير ذلك من الصناعات الجديدة والحديثة، إذن العولمة الاقتصادية توفر فرص العمل للكثيرين لكن بشرط أن توفر فيها الحريات الإسلامية.

فصل:

العولمة والمسائل الشرعية



أحكام شرعية

هناك الكثير من المسائل الشرعية المرتبطة بالعولمة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو ما أشبه، وما يرتبط بها من قريب أو بعيد، نشير إلى بعضها.

العولمة لابد منها

مسألة: سبق القول بأن العولمة أمر لابد منه، وخاصة في مثل هذا العصر عصر الارتباطات والاتصالات، فيلزم على العلماء والمفكرين، وذوي الكفاءات والثقافات العالية، السعي الحثيث والمثابرة الجادة، لتحقيق عولمة صحيحة وشاملة، تجمع بين النمو والازدهار، والعدل والأخلاق، ولا يكون ذلك إلا في العولمة التي جاء بها القرآن الحكيم، وندب إليها الرسول الكريم ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، فإن القرآن الكريم هو الكتاب الكامل الشامل والغض الطري، الصالح لكل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

---

(١) سورة المائدة: ٣.

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه»[٢].

ونقل السيد علي بن طاووس في الطرف، عن كتاب الوصية لأبي الضرير عيسى بن المستفاد من أصحاب الكاظم عليه السلام عنه عن أبيه عليه السلام في حديث أن رسول الله ﷺ قال للأنصار أيام وفاته فيما أوصى به إليهم: «كتاب الله وأهل بيتي فإن الكتاب هو القرآن وفيه الحجة والنور والبرهان كلام الله غض جديد طري شاهد وحكم عادل قائد بحلاله وحرامه وأحكامه بصير به قاض به مضموم فيه يقوم غداً فيحاج به أقواماً فتزل أقدامهم عن الصراط»[٣].

وعن الإمام الرضا عن أبيه عليهما السلام: «أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة»[٤].

عولمة السلم والسلام

مسألة: ينبغي العلم بأن عولمة الإسلام هي عولمة السلم والسلام فهي تعتمد على ثقافة السلم والسلام، والأخلاق والآداب، والتعارف والتوادد، والتواصل والتعاون، والحنان والمحبة، والعدل والإحسان.

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٣٦-٢٣٧ ب٢ ح٤٥٨٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٣٧ ب٢ ح٤٥٨٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٨٩ ص١٥ ب١ ح٨.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

عولمة الفطرة

مسألة: ينبغي معرفة أن الفكر والعقيدة المبتنية عليها العولمة الإسلامية هي العقيدة التي تتلاءم مع فطرة الإنسان، والمنبعثة من الفكر الصحيح القائل بوحدانية الله خالق الإنسان، وبعدله تعالى في خلقه، وببعث الرسل إليهم مع منهاج السماء أولهم آدم عليه السلام وخاتمهم رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله، وبتعيين أئمة يحفظون منهاج السماء أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي وعد الله تطبيق العولمة الإسلامية على يديه، وتعميمه على سطح الكوكب، وبالمعاد في يوم القيامة للحساب والجزاء والفوز بالجنة، أو الخسارة في جهنم والعياذ بالله. قال الله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[٤].

---

(١) سورة الأنفال: ٦١.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٥.

وقال تعالى: **﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾**[(١)].

وقال سبحانه: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾**[(٢)].

وقال النبي ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم عجل الله فرجه طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي من أنكر واحدا منهم فقد أنكرني»[(٣)].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا»[(٤)].

وعن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسكتم بهما لا تضلوا ولا تبدلوا وإني سألت اللطيف الخبير أن لا يتفرقا حتى يردا علي الحوض فأعطيت ذلك، قالوا وما الثقل الأكبر وما الثقل الأصغر؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم، والثقل الأصغر عترتي وأهل بيتي»[(٥)].

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٨ ص٣٦٦ ب٢٧ ضمن ح٤١، والبحار: ج٢٧ ص٦٢ ب١ ضمن ح٢١.

(٤) كمال الدين: ج١ ص١٤ السر في أمره تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام.

(٥) بحار الأنوار: ج٢٣ ص١٤٠ ب٧ ح٨٩.

وعن سعد الإسكاف قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين فتمسكوا بهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا يزال كتاب الله والدليل منا يدل عليه حتى يردا علي الحوض»[١].

نظافة العولمة

مسألة: الإسلام دين طهارة ونظافة وجمال في كل شيء ومنها العولمة، فلاتكون للعولمة الإسلامية سلبيات واستغلال للآخرين وما أشبه من الفساد والإفساد، كما هو الحال في العولمة الغربية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه[٢]، وأقام دعائمه على محبته . . . جعل الله فيه منتهى رضوانه، وذروة دعائمه، وسنام طاعته، فهو عند الله وثيق الأركان، رفيع البنيان، منير البرهان، مضيء النيران، عزيز السلطان، مشرف المنار[٣]، معوذ المثار[٤]، فشرفوه واتبعوه، وأدوا إليه حقه وضعوه مواضعه»[٥].

وروي أن النبي إبراهيم عليه السلام جمع ولده وأسباطه وقال: «إن الإسلام دين الله الذي تعبدكم به فالزموه ولا تعدلوا عنه ولو نشرتم بالمناشير وقرضتم

(١) بصائر الدرجات: ص٤١٤ ب١٧ ح٦.

(٢) أصفاه خيرة خلقه: آثر به أفضل الخلق عنده وهو خاتم النبيين.

(٣) مشرف المنار: مرتفعه.

(٤) معوذ المثار: من أعْوَذَ بالذال كأعاذ بمعنى ألجأ والمثار: مصدر ميمي من ثار الغبار إذا هاج أي لو طلب أحد إثارة هذا الدين لألجأه إلى مشقة لقوته ومتانته.

(٥) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٨ من خطبة له عليه السلام ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثم يحث على التقوى، ويبين فضل الإسلام والقرآن.

بالمقاريض وأحرقتم بالنار»[١].

وكان في وصية إبراهيم عليه السلام: «يا بني عليكم أن تظهروا كل حسنة وجدتم من غيركم وأن تستروا كل سيئة وفاحشة وإياكم أن تشيعوها»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس»[٣].

سياسة العولمة

مسألة: ينبغي الالتفات إلى أن السياسة التي تحكمها العولمة الإسلامية هي: سياسة العدل والأخلاق، وسياسة الصدق والأمانة، وسياسة الحرية: حرية الفكر والعقيدة، وحرية القلم والبيان. وبكلمة واحدة: السياسة التي ترى الناس صنفين: أما أخ في الدين، أو نظير في الخلق[٤]، والسياسة التي ترى الناس سواسية في الحقوق وفي المزايا وفي كل شيء، وتحرم كل تبعيض وتميز، وكل كبت واضطهاد، وكل استبداد ودكتاتورية، وكل واستعمار، وكل هيمنة وسيطرة.

قال تعالى: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الرحمن ۞ علم القرآن ۞ خلق الإنسان ۞ علمه البيان ۞ الشمس والقمر بحسبان ۞ والنجم والشجر يسجدان ۞ والسماء رفعها ووضع الميزان ۞ ألا تطغوا في الميزان ۞ وأقيموا**

---

(١) فقه القرآن: ج٢ ص٣١٥-٣١٦ باب الوصية التي يقال لها راحة الموت.

(٢) فقه القرآن: ج٢ ص٣١٦ باب الوصية التي يقال لها راحة الموت.

(٣) الكافي: ج٦ ص٤٤٠ باب التجمل وإظهار النعمة ح١٤.

(٤) راجع نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له ﷺ كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ۞ والأرض وضعها للأنام﴾[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى»[٢].

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها، أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه، وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولاتكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما

---

(١) سورة الرحمن: ١-١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج١ ص١٠٩-١١٠ ب٢٦ ح٢٦٩.

نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم»[١].

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له ﷺ للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

مسائل حول
العولمة الثقافية في الإسلام

طلب العلم

مسألة: يؤكد الإسلام على طلب العلم، ولو كان في أقصى الأرض، بل ولو كان في الثريا، وعلى جميع الناس فقد قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1].

وقال ﷺ في حديث آخر: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[2].

وقال ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم»[3].

وعن أبي إسحاق السبيعي عمن حدثه قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله

(1) بحار الأنوار: ج1 ص180 ب1 ح65.

(2) مستدرك الوسائل: ج17 ص249 ب4 ح21250.

(3) الكافي: ج1 ص30 باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه ح1.

فاطلبوه»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله إن طلب العلم فريضة على كل مسلم وكم من مؤمن يخرج من منزله في طلب العلم فلا يرجع إلا مغفورا»[٢].

وعن طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً»[٣].

حرية الثقافة

مسألة: الإسلام يؤمن بحرية الثقافة ومقدماتها المشروعة، فلكل شخص أو جهة أو ما أشبه أن تؤسس الإذاعات والتلفزيونات، وأن تصدّر الصحف والمجلات، وأن تنشر الكتب والموسوعات، والكراريس والمقالات، وأن تؤسس المعاهد والجامعات والمدارس والروضات، كل ذلك في سبيل نشر الوعي والثقافة في المجتمع.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن الناس كلهم أحرار»[٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نص»[٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الناس مسلطون على أموالهم»[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٢٤-٢٥ ب٤ ح٣٣١١١.

(٢) روضة الواعظين: ج١ ص١٠ باب الكلام في ماهية العلوم وفضلها.

(٣) الكافي: ج١ ص٤٣ باب من عمل بغير علم ح١.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٤١ باب الحرية ح٣٥١٥.

(٥) غوالي اللآلي: ج٢ ص٤٤ المسلك الرابع ح١١١.

(٦) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٧.

وقال ﷺ: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة»[١].

المدارس والمراكز الثقافية

مسألة: يلزم تأسيس المدارس والمعاهد العلمية والجامعات التخصصية في مختلف العلوم التي يحتاجها البشر، من سياسة واقتصاد، وفلك وطب، وزراعة وصناعة، وهندسة وما أشبه ذلك. وفي ذلك إحياء لأمر الإسلام وقوانين القرآن وسيرة الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

عن العقرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه وأنا حاضر: «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا وأحيوا أمرنا»[٢].

وعن محمد بن عيسى عن يونس رفعه قال: قال لقمان لابنه: «يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله جل وعز فاجلس معهم، فإن تكن عالماً نفعك علمك، وإن تكن جاهلا علموك، ولعل الله أن يظلهم برحمته فيعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلا يزيدوك جهلا، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فيعمك معهم»[٣].

وروي أن علي بن الحسين (صلوات الله عليه) كان إذا جاءه طالب علم قال: «مرحبا بوصية رسول الله ﷺ ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين

---

(١) غوالي اللآلي: ج١ ص٤٥٦ ب١ المسلك الثالث ح١٩٧.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٧٩.

(٣) الكافي: ج١ ص٣٩ باب مجالسة العلماء وصحبتهم ح١.

السابعة»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «خير القلوب أوعاها للخير، وشر القلوب أوعاها للشر، فأعلى القلب الذي يعي الخير مملو من الخير، إن نطق نطق مأجوراً، وإن أنصت أنصت مأجورا»[٢].

آداب عالمية للتربية والتعليم

مسألة: يلزم على المعلم في أي مكان كان، وفي أيّ علم يريد التدريس، أن يكون في مستوى التعليم فلا ينصب نفسه للتدريس حتى يكون أهلاً لذلك، وأن يكون عاملاً بعلمه، ويلزم على المعلم تأديب طلبته على الالتزام بالآداب السنية، وأول ذلك حثهم على الإخلاص لله تعالى، ومراقبته عزوجل في جميع اللحظات، والزهد في الدنيا، والرغبة في العلم.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «في قول الله عز وجل: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[٣] من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم»[٤].

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: «يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله، فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل»[٥].

---

(١) الخصال: ج٢ ص٥١٨ أبواب العشرين ح٤.

(٢) الجعفريات: ص١٦٨ باب فضل العلم.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) منية المريد: ص١٨١ ب١ ف٢ ق١ الثالث أن يكون عاملاً بعلمه.

(٥) الكافي: ج١ ص٣٧ باب صفة العلماء ح٦.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام إن الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال لأن العلم كان قبل الجهل»[1].

مصالح الدين والدنيا

مسألة: يلزم على المعلم أن يزجر الطلاب عن مساوئ الأخلاق، وارتكاب المحرمات والمكروهات، ومجالسة الأدنين والفسقة، ويحثهم على طلب الآخرة، وبالجملة يعلّمهم مصالح دينهم ودنياهم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم، صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال، بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع، فدق الله خيشومه وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق، يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء ممن هو دونه، فهو لحلاوتهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا بصره، وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد انحنى في برنسه وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا، مقبلا على شأنه، عارفا بأهل زمانه، مستوحشا من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه»[2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٦٧ ب١٣ ح١٤.

(٢) مشكاة الأنوار: ص١٤٠ ب٣ ف٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٧٨-٧٩ ب٨ ح٣٣٢٤٩.

لا تجب من غير علم

مسألة: لا يجوز لمن لا يعلم شيئاً أن يجيب من غير علم، فإذا سئل عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أعلم أو نحوه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا سئلتم عمّا لاتعلمون فاهربوا» قالوا: وكيف الهرب، قال: «تقولون الله أعلم»[١].

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم، إن الرجل لينتزع بالآية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء والأرض»[٢].

وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ما حق الله على العباد؟ قال: «أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون»[٣].

وعن الصادق عليه السلام: «إن الله خص عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا، وقال الله عزوجل: ﴿**أ لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق**﴾[٤] وقال: ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**﴾[٥]»[٦].

حسن النية

مسألة: يلزم على المتعلم أينما كان وفي أيّ مجال يريد التعلّم أن يكون حسن النية ويسعى في تطهير قلبه، وأن يغتنم التحصيل في الشباب والفراغ وسلامة

---

(١) منية المريد: ص٢١٥ ب١ ن٢ ق٣ الثالث والعشرون.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٢ باب النهي عن القول بغير علم ح٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٢٣ ب٤ ح٣٣١٠٨.

(٤) سورة الأعراف: ١٦٩.

(٥) سورة يونس: ٣٩.

(٦) الكافي: ج١ ص٤٣ باب النهي عن القول بغير علم ح٨.

الحواس، وأن يكون عالي الهمة، فلا يرض باليسير ولا يسوف، ويبدأ في التحصيل بالأهم فالأهم.

قال النبي ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[١].

وجاء في الخبر: «مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء»[٢].

وعن ابن عباس: «ما أوتي عالم علما إلا وهو شاب»[٣].

---

(١) منية المريد: ص٢٤٤ ب١ ن٣ ق١ الأول أن يحسن نيته.

(٢) منية المريد: ص٢٢٥ ب١ ن٣ ق١ الثاني أن يغتنم في الفراغ والنشاط.

(٣) منية المريد: ص٢٢٦ ب١ ن٣ ق١ الثاني أن يغتنم في الفراغ والنشاط.

مسائل حول
العولمة الاجتماعية في الإسلام

المجتمع الصالح

مسألة: المجتمع الإسلامي أنظف وأحسن مجتمع إنساني عرفه البشر، حيث تسوده الأخلاق الطيبة والتقدم العلمي فلا فقر فيه ولا جريمة إلا الأندر من النادر.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في مسجد الخيف فقال في حديثه: المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «العفاف زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وحفظ الحاج زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزهد، وبذل الموجود زينة اليقين، والتقلل زينة القناعة، وترك المن زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، وترك ما لا يعني زينة الورع»(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت

(١) دعائم الإسلام: ج١ ص٣٧٨ كتاب الجهاد.

(٢) جامع الأخبار: ص١٢٢-١٢٣ ف٧٩ في الزينة.

بالنار، ولا تنهر والديك وإن أمراك على أن تخرج من دنياك فاخرج منها، ولا تسب الناس وإذا لقيت أخاك المسلم فألقه ببشر حسن، وصب له من فضل دلوك، أبلغ من لقيت من المسلمين عني السلام وادع الناس إلى الإسلام، واعلم أن لك بكل من أجابك عتق رقبة من ولد يعقوب، واعلم أن الصغيراء عليهم حرام يعني النبيذ وهو الخمر وكل مسكر عليهم حرام»(١).

كالجسد الواحد

مسألة: يعتبر الإسلام المجتمع كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة»(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة، إلى أن قال: ألا وإن ود المؤمن من أعظم سبب الإيمان، ألا ومن أحب في الله عزوجل وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تعالى، ألا وإن المؤمنين إذا تحابا في الله عزوجل وتصافيا في الله كانا كالجسد الواحد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً وجد الآخر ألم ذلك الموضع»(٣).

وعن جابر الجعفي: قال تقبضت بين يدي أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٣٦ ب٦ ح٤٤.

(٢) مصادقة الإخوان: ص٤٨ يج باب المؤمن أخو المؤمن ح٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢١٧-٢١٨ ب١٤ ح١٣٩٢٤.

فداك ربما حزنت من غير مصيبة تصيبني أو ألم ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي وصديقي، فقال: «نعم يا جابر إن الله عزوجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب روحا من تلك الأرواح في بلد من البلدان حزن حزنت هذه لأنها منها»[١].

كمال الإيمان

مسألة: يؤكد الإسلام على أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها، فعن رسول الله ﷺ: «لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» الحديث[٢].

وعن حفص بن البختري قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ودخل عليه رجل فقال لي: «تحبه؟» فقلت: نعم، فقال لي: «ولم لا تحبه وهو أخوك وشريكك في دينك وعونك على عدوك ورزقه على غيرك»[٣].

قضاء حاجة الغير

مسألة: ورد التأكيد الكثير على قضاء حوائج الإخوان، ففي الحديث الشريف: «خير الناس من نفع الناس»[٤].

عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا مفضل اسمع ما أقول

(١) الكافي: ج٢ ص١٦٦ باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٢٥٧ ب١١٤ ضمن ح٢٠.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٦٦ باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض ح٦.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٠ ق٦ ب٤ ف١٣ ح١٠٣٥٢.

لك واعلم أنه الحق واتبعه وأخبر به علية إخوانك» قلت: جعلت فداك وما علية إخواني، قال: «الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم» قال: ثم قال: «ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أوله الجنة ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصاباً» فكان مفضل إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه قال له: أما تشتهي أن تكون من علية الإخوان [(١)].

وقال الصادق عليه السلام: «قضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف وطواف، حتى عد عشراً»[(٢)].

وعن إسماعيل بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمن رحمة على المؤمن، قال: «نعم» قلت: وكيف ذاك؟ قال: «أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمةً من الله عز وجل ساقها إليه وسببها له، وذخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره» إلى أن قال: «استيقن أنه لن يردها عن نفسه يا إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً»[(٣)].

---

(١) مصادقة الإخوان: ص٥٣ يط باب ثواب قضاء حوائج الإخوان.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٠٨ باب فضائل الحج ح٢١٥٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٥٨ ب٢٥ ح٢١٧٥٧.

الأمر بالمعروف

مسألة: يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشرائطه، فلا يجوز للمسلم أن يجلس في بيته ويرى المنكرات الكثيرة ولا ينهى عنها، ومن المنكر: سلوك الحكام سبيل الشيطان ورجزه بالمخامرة والمقامرة وسن وتطبيق الأحكام غير الإسلامية في قوانينهم وأعمالهم، فعليه أن يسعى لإزالة المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

عن محمد بن عمر بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «إن رجلا من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أخبرني ما أفضل الإسلام؟

قال: الإيمان بالله.

قال: ثم ماذا؟

قال: صلة الرحم.

قال: ثم ماذا؟

قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: فقال الرجل: فأي الأعمال أبغض إلى الله عز وجل؟

قال: الشرك بالله.

قال: ثم ماذا؟

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥٦ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح٣.

قال: قطيعة الرحم.

قال: ثم ماذا؟

قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»[١].

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ابن عمه محمداً صلى الله عليه وآله فصلى عليه ثم قال: «أما بعد، فإنه إنما هلك من كان قبلكم بحيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، فإنهم لما تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان أجلا ولا يقطعان رزقا»[٢].

قوا أنفسكم وأهليكم

مسألة: اللازم على كل إنسان وفي أي بلد أو مكان كان أن يصلح نفسه أولاً بالمواظبة على فعل الطاعات، وترك المحرمات، والتخلق بالأخلاق الطيبة، والتأدب بالآداب الحسنة، كما أمره الله عزوجل. ثم يعلّم أهله وأقرباءه وجيرانه وأصدقاءه، الأقرب فالأقرب، بل جميع الناس إن أمكنه ذلك.

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[٣].

وعن أبي خديجة قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي: «إن الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٧٦ ب٨٠ ح٤.

(٢) الزهد: ص١٠٥-١٠٦ ب٢٠ ح٢٨٨.

(٣) سورة التحريم: ٦.

عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرأً هم بخير فعمله، أو هم بشر فارتدع عنه، ثم قال: نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له»[١].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عليه السلام قال: «قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أحمق الناس من حشا كتابه بالترهات، إنما كانت الحكماء والعلماء والأتقياء والأبرار يكتبون بثلاثة ليس معهن رابع، من أحسن لله سريرته أحسن الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله تعالى فيما بينه وبين الناس، ومن كانت الآخرة همه كفاه الله همه من الدنيا»[٢].

من آداب المعاشرة

مسألة: هناك آداب كثيرة في خصوص المعاشرة مع الناس والعشرة الاجتماعية وردت في الروايات، وقد خصّص لها العلماء كتباً تحت عنوان (العشرة)، وقد بينا بعض ذلك في كتاب (الفقه: الآداب والسنن)[٣] وما أشبه[٤].

قال الصادق عليه السلام: «حسن المعاشرة مع خلق الله تعالى في غير معصيته من مزيد فضل الله تعالى عند عبده، ومن كان خاضعاً لله تعالى في السر كان حسن

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٦ ص١٩٤ ب٣٣ ح١٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٢٢-٣٢٣ ب٣٩ ح١٣١٥٥.

(٣) موسوعة الفقه: ج٩٤-٩٧ كتاب الآداب والسنن.

(٤) راجع كتاب (الأخلاق الإسلامية) و(الفضائل والأضداد) و(الفضيلة الإسلامية ج١-٤) و(الفقه: المستحبات والمكروهات) و... للإمام المؤلف (قدس سره الشريف).

المعاشرة في العلانية، فعاشر الخلق لله تعالى ولا تعاشرهم لنصيبك لأمر الدنيا ولطلب الجاه والرياء والسمعة، ولا تسقطن لسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشهرة فإنهم لا يغنون عنك شيئاً وتفوتك الآخرة بلا فائدة، فاجعل من هو أكبر منك بمنزلة الأب، والأصغر بمنزلة الولد، والمثل بمنزلة الأخ، ولا تدع ما تعلمه يقيناً من نفسك بما تشك فيه من غيرك، وكن رفيقاً في أمرك بالمعروف، وشفيقاً في نهيك عن المنكر، ولا تدع النصيحة في كل حال قال الله تعالى: **﴿وقولوا للناس حسناً﴾**[1]»[2].

وعن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً، ثم قال: «يا شيعة آل محمد اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه ومجاورة من جاوره وممالحة من مالحه، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله»[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما يعبأ بمن سلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الصحبة لمن صحبه»[4].

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) مصابيح الشريعة: ص٤٢ ب١٩.

(٣) الكافي: ج٢ ص٦٣٧ باب حسن المعاشرة ح٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٠ ب٢ ح١٥٥٠٨.

من حقوق الآخرين

مسألة: يكره دخول المسجد والاجتماعات وما أشبه ذلك، لمن أكل الثوم والبصل وما يجعل رائحة فمه رائحة كريهة، حتى لا يتأذى منه غيره ولو بهذا المقدار.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن أكل الثوم؟ فقال: «إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه لريحه، فقال: من أكل هذه البقلة الخبيثة فلا يقرب مسجدنا فأما من أكله ولم يأت المسجد فلا بأس»[1].

أقول: الخبيثة أي في ريحها، أما أصل الثوم فقد ورد في مدحه روايات ذكرناها في كتاب (من الآداب الطبية).

وعن الحسن الزيات قال: لما أن قضيت نسكي مررت بالمدينة فسألت عن أبي جعفر عليه السلام فقالوا: هو بينبع، فأتيت ينبع، فقال: «يا حسن أتيتني إلى هاهنا» قلت: نعم جعلت فداك، كرهت أن أخرج ولا ألقاك، فقال عليه السلام: «إني أكلت من هذه البقلة يعني الثوم فأردت أن أتنحى عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من أكل شيئاً من المؤذيات ريحها فلا يقربن المسجد»[3].

---

(١) الكافي: ج٦ ص٣٧٤-٣٧٥ باب الثوم ح١.

(٢) المحاسن: ج٢ ص٥٢٣ ب١٠٣ ح٧٤٤.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٣ ص٢٥٥ ب٢٥ ح٢٨.

حدود الصداقة وآدابها

مسألة: هناك روايات عديدة في باب الصداقة وحدودها وآدابها، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لاتكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها لا تنسبه إلى شيء من الصداقة.

فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة.

والثاني: أن يرى زينك زينه وشينك شينه.

والثالثة: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات»[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل وإن لم تحمد كرمه ولكن انتفع بعقله واحترس من سيئ أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك وافرر كل الفرار من اللئيم الأحمق»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته وغيبته ووفاته»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٩ باب من يجب مصادقته ومصاحبته ح٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩ ب٨ ح١٥٥٣٠.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٤.

المجالسة وأحكامها

مسألة: المجالسة مع الأفراد تؤثر في نفس الإنسان، سلباً وإيجاباً، قالوا: إن من عاشر قوماً أربعين يوماً صار منهم، ولذلك فاللازم أن ينظر الإنسان إلى من يجالس، ويتجنب مجالسة من يؤثر على قلبه وروحه سلبياً.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام: إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة: الماجن الفاجر والأحمق والكذاب، فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ويحب أنك مثله ولا يعينك على أمر دينك ومعادك، ومقاربته جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عار عليك، وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث كلما أفنى أحدوثةً مطرها بأخرى مثلها، حتى إنه يحدث بالصدق فما يصدق، ويفرق بين الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور، فاتقوا الله عز وجل وانظروا لأنفسكم»[1].

وعن عمرو بن نعمان الجعفي قال: (كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه أين يذهب فبينا هو يمشي معه في الحذاءين ومعه غلام له سندي يمشي خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره فلما نظر في الرابعة قال: يا ابن الفاعلة أين كنت؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده فصك بها جبهة نفسه، ثم قال: «سبحان الله تقذف أمه، قد كنت أرى أن لك ورعاً فإذا ليس لك ورع»،

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٣٩-٦٤٠ باب من تكره مجالسته ومرافقته ح١.

فقال: جعلت فداك إن أمه سندية مشركة، فقال: «أما علمت أن لكل أمة نكاحاً، تنح عني» قال: فما رأيته يمشي معه حتى فرق الموت بينهما)(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»(٢).

المشورة والتشاور

مسألة: مما ورد في النصوص الإسلامية التأكيد عليه كثيراً هو: المشورة والتشاور، وذلك لعظيم فائدتها، وجليل عوائدها، وطيب ثمارها، وجميل نتاجها في حياة الفرد والمجتمع، وتختلف في التأثير بحسب مواردها شدة وضعفاً، ولذا فهي بين واجب ومستحب.

عن حمران وصفوان بن مهران الجمال قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا غنى أخصب من العقل، ولا فقر أحط من الحمق، ولا استظهار في أمر بأكثر من المشورة فيه»(٣).

وعن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المشورة لا تكون إلا بحدودها، فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها أن يكون الذي تشاوره عاقلا، والثانية أن يكون حراً متديناً، والثالثة أن يكون صديقاً مؤاخياً، والرابعة أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ثم يسر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلا انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك إذا أطلعته على سرك،

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٠ ب٧٠ ح٢٠٨٨٧.

(٣) الكافي: ج١ ص٢٩ كتاب العقل والجهل ح٣٦.

وإذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة»[١].

قال الصادق عليه السلام: «شاور في أمورك ما يقتضي الدين من فيه خمس خصال، عقل وعلم وتجربة ونصح وتقوى، فإن لم تجد فاستعمل الخمسة واعزم وتوكل على الله، فإن ذلك يؤديك إلى الصواب وما كان من أمور الدنيا التي هي غير عائدة إلى الدين فارفضها ولا تتفكر فيها، فإنك إذا فعلت ذلك أصبت بركة العيش وحلاوة الطاعة، وفي المشاورة اكتساب العلم والعاقل من يستفيد منها علماً جديداً ويستدل بها على المحصول من المراد، ومثل المشورة مع أهلها مثل التفكر في خلق السماوات والأرض وفنائهما وهما غنيان عن العبد لأنه كلما قوي تفكره فيهما غاص في بحار نور المعرفة وازداد بهما اعتباراً ويقيناً، ولا تشاور من لايصدقه عقلك وإن كان مشهوراً بالعقل والورع، وإذا شاورت من يصدقه قلبك فلا تخالفه فيما يشير به عليك وإن كان بخلاف مرادك، فإن النفس تجمح عن قبول الحق وخلافها عند قبول الحقائق أبين قال الله تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[٢] وقال الله تعالى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[٣] أي متشاورون فيه»[٤].

حقوق متقابلة

مسألة: هناك روايات كثيرة في بيان حق المؤمن على أخيه مذكورة في مواردها، وهي بين واجب ومستحب.

---

(١) المحاسن: ج٢ ص٦٠٢-٦٠٣ ب٣ ح٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة الشورى: ٣٨.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٤٤-٣٤٥ ب٢١ ح٩٦١٨.

عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟

قال: «له سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب».

قلت له: جعلت فداك وما هي؟

قال: «يا معلى إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل».

قال: قلت له: لا قوة إلا بالله.

قال: «أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك

والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره.

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحق الخامس: أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى.

والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه.

والحق السابع: أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته وإذا علمت أن له حاجةً تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرةً، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، يقول: الحمد لله رب العالمين لا شريك له ويقول: يرحمك الله فيجيب يقول له:

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٦٩ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح٢.

يهديكم الله ويصلح بالكم ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»[١].

وعن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره والمواساة له في ماله والخلف له في أهله والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة إلى قبره، وأن لا يظلمه، وأن لا يغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذبه، وأن لا يقول له أف، وإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[٢].

حرمة الإيذاء

مسألة: يحرم إيذاء المؤمن حرمة شديدة.

عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»[٣].

وعن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائي، قال: فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، قال: فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعادوهم وعنفوهم في دينهم قال: ثم يؤمر بهم إلى جهنم»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٨٦-٨٧ ب٥٧ ح١٥٧٠٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٤٨ ب١٥ ح٤٥.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٠٨.

(٤) جامع الأخبار: ص١٦٢ ف١٢٧ في التعصب.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان» وفي خبر آخر: «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1].

لا للغيبة

مسألة: لا تجوز غيبة المؤمن ولا يجوز الاستماع إليها، فان الغيبة بمثابة أكل الإنسان لحم أخيه ميتاً، قال تعالى: **﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ﴾**[2].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله وأعانه في الدنيا والآخرة، ومن اغتيب عنده أخوه المؤمن فلم ينصره ولم يعنه ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه إلا خفضه الله في الدنيا والآخرة»[3].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة له: «ومن رد عن أخيه غيبةً سمعها في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، فإن لم يرد عنه وأعجبه كان عليه كوزر من اغتاب»[4].

لا للبهتان

مسألة: لا يجوز بهت المؤمن، ولا اتهامه، ولا الافتراء عليه، فان البهتان من أشد المحرمات.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٩٩ ب١٢٥ ح١٠٣٣٥.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

(٣) ثواب الأعمال: ص١٤٨ ثواب معاونة الأخ ونصرته.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٩٢ ب١٥٦ ح١٦٣٣٦.

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «من قال في مؤمن ما ليس فيه حبسه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال فيه» وقال عليه السلام: «إنما الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه مما قد ستره الله عز وجل، فإذا قلت فيه ما ليس فيه فذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿**فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾(١)»(٢).

عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من بهت مؤمنا أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله يوم القيامة في طينة خبال حتى يخرج مما قال» قلت: وما طينة الخبال؟ قال: «صديد يخرج من فروج الموسات»(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما لحق به قال: يا هذا ما أرفع من السماء، إلى أن قال: وأثقل من الجبال الراسيات، فقال له: يا هذا الحق أرفع من السماء، إلى أن قال: والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات»(٤).

تزين لأخيك المؤمن

مسألة: يستحب للمسلم أن يتزين لأخيه المسلم إذا خرج إليه، كما وتستحب الزينة في عموم الخروج إلى المسجد والمراكز العامة، واللقاء بالاخوان، مع مراعاة الموازين الشرعية.

روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: غسل الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلاة»(٥).

---

(١) سورة النساء: ١١٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢٧ ب١٣٣ ح١٠٤٤٥.

(٣) الكافي: ج٢ ص٣٥٧-٣٥٨ باب الغيبة والبهت ح٥.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢٧-١٢٨ ب١٣٣ ح١٠٤٤٦.

(٥) بحار الأنوار: ج٦٤ ص٢٧٨ ب١٤ ضمن ح٤.

وقال النبي ﷺ: «نفقة درهم في الخضاب أفضل من نفقة درهم في سبيل الله، إن فيه أربع عشرة خصلةً: يطرد الريح من الأذنين، ويجلو الغشاء عن البصر، ويلين الخياشيم، ويطيب النكهة، ويشد اللثة، ويذهب بالغشيان، ويقل وسوسة الشيطان، وتفرح به الملائكة، ويستبشر به المؤمن، ويغيظ به الكافر، وهو زينة، وهو طيب، وبراءة في قبره، ويستحيي منه منكر ونكير»[(١)].

عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين العطر والنساء والسواك والحناء»[(٢)].

إكرام الضيف

مسألة: يستحب إكرام الضيف ولو كان كافرا[(٣)].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مما علم رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام أن قال لها: يا فاطمة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[(٤)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أكرم ضيفك وإن كان حقيراً»[(٥)].

وفيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته قال: «أوصيك بحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود، وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحب المساكين ومجالستهم»[(٦)].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢ ص٨٥ ب٤٢ ح١٥٦٠.

(٢) الخصال: ج١ ص٢٤٢ باب الأربعة ح٩٣.

(٣) انظر بيان العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ج٦٧ ص٣٧٠ ب٥٩ ح١٧.

(٤) الكافي: ج٦ ص٢٨٥ باب حق الضيف وإكرامه ح١.

(٥) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٢٦٠ ب٣٤ ح١٩٨٠٠.

(٦) بحار الأنوار: ج٧١ ص٤١١ ب٣٠ ح٢٢.

حسن الجوار

مسألة: قد ورد في النصوص والروايات التأكيد الكثير على رعاية حق الجار وحسن التعامل معه، فانه بين واجب ومستحب.

قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون ما حق الجار، ما تدرون من حق الجار إلا قليلاً، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يأمن جاره بوائقه، وإذا استقرضه أن يقرضه، وإذا أصابه خير هنأه، وإذا أصابه شر عزاه، لا يستطيل عليه في البناء يحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشترى فاكهةً فليهد له، وإن لم يهد له فليدخلها سراً، ولا يعطي صبيانه منه الشيء يغايظون صبيانه، ثم قال رسول الله ﷺ: الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة، ومنهم من له حقان حق الإسلام وحق الجوار، ومنهم من له حق واحد الكافر له حق الجوار»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من آذى جاره فقد آذاني ومن حاربه فقد حاربني»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: البر وحسن الجوار زيادة في الرزق وعمارة في الديار»[3].

---

(١) روضة الواعظين: ج٢ ص٣٨٨-٣٨٩ مجلس في ذكر حقوق الإخوان والأقرباء.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٤ ب٧٢ ح٩٨٧٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٥-٤٢٦ ب٧٣ ح٩٨٨٤، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٢٤ ب٣٢ ح١٤٥٠٧.

عيادة المريض

مسألة: يستحب عيادة المريض وأخذ الهدايا إليه، حتى وإن لم يكن مؤمنا أو مسلماً.

عن ميسر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من عاد امرئً مسلماً في مرضه صلى عليه يومئذ سبعون ألف ملك إن كان صباحاً فحتى يمسي، وإن كان مساءً فحتى يصبح مع أن له خريفاً في الجنة»[١].

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أيما مؤمن عاد مؤمناً خاض في الرحمة خوضاً، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإذا انصرف وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ويسترحمون عليه ويقولون طبت وطابت لك الجنة إلى تلك الساعة من غد، وكان له يا أبا حمزة خريف في الجنة» قلت: وما الخريف جعلت فداك؟ قال: «زاوية في الجنة يسير الراكب فيها أربعين عاماً»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان فيما ناجى به موسى بن عمران ربه عزوجل أن قال: يا رب ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟ قال: أوكل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره»[٣].

عن مولى لجعفر بن محمد عليه السلام قال: مرض بعض مواليه فخرجنا نعوده ونحن عدة من مواليه، فاستقبلنا عليه السلام في بعض الطريق فقال: «أين تريدون؟» فقلنا: نريد فلانا نعوده، فقال: «قفوا» فوقفنا، قال: «مع أحدكم تفاحة أو

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٨٥-٨٦.

(٢) الكافي: ج٣ ص١٢٠ باب ثواب عيادة المريض ح٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١٤٠ باب غسل الميت ح٣٨٧.

سفرجلة أو أترجة أو لعقة من طيب أو قطعة من عود؟» فقلنا: ما معنا من هذا شيء، قال: «أما علمتم أن المريض يستريح إلى كل ما أدخل به عليه»[١].

وعن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فو الله إنهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة إليهم»[٢].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله عاد يهوديا في مرضه»[٣].

آداب النكاح

مسألة: يستحب رعاية آداب النكاح، وقد ورد في مجال انتخاب الصالحات، واختيار الطيبات نصوص وروايات كثيرة.

قال تعالى: ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾[٤].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً»[٥].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: خير نسائكم

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٣٦١-٣٦٢ ب١١ ف١ في عيادة المريض.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٦ ب١ ح١٥٤٩٧.

(٣) الجعفريات: ص١٥٩ باب وجوب حق الدعوة.

(٤) سورة النور: ٢٦.

(٥) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٤ ب٣٤ ح٢٤.

الخمس، قيل يا أمير المؤمنين وما الخمس؟ قال: الهينة، اللينة، المؤاتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن يتزوج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين»[٢].

الزواج وبناء الأسرة

مسألة: يحرّض الإسلام تحريضاً شديداً على النكاح والزواج إبان البلوغ الشرعي للبنين والبنات، وبذلك تغلق أبواب الفساد أمام الشباب والفتيات، إضافة إلى ما في الزواج المبكّر من الفوائد الصحية والجسمية، وسلامة الروح والبدن.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: تزوجوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تعالى لم يترك شيئاً مما يُحتاج إليه إلا علمه نبيه صلى الله عليه وآله وكان من تعليمه إياه أنه صعد المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن جبرئيل أتاني عن اللطيف الخبير فقال: إن الأبكار بمنزلة الثمر على الشجر إذا أدرك ثمارها فلم يجتنى أفسدته الشمس وهدمته الريح، وكذلك الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فليس لهن دواء إلا البعولة وإلا لم يؤمن عليهن الفساد لأنهن بشر، قال: فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله فمن

(١) الكافي: ج٥ ص٣٢٤-٣٢٥ باب خير النساء ح٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٣٨٨ باب ما يستحب ويحمد من أخلاق النساء ح٤٣٦٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧-١٨ ب١ ح٢٤٩١١.

نتزوج؟ قال: الأكفاء، قال: يا رسول الله ومن الأكفاء؟ قال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾[٢]»[٣].

عفة الفرج

مسألة: يجب أن يعف الإنسان فرجه عن الحرام وعما لا يحل.

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾**[٤].

وعن أبي حمزة قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد إني مبتلى بالنساء فأزني يوماً وأصوم يوماً فيكون ذا كفارةً لذا، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «إنه ليس شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يطاع فلا يعصى فلا تزني ولا تصوم» فاجتذبه أبو جعفر عليه السلام إليه فأخذه بيده فقال: «تعمل عمل أهل النار وترجو أن تدخل الجنة»[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «في الزنا خمس خصال، يذهب بماء الوجه، ويورث الفقر، وينقص العمر، ويسخط الرحمن، ويخلد في النار

(١) روضة الواعظين: ج٢ ص٣٧٤ مجلس في ذكر الحث على النكاح وفضله.

(٢) سورة الأنفال: ٧٣.

(٣) غوالي اللآلي: ج٣ ص٣٤٠ ق٢ باب النكاح ح٢٥٢.

(٤) سورة المؤمنون: ٥-٧، سورة المعارج: ٢٩-٣١.

(٥) عدة الداعي: ص٣١٣ ب٦.

نعوذ بالله من النار»[١].

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: «يا علي في الزنا ست خصال ثلاث منها في الدنيا، وثلاث منها في الآخرة، فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، ويعجل الفناء، ويقطع الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب، وسخط الرحمن، والخلود في النار»[٢].

غض البصر

مسألة: يجب غض البصر عما لا يحل النظر إليه، فان النظر إلى ما لا يحل سهم مسموم من سهام إبليس، يسمّم الروح، ويعكّر صفاء القلب، ويرهق النفس، ويمرض الجسم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النظر إلى محاسن النساء سهم من سهام إبليس فمن تركه أذاقه الله طعم عبادة تسره»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغض البصر، فإن البصر لا يغض عن محارم الله تعالى إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال» وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: بما ذا يستعان على غض البصر؟ فقال عليه السلام: «بالخمود تحت سلطان المطلع على سرك، والعين جاسوس القلب وبريد العقل، فغض بصرك عما لا يليق بدينك ويكرهه قلبك وينكره عقلك» قال النبي صلى الله عليه وآله: «غضوا أبصاركم ترون العجائب» قال الله تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥٤٢ باب الزاني ح٩.

(٢) الخصال: ج١ ص٣٢٠-٣٢١ باب الستة ح٣ في الزنا ست خصال.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٧٠-٢٧١ ب٨١ ح١٦٦٨٦.

ويحفظوا فروجهم﴾[١]، وقال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين: «إياكم والنظر إلى المحذورات فإنه بذر الشهوات وبنات الفسق» قال يحيى عليه السلام: «الموت أحب إلي من نظرة بغير واجب» وقال عبد الله بن مسعود لرجل نظر إلى امرأة قد عادها في مرضها: لو ذهب عيناك لكان خيراً لك من عيادة مريضك، ولا تتوفر عين يصيبها من نظر إلى محذور إلا وقد انعقد عقدة على قلبه من المنية ولا تنحل بإحدى الحالين إما ببكاء الحسرة والندامة بتوبة صادقة، وإما بأخذ نصيبه مما تمنى ونظر إليه فأخذ الحظ من غير توبة فيصيره إلى النار، وأما التائب البالي بالحسرة والندامة عن ذلك فمأواه الجنة ومنقلبه الرضوان[٢].

لا للاختلاط المحرّم

مسألة: لا يجوز الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء، فان ذلك مفسدة للمجتمع، وممرضة للقلوب والأجسام، ومهزلة للعقول والأفكار.

روي: «أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس (لعنه الله) وعليه برنس يتلون فيه ألوانا، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال: السلام عليك.

فقال موسى: من أنت؟

قال: أنا إبليس.

قال: فلا حياك الله، ما جاء بك؟

قال: جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله تعالى ومكانك منه.

قال: فما الذي رأيت عليك؟

(١) سورة النور: ٣٠.

(٢) مصباح الشريعة: ص٩-١٠ ب٣ في غض البصر.

قال: به أختطف قلوب بني آدم.

قال: فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟

قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه، وأحذرك ثلاثة لا تخل بامرأة فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه أفتتنه بها، ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخرج رجل صدقة ولم يمضها إلا كنت صاحبها دون أصحابه حتى أحول بينه وبين الوفاء بها، ثم ولى وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم»[1].

وعن محمد بن الطيار قال: دخلت المدينة وطلبت بيتاً أتكاراه فدخلت داراً فيها بيتان بينهما باب وفيه امرأة، فقالت: تكاري هذا البيت. قلت: بينهما باب وأنا شاب، فقالت أنا أغلق الباب بيني وبينك، فحولت متاعي فيه وقلت لها: أغلقي الباب، فقالت: تدخل علي منه الروح دعه، فقلت: لا أنا شاب وأنت شابة أغلقيه، فقالت: اقعد أنت في بيتك فلست آتيك ولا أقربك، وأبت أن تغلقه، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك، فقال: «تحول منه فإن الرجل والمرأة إذا خليا في بيت كان ثالثهما الشيطان»[2].

وقال الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتى تورم قدماها وقال النبي لها: «أي شيء خير للمرأة»؟ قالت: «أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل» فضمها إليه وقال: «﴿**ذرية بعضها من بعض**﴾[3]»[4].

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص١٠٣ باب تهذيب الأخلاق.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٢٥٢ باب المزارعة والإجارة ح٣٩١٣.

(٣) سورة آل عمران: ٣٤.

(٤) المناقب: ج٣ ص٣٤٢ فصل في سيرتها.

حقوق المرأة

مسألة: هناك نصوص كثيرة تؤكد على لزوم احترام المرأة ورعاية حقوقها كاحترام الرجل ورعاية حقوقه، لاشتراكهما في الإنسانية، وفي جميع الأحكام إلا ما خرج بالدليل لحكمة رآها الشارع، فقد وردت روايات عديدة توصي بحسن التعامل معها مطلقاً، زوجة كانت أم أماً أو بنتاً أو أختاً أو خالة أو عمة أو ما أشبه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «من أخلاق الأنبياء صلى الله عليهم حب النساء»[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أظن رجلا يزداد في الإيمان خيراً إلا ازداد حباً للنساء»[(٢)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المرأة خلقت من الرجل وإنما همتها في الرجال فأحبوا نساءكم وإن الرجل خلق من الأرض وإنما همته في الأرض»[(٣)].

أقول: خلقت من الرجل أي من مائه، أو المقصود خلق حواء عليها السلام من فاضل الطين الذي خلق الله منه آدم عليه السلام كما في الروايات.

(١) الكافي: ج٥ ص٣٢٠ باب حب النساء ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢ ص٢١-٢٢ ب٣ ح٢٤٩٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٦٦ ب١٠ ح١٣، بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٦ ب٢ ح١٦.

التوسعة على العيال

مسألة: يستحب التوسعة على العيال، وذلك حسب النصوص والروايات الشريفة.

عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ينبغي للرجل أن يوسع على عياله كيلا يتمنوا موته، وتلا هذه الآية **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾**[1]، قال: الأسير عيال الرجل ينبغي للرجل إذا زيد في النعمة أن يزيد أسراءه في السعة عليهم ثم قال: إن فلاناً أنعم الله عليه بنعمة فمنعها أسراءه وجعلها عند فلان فذهب الله بها» قال معمر: وكان فلان حاضراً[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن المؤمن يأخذ بآداب الله إذا وسع الله عليه اتسع وإذا أمسك عنه أمسك»[3].

وعن مسعدة قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «إن عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل أوشك أن تزول عنه تلك النعمة»[4].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في الجنة درجة لا يبلغها إلا إمام عادل، أو ذو رحم وصول، أو ذو عيال صبور»[5].

---

(١) سورة الإنسان: ٨.

(٢) الكافي: ج٤ ص١١ باب كفاية العيال والتوسع عليهم ح٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥٤٠-٥٤١ ب٢٠ ح٢٧٨٠٨.

(٤) الأمالي للصدوق: ص٤٤٢ المجلس٦٨ ح٣.

(٥) بحار الأنوار: ج٧١ ص٩٠ ب٣ ح٩، بحار الأنوار: ج١٠١ ص٧٠ ب١ ح٤.

مع الأهل والأولاد

مسألة: يستحب شراء التحف والهدايا للعيال والأهل والأولاد.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل السوق فاشترى تحفةً فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإن من فرح ابنة فكأنما أعتق رقبةً من ولد إسماعيل، ومن أقر عين ابن فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله أدخله الله جنات النعيم»[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفق المسلم على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة»[2].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ويقول: تهادوا فإن الهدية تسل السخائم وتجلي ضغائن العداوة والأحقاد»[3].

تربية الأولاد

مسألة: يستحب أو يجب ـ كل في مورده ـ الاهتمام بتربية الأولاد، وحسن كفالتهم، وتعليمهم، وتربيتهم تربية صالحة.

عن النبي ﷺ أنه قال: «لأن يؤدب أحدكم ولدا خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم»[4].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١١٨ ب٥ ح١٧٧١٥.

(٢) الأمالي للطوسي: ص٣٨٣ المجلس١٣ ح٨٢٨.

(٣) الكافي: ج٥ ص١٤٣ باب الهدية ح٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٤٧٦ ب٨٣ ح٢٧٦٢٨.

وعن الصادق عليه السلام قال: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، والزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلا فإنه ممن لا خير فيه»[١].

بر الوالدين

مسألة: من الواجبات الشرعية والأخلاقية معاً هو: بر الوالدين في الجملة، ويحرم عقوقهما.

عن أبي ولاد الحناط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**بالوالدين إحساناً**﴾[٢] ما هذا الإحسان؟ فقال: «الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله عز وجل: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾[٣].

قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «وأما قول الله عز وجل ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما**﴾[٤] قال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك، قال ﴿**وقل لهما قولا كريماً**﴾[٥]، قال: إن ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك منك قول كريم، قال: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾[٦] قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما»[٧].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٩٢ باب تأديب الولد وامتحانه ح٤٧٤٣.

(٢) سورة البقرة: ٨٣، سورة النساء: ٣٦، سورة الأنعام: ١٥١، سورة الإسراء: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران: ٩٢.

(٤) سورة الإسراء: ٢٣.

(٥) سورة الإسراء: ٢٣.

(٦) سورة الإسراء: ٢٤.

(٧) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٩-٤٠ ب٢ ح٣.

وعن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرهما حيين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل فإن ذلك من الإيمان»[1].

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببره وصلته خيراً كثيراً»[2].

(١) الكافي: ج٢ ص١٥٨ باب البر بالوالدين ح٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٧٦-٢٧٧ ب١٢ ح١٠٦٤٧، الوسائل: ج٢١ ص٥٠٥ ب١٠٦ ح٢٧٧٠٦.

مسائل حول
العولمة السياسية في الإسلام

نعم للشورى

مسألة: لا يجوز الاستبداد في الحكم، ولا البقاء فيه طويلاً من دون إرادة الشعب له، ولا توارث الحكم خلفاً عن سلف، ولا التلاعب بالآراء أو حصر المرشحين في القائمين بالحكم، ولا ما أشبه ذلك من الأمور التي تجري اليوم في بلاد المسلمين وكثير من بلاد العالم، وذلك لأن الحكم في الإسلام بالنسبة لغير المعصومين ﷺ هو بالتناوب، وبالكفاءات، وبالتصويت الحر الذي تتنافس فيه الأحزاب الحرة، وبالتعددية الحقيقية لا الحزب الواحد، وبأكثرية الآراء، وبالشورى، كما يجب توفير بقية الشروط الشرعية أيضاً.

عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لا يطمعن القليل التجربة المعجب برأيه في رئاسة»[١].

وعنه ﷺ قال: «ثلاث هن قاصمات الظهر، رجل استكثر عمله ونسي ذنوبه وأعجب برأيه»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٩٨ ب٤٨ ح٢.

(٢) معاني الأخبار: ص٣٤٣ باب معنى قاصمات الظهر ح١.

وورد فيما أوصى به الإمام الصادق عليه السلام سفيان الثوري: «وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل»[١].

وعن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «قم بالحق ولا تعرض لما فاتك، واعتزل ما لا يعنيك، وتجنب عدوك، واحذر صديقك من الأقوام إلا الأمين، والأمين من خشي الله، ولا تصحب الفاجر، ولا تطلعه على سرك، ولا تأمنه على أمانتك، واستشر في أمورك الذين يخشون ربهم»[٢].

التعددية السياسية

مسألة: ينبغي للمسلمين وربما وجب عليهم، في حياتهم وخاصة السياسية، اتخاذ أسلوب التعددية السياسية والحزبية المتنافسة على البناء والتقدم، لا المتناحرة فيما بينها كما تعارف عند بعض المسلمين في هذا اليوم حيث تشكلت فيهم أحزاب وجماعات تعمل بدل التنافس في الخير والتقدم، على ضرب بعضهم البعض.

وفي الحديث: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع، فأمسك الحزب الآخر وقالوا: لن يغلب حزب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ارموا فإني أرمي معكم فرمى مع كل واحد رشقاً، فلم يسبق بعضهم بعضاً»[٣].

---

(١) الخصال: ج١ ص١٦٩ باب الثلاثة ح٢٢٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٣١-٣٢ ب١٦ ح١٥٥٦٤.

(٣) غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٦٦ ق٢ باب السبق والرماية ح٥.

الحريات الأساسية

مسألة: لا تجوز مصادرة حريات الناس التي جاء بها الإسلام وجعلها من أوليات حياة الإنسان، فإن الإنسان المسلم حر في كافة شؤونه، وفي كل الدول الإسلامية: سواء في السفر والإقامة، أو الزراعة والتجارة، أو البناء والعمران، أو الكسب والعمل، أو نشر الكتب والمقالات، أو المجلات والجرائد، أو تأسيس محطات البث والإعلام، أو تأسيس الأحزاب والجمعيات، أو التأليف والخطابة، أو اختيار السكن والزواج، فإنه حر في جميع النشاطات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها، إلا في المحرمات الشرعية، ولا يحق لأحد منعه من الأمور المذكورة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الناس مسلطون على أموالهم»[(١)].

ومن القاعدة الفقهية: «وعلى أنفسهم»[(٢)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حراً»[(٣)].

وقال عليه السلام: «الحر حر و إن مسه الضر»[(٤)].

وقال عليه السلام: «ليس للأحرار جزاء إلا الإكرام»[(٥)].

---

(١) نهج الحق: ص٤٩٤ المسألة الثامنة ف٧.

(٢) انظر موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قاعدة السلطنة.

(٣) نهج البلاغة، الرسائل: ٣١ ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٥ ق٤ ب١ ف٥ ح٧٧١١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٥ ق٤ ب١ ف٥ ح٧٧١٣.

حرمة الأشخاص والأموال

مسألة: لا يجوز أي نوع من مصادرة الأموال، أو إلقاء القبض على الأشخاص وسجنهم، أو إخراجهم من البلد ونفيهم، إلا في الموارد المقررة شرعاً، وعند ذلك يجب العمل وفق الضوابط الشرعية المذكورة في الفقه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له إنني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»[2].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من أكل مال أخيه ظلماً ولم يرده إليه أكل جذوةً من النار يوم القيامة»[3].

لا عنف ولا إرهاب

مسألة: يحرّم الإسلام الغدر والاغتيال وكل ما يسمى اليوم بالعنف والإرهاب، فانه لا عنف في الإسلام، بل الإسلام هو دين السلم والسلام، والصلح والوئام.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٣٣ باب الظلم ح١٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٥٥-٥٦ ب٨٠ ح٢٠٩٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٣١ ب٧٩ ح٦٦.

ولا يجوز أي عمل يوجب إيذاء الناس وإرعابهم، والغدر بهم وبحياتهم، أو يؤدي إلى تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، على تفصيل ذكرناه في كتاب (اللاعنف في الإسلام)[1].

فإن الرفق واللين مستحب في كل الأمور، وفي خصوص الحكم واجب، والعُنف والخُرق مكروه في كل الشؤون، وفي خصوص الحكم حرام.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثماني خصال، وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبر والده»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زي الإيمان الفقه، ومن زي الفقه الحلم، ومن زي الحلم الرفق، ومن زي الرفق اللين، ومن زي اللين السهولة»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجيء كل غادر يوم القيامة بإمام مائل شدقه حتى يدخل النار»[4].

وعن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قريتين من أهل الحرب لكل واحدة منهما ملك على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا ثم إن أحد الملكين

---

(1) يقع الكتاب في ٢٤٨ صفحة وهو من إصدارات مركز الجواد للتحقيق والنشر. ويشتمل على الفصول التالية: اللاعنف في القرآن، اللاعنف في الحديث الشريف، اللاعنف في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، اللاعنف في سيرة أهل البيت عليهم السلام، اللاعنف في المجتمع، اللاعنف السياسي، من معالم اللاعنف، اللاعنف والمرأة، ماذا عن العنف، و...

(2) الكافي: ج٢ ص٤٧ باب خصال المؤمن ح١.

(3) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٩ ب١٠٦ ح١٥٩٤٥.

(4) الكافي: ج٢ ص٣٣٧ باب المكر والغدر والخديعة ح٢.

غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزو معهم تلك المدينة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا، ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم، ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار»[١].

وعن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولو لا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرةً، وكل فجرة كفرةً، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»[٣].

لا للتجسس

مسألة: يحرم التجسس على المسلمين ووضع الجواسيس عليهم، فان التجسس خلاف حرية الإنسان التي أقرها الإسلام، بل ورد الأمر بحسن الظن وحمل فعل الغير على محامل الخير.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٦٩ ب٢١ ح٢٠٠٠٣.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٣٦ باب المكر والغدر والخديعة ح١.

(٣) نهج البلاغة، الخطب: ٢٠٠ من كلام له عليه السلام في معاوية.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٠٩.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم[1] عندك أطلبهم[2] لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء»[4].

حقوق الإنسان السياسية

مسألة: تجب رعاية حقوق الإنسان السياسية وغيرها على الوجه الذي أمر به الإسلام، فإن الإسلام ضمن أكبر الحريات السياسية للأفراد والأحزاب وما أشبه ضماناً لم يضمنه غيره من الأديان الأخرى، ولا سائر المبادئ الأرضية الأخر.

قال الصادق عليه السلام: «السرور في ثلاث خلال: في الوفاء ورعاية الحقوق والنهوض في النوائب»[5].

وعن الحسن بن علي الجرجاني عمن حدثه عن أحدهما عليهما السلام قال: «لاتدخل في شيء مضرته عليك أعظم من منفعته لأخيك»[6].

(1) أشنؤهم: أبغضهم.

(2) الأطلب للمعائب: الأشد طلباً لها.

(3) نهج البلاغة، الرسائل: 53 من كتاب له عليه السلام: كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(4) كشف الريبة: ص21 ف1.

(5) تحف العقول: ص323 من كلام له عليه السلام سماه بعض الشيعة نثر الدر.

(6) الكافي: ج4 ص33 باب في آداب المعروف ح3.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافى في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلا ببعض، فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله عزوجل لكل على كل، فجعلها نظام ألفتهم وعزاً لدينهم وقواماً لسنن الحق فيهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية من الوالي حقه وأدى إليها الوالي كذلك عز الحق بينهم، فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن، وصلح بذلك الزمان وطاب بها العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء»[1].

لا للتعذيب

مسألة: التعذيب حرام في الإسلام، ولا يجوز انتزاع الإقرار ممن يحتمل فيه الإجرام سياسيا كان أم غير سياسي بالضرب والتعذيب، بل يجب التوصل إليه بالطرق الشرعية، وإذا أقرّ في هذه الصورة فلا اعتبار به.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأةً، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام: «يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن بي

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٤ ص٣٥٦-٣٥٧ ب١٤ ح٣٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٣٨ ب٦٠ ح١.

إلا قاتلي، انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربةً بضربة، ولا تمثلوا بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[١].

ثم أقبل على ابنه الحسن عليه السلام فقال: «يا بني أنت ولي الأمر وولي الدم، فإن عفوت فلك وإن قتلت فضربةً مكان ضربة ولا تأثم»[٢].

هكذا يؤخذ الاعتراف

وفي الحديث أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل يوماً إلى مسجد الكوفة من الباب القبلي فاستقبله نفر فيهم فتىً حدث يبكي والقوم يسكتونه، فوقف عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال للفتى: «ما يبكيك»؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن أبي خرج مع هؤلاء في سفر للتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله فقالوا: لم يخلف مالا، فقدمتهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين، وأنا أعلم يا أمير المؤمنين أن أبي كان معه مال كثير. فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «ارجعوا».

فردهم معه ووقف على شريح فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟

فقال شريح: يا أمير المؤمنين إن هذا الفتى ادعى على هؤلاء القوم دعوى فسألته البينة فلم يحضر أحداً فاستحلفتهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هيهات يا شريح ليس هكذا يحكم في هذا.

قال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أحكم فيه ولأحكمن اليوم فيه بحكم ما حكم به بعد داود النبي عليه السلام أحد.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٧ من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله).

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٨٩ باب رسم الوصية ح٥٤٣٣.

ثم جلس عليه السلام في مجلس القضاء ودعا بعبيد الله بن أبي رافع وكان كاتبه وأمره أن يحضر صحيفةً ودواةً ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في نواحي المسجد ويجلس كل رجل منهم إلى سارية، وأقام مع كل واحد منهم رجلا وأمر بأن تغطى رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبرت فكبروا.

ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمله وقال: أتظنون أني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى، إني إذاً لجاهل ثم أقبل عليه فسأله، فقال: مات يا أمير المؤمنين، فسأله كيف كان مرضه وكم مرض وأين مرض وعن أسبابه في مرضه كلها وحين احتضر ومن تولى تغميضه ومن غسله وما كفن فيه ومن حمله ومن صلى عليه ومن دفنه.

فلما فرغ من السؤال رفع صوته وقال: الحبس الحبس وكبر، وكبر من كان معه فارتاب القوم ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقر.

ثم دعا برجل آخر فقال له مثل ما قال للأول فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إنما كنت واحداً من القوم ولقد كنت علم الله كارهاً لقتله وأقر بالقتل.

ثم دعاهم واحداً واحداً فأقروا أجمعين ما خلا الأول، وأقروا بالمال فردوه وألزمهم ما يجب في القصاص.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين كيف كان حكم داود في مثل هذا الذي أخذته عنه؟

فقال عليه السلام: «مر داود عليه السلام بغلمان يلعبون وفيهم غلام منهم ينادونه (يا مات الدين) فيجيبهم، فوقف عليه داود عليه السلام فقال: يا غلام ما اسمك؟

فقال: مات الدين.

قال: ومن سماك بهذا الاسم؟

قال: أمي.

قال: وأين أمك.

قال: في بيتها.

قال: امض بين يدي إليها.

فمضى الغلام واستخرج أمه، فقال لها داود عليه السلام: هذا ابنك؟

قالت: نعم.

قال: ما اسمه؟

قالت: مات الدين.

قال: ومن سماه بهذا الاسم؟

قالت: أبوه.

قال:وأين أبوه؟

قالت: خرج مع قوم في سفر لهم بتجارة فرجعوا ولم يرجع فسألتهم عنه، فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله، فقالوا: ذهب، فقلت: أوصاكم في أمري بشيء، فقالوا: نعم أوصانا وأعلمنا بأنك حبلى فمهما ولدت من ولد فسميه مات الدين.

قال: وأين هؤلاء القوم؟

قالت: حضور.

قال: امضي معي إليهم، فجمعهم وفعل في أمرهم مثل الذي فعلته وحكم بما حكمت.

وقال للمرأة: سمي ابنك هذا عاش الدين»[1].

لا تضربوهم

وفي الحديث: انه أقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء، فأخذهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا لهم: من أنتم؟

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٨٥-٣٨٧ ب١٦ ح٢١٦٤٤.

قالوا: نحن عبيد قريش.

قالوا: فأين العير.

قالوا: لا علم لنا بالعير.

فأقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلي فانفتل من صلاته فقال: «إن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم عليّ بهم» فأتوه بهم فقال لهم: «من أنتم؟»

قالوا: يا محمد نحن عبيد قريش.

قال: «كم القوم؟»

قالوا: لا علم لنا بعددهم.

قال: «كم ينحرون كل يوم جزوراً؟»

قالوا: تسعة أو عشرة.

فقال ﷺ: «تسعمائة أو ألف»[1].

حرمة الظلم

مسألة: لا يجوز الظلم سواء من الحاكم أو غيره، فانه من أشد المحرمات شرعاً، كما يجب التحلي بالعدل والإنصاف.

عن أبي بصير قال: دخل رجلان على أبي عبد الله عليه السلام في مداراة بينهما ومعاملة، فلما أن سمع كلامهما قال: «أما إنه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم» ثم قال: «من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به، أما إنه إنما يحصد ابن آدم ما

(١) راجع تفسير القمي: ص٢٦٠ سورة الأنفال – غزوة بدر.

يزرع وليس يحصد أحد من المر حلواً، ولا من الحلو مراً، فاصطلح الرجلان قبل أن يقوما»[١].

وعن أبي جعفرعليه السلام قال: «لما حضر علي بن الحسينعليه السلام الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به، قال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله»[٢].

وقال أمير المؤمنينعليه السلام: «وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد، وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف[٣] برضى الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة»[٥].

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: قال: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»[٦].

وعن أبي عبد اللهعليه السلام قال: «قال أمير المؤمنينعليه السلام: اعرفوا الله بالله

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٣٤ باب الظلم ح٢٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٤٨ ب٧٧ ح٢٠٩٤٥.

(٣) يجحف برضا الخاصة: يذهب برضاهم.

(٤) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي، لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٣٠ ب٧٩ ح٦٣.

(٦) الكافي: ج٢ ص٣٣٤ باب الظلم ح١٨.

والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن لله جنةً لا يدخلها إلا ثلاثة، رجل حكم على نفسه بالحق ورجل زار أخاه المؤمن في الله ورجل آثر أخاه المؤمن في الله»[٣].

أهم واجبات الحاكم والحكومة

مسألة: من أهم ما يجب على الحاكم والحكومة الإسلامية أن تتعامل مع شعبها أفضل وأنظف تعامل إنساني يمكن تعامله مع الشعوب، وذلك في جميع المجالات، وبما للكلمة من معنى.

ويشاهد ذلك بوضوح في حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

ماذا تظنون؟

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله مكة يوم افتتحها، فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ما ذا تقولون وما ذا تظنون؟

قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت.

قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي

---

(١) الكافي: ج١ ص٨٥ باب أنه لا يعرف إلا به ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٩٣ ب٣٧ ح٢٠٥٥٠.

(٣) عدة الداعي: ص١٨٨ ب٤ ق٢ الرابع عشر الدعاء للإخوان والتماسه منهم.

حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد.

فقال العباس: يا رسول الله إلا الأذخر فإنه للقبر والبيوت؟

فقال رسول الله ﷺ: إلا الأذخر»[١].

مع عكرمة بن أبي جهل

وفي التاريخ أنه هرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن حتى ركب البحر، فجاءت زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله ﷺ في نسوة... فقالت أم حكيم امرأة عكرمة: يا رسول الله إن عكرمة هرب منك إلى اليمن خاف أن تقتله فأمنه.

فقال ﷺ: «هو آمن».

فخرجت أم حكيم في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حي فاستغاثت بهم عليه، فأوثقوه رباطا وأدركت عكرمة، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فهاج بهم فجعل نوتي السفينة يقول له أن أخلص.

قال: أي شيء أقول.

قال: قل لا إله إلا الله.

قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا.

فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم جئتك من عند خير الناس وأوصل الناس وأبر الناس لا تهلك نفسك، فوقف لها حتى أدركته فقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ فأمنك.

قال: أنت فعلت.

---

(١) الكافي: ج٤ ص٢٢٥-٢٢٦ باب أن الله عزوجل حرم مكة حين خلق السماوات والأرض ح٣.

قالت: نعم أنا كلمته فأمنك، فرجع معها.

فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا، فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت».

فلما وصل عكرمة ودخل على رسول الله ﷺ وثب إليه ﷺ وليس عليه رداء فرحا به ثم جلس فوق عكرمة بين يديه ومعه زوجته منقبة فقال: يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني؟

فقال: «صدقت أنت آمن».

فقال عكرمة: فإلى م تدعو؟

فقال: «إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة» وعد خصال الإسلام.

فقال عكرمة: ما دعوت إلا إلى حق وإلى حسن جميل ولقد كنت فينا من قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثا وأعظمنا برا، ثم قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئا أعطيه أحدا إلا أعطيتكه».

قال: فإني أسألك أن تغفر لي كل عداوة عاديتكها أو مسير أوضعت فيه أو مقام لقيتك فيه أو كلام قلته في وجهك أو أنت غائب عنه.

فقال: «اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها وكل مسير سار فيه إلي يريد بذلك إطفاء نورك، واغفر له ما نال مني ومن عرضي في وجهي أو أنا غائب عنه».

فقال عكرمة: رضيت بذلك يا رسول الله، ثم قال: أما والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الإسلام وفي سبيل الله ولأجتهدن في القتال بين يديك حتى أقتل شهيدا.

قال: فرد عليه رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الأول[١].

مع أسرى صفين

أسر أمير المؤمنين علي عليه السلام أسرى يوم صفين فخلى سبيلهم، فأتوا معاوية، وقد كان عمرو بن العاص يقول لأسرى أسرهم معاوية: اقتلهم، فما شعروا إلا بأسراهم قد خلى سبيلهم علي عليه السلام.

فقال معاوية: يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر، ألا تراه قد خلى سبيل أسرانا، فأمر بتخلية من في يديه من أسرى علي عليه السلام وكان علي إذا أخذ أسيرا من أهل الشام خلى سبيله إلا أن يكون قد قتل أحدا من أصحابه.

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام لا يجهز على الجرحى ولا على من أدبر بصفين[٢].

مهمة الحاكم

مسألة: مهمة الحاكم والحكومة في الإسلام هي: إدارة البلاد والعباد، إدارة تؤدي إلى عمران البلاد وازدهارها، وصلاح العباد وتقدمهم تقدماً مطلوباً في جميع مجالات الحياة، ومن ذلك يلزم على الحاكم والحكومة أن تكون انتخابية واستشارية، ومتواضعة وخدومة، وحكومة الرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام خير أسوة في ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمالك الأشتر لما ولاه مصر: «ثم انظر في أمور

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة: ج١٨ ص٩-١٠ ذكر بقية الخبر عن فتح مكة.

(٢) انظر وقعة صفين: ص٥١٨-٥١٩ معاملة الأسرى.

عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباةً وأثرةً فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشراقاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فإن أحداً منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة، وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا فإن شكوا ثقلا أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبةً أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع

وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر»[١].

لا للخيانة والغلول

مسألة: يحرّم الإسلام الخيانة والغلول حرمة شديدة، وخاصة خيانة الحكام وغلولهم بالنسبة إلى شعوبهم، فإنها من أشد المحرمات كما جاء في القرآن والروايات الشريفة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٣].

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٤].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾[٥].

عن عمار بن مروان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الغلول، فقال: «كل شيء غل من الإمام فهو سحت، وأكل مال اليتيم سحت، والسحت أنواع كثيرة منها ما أصيب من أعمال الولاة الظلمة، ومنها أجور القضاة، وأجور الفواجر، وثمن الخمر والنبيذ والمسكر والربا بعد البينة فأما الرشوة يا عمار في الأحكام فإن ذلك الكفر بالله العظيم ورسوله»[٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منا من أخلف

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٢) سورة آل عمران: ١٦١.

(٣) سورة غافر: ١٩.

(٤) سورة الحج: ٣٨.

(٥) سورة النساء: ١٠٧.

(٦) معاني الأخبار: ص٢١١ باب معنى الغلول والسحت ح١.

بالأمانة»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر»[٢].

حسن التعامل حتى مع الأعداء

مسألة: يجب حسن التعامل مع الآخرين، أو يستحب ـ كل بحسبه ـ وهذا الحكم يجري حتى في التعامل مع الأعداء والكفار، وقد ذكرنا في بعض كتبنا: ان الإسلام بعد الحث على وجوب أو استحباب رعاية حق المؤمن والمسلم والرفق به أخذ يحث ويوصي حتى بالنسبة إلى الأعداء، كما يلاحظ ذلك بوضوح في سيرة رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام وقد أشرنا إلى بعض ذلك في كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم)[٣].

عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «الرفق نصف العيش»[٤].

وعن ثعلبة بن ميمون عمن حدثه عن أحدهما عليهما السلام قال: «إن الله رفيق يحب الرفق»[٥].

وعن تميم الداري قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي خمسا أضمن له الجنة» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «النصيحة لله عزوجل والنصيحة لرسوله والنصيحة لكتاب الله والنصيحة لدين الله والنصيحة لجماعة

(١) الكافي: ج٥ ص١٣٣ باب أداء الأمانة ح٧.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٣٣ باب أداء الأمانة ح٧.

(٣) يقع الكتاب في مجلدين، ويتناول البحث عن حياة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة. طبع عدة مرات.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧٠ ب٢٧ ح٢٠٤٨٣.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٦٣ ب٤٢ ح٣٣.

المسلمين»[١].

مع الأقليات الدينية

مسألة: ينبغي للحاكم والحكومة الإسلامية أن تتعامل بالتي هي أحسن حتى مع غير المسلمين مما يصطلح عليهم اليوم بالأقليات، ولا فرق بين كون الأقليات أديانا كالنصارى، أو غير أديان كالبرهمية على تفصيل ذكرناه في الفقه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بعث النبي صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى البحرين، فأصاب بها دماء قوم من اليهود والنصارى والمجوس، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أني أصبت دماء قوم من اليهود والنصارى فوديتهم ثمانمائة ثمانمائة وأصبت دماء قوم من المجوس ولم تكن عهدت إليّ فيهم عهداً؟

قال: فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله: أن ديتهم مثل دية اليهود والنصارى وقال: إنهم أهل كتاب»[٣].

وعن سماعة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مسلم قتل ذمياً؟ قال: فقال عليه السلام: «هذا شيء شديد لا يحتمله الناس فليعط أهله دية المسلم حتى ينكل عن قتل أهل السواد وعن قتل الذمي، ثم قال: لو أن مسلماً غضب على ذمي

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٨٧ ب٢١ ح١٤٣٦٦.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٢١ باب المسلم يقتل الذمي أو العبد أو المدبر ح٥٢٥٠.

فأراد أن يقتله ويأخذ أرضه ويؤدي إلى أهله ثمانمائة درهم إذن يكثر القتل في الذميين ومن قتل ذمياً ظلماً فإنه ليحرم على المسلم أن يقتل ذمياً حراماً ما آمن بالجزية وأداها ولم يجحدها»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس بين أهل الذمة معاقلة فيما يجنون من قتل أو جراح إنما يؤخذ ذلك من أموالهم، فإن لم يكن لهم مال رجعت الجناية على إمام المسلمين، لأنهم يؤدون الجزية إليه كما يؤدي العبد الضريبة إلى سيده»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تدخلوا على نساء أهل الذمة إلا بإذن»[٣].

وقال عليه السلام: «من آذى ذميا فكأنما آذاني»[٤].

حسن التعامل مع جميع الدول

مسألة: يجب على الحاكم والحكومة الإسلامية أن تحافظ على حسن تعاملها مع جميع الدول، سواء المجاورة منها أو البعيدة، مسلمة أو غير مسلمة، وأن تراعي جميع المعاهدات الدولية التي تعقدها مع الدول الأخرى، حتى غير الإسلامية منها، فان الإسلام قد أمر باحترام كل ذلك.

قال تعالى: ﴿**وأوفوا بالعقود**﴾[٥].

(١) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص١٨٨ ب١٤ ح٣٥.

(٢) علل الشرائع: ج٢ ص٥٤١ ب٣٢٧ ح١.

(٣) الجعفريات: ص٨٢ باب الاستئذان على أهل الذمة.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج١٧ ص١٤٧.

(٥) سورة المائدة: ١.

وقال سبحانه: ﴿**أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون**﴾[1].

وقال عزوجل: ﴿**الموفون بعهدهم إذا عاهدوا**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا**﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»[6].

وفي حديث آخر: «المسلمون عند شروطهم»[7].

مضافاً إلى روايات حسن الجوار فإنها تشمل ذلك في الجملة.

عن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاةً إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً»[8].

وعن أبي مسعود قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «حسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة الديار»[9].

---

(1) سورة البقرة: ١٠٠.

(2) سورة البقرة: ١٧٧.

(3) سورة الإسراء: ٣٤.

(4) سورة مريم: ٥٤.

(5) سورة المؤمنون: ٨، سورة المعارج: ٣٢.

(6) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٣٧١ ب٣١ ح٦٦.

(7) الكافي: ج٥ ص١٦٩ باب الشرط والخيار في البيع ح١.

(8) الكافي: ج٢ ص٧٧ باب الورع ح٩.

(9) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٢٩ ب٨٧ ح١٥٨٤٦.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعوذ بالله من جار السوء في دار إقامة تراك عيناه ويرعاك قلبه إن رآك بخير ساءه وإن رآك بشر سره»[١].

وعن أبي مالك قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: أخبرني بجميع شرائع الدين؟ قال: «قول الحق والحكم بالعدل والوفاء بالعهد»[٢].

وعن الحسين بن مصعب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين»[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة، إذا حدثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، وإذا ائتمنتم فلا تخونوا، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم وألسنتكم»[٤].

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أقربكم غدا مني في الموقف أصدقكم للحديث وآداكم للأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقا وأقربكم من الناس»[٥].

وقال عليه السلام: «إن العهود قلائد في الأعناق إلى يوم القيامة فمن وصلها وصله الله، ومن نقضها خذله الله، ومن استخف بها خاصمته إلى الذي أكدها وأخذ خلقه بحفظها»[٦].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٦٩ باب حق الجوار ح١٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣١٦ ب٣٧ ح١٣١٣٩.

(٣) الخصال: ج١ ص١٢٣-١٢٤ باب الثلاثة ح١١٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٩٤ ب٤٧ ضمن ح٩، والبحار: ج٧٤ ص١١٥ ب٦ ح٥.

(٥) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٢٩ المجلس٨ ح٤٠٣.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٢ ق٣ ب٢ ف٢ الوفاء بالنذر ح٥٢٧٧.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كن منجزاً للوعد موفياً بالنذر»[١].

لا إكراه في الدين

مسألة: لا يجبر الإسلام أحداً على أن يسلم، فإنما هو بالاقتناع والرضى، وليس بالجبر والإكراه. قال تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾[٢].

وفي حديث الرفع قال صلى الله عليه وآله: «رفع عن أمتي . . . ما استكرهوا عليه»[٣].

ومن هنا أسلم الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان منهم عامة اليهود في المدينة المنورة حيث رأوا أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحسن تعامله معهم وعدم جبرهم على الإسلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، وعليّ أولى به من بعدي، فقيل له ما معنى ذلك؟ فقال: قول النبي صلى الله عليه وآله من ترك ديناً أو ضياعاً فعلي ومن ترك مالا فلورثته، فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبي وأمير المؤمنين عليهما السلام ومن بعدهما ألزمهم هذا فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم وما كان سبب إسلام عامة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم»[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «دخل يهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعائشة عنده فقال: السام عليكم.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٢ ق٣ ب٢ ف٢ الوفاء بالنذر ح٥٢٨٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٤٢٣ ب٢٦ ح٧١٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٦٠ ب٩ ح٤٩.

فقال رسول الله ﷺ: عليكم.

ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد ﷺ عليه كما رد على صاحبه.

ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد رسول الله ﷺ كما رد على صاحبيه.

فغضبت عائشة فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود، يا إخوة القردة والخنازير!

فقال لها رسول الله ﷺ: يا عائشة إن الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء، إن الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه ولم يرفع عنه قط إلا شانه.

قالت: يا رسول الله أما سمعت إلى قولهم السام عليكم؟

فقال: بلى، أما سمعت ما رددت عليهم قلت عليكم، فإذا سلم عليكم مسلم فقولوا سلام عليكم وإذا سلم عليكم كافر فقولوا عليك»[١].

العفو هو الطابع العام

مسألة: ينبغي على الحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية إذا قامت، إصدار العفو العام عن كل من أجرم قبل قيام الحكم الإسلامي، كما عفا النبي ﷺ عن أهل مكة، وعفا أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل البصرة، فان العفو هو الطابع العام للسياسة الإسلامية، ويدل على ذلك عمومات أدلة العفو وغيرها مضافاً إلى سيرتهما الطاهرة. وهكذا بالنسبة إلى المجرمين بعد قيام الدولة، ولكن بالمقدار الذي لا يخل بحقوق الناس والأمن العام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الأشتر النخعي ـ كما سبق ـ: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٤٨ باب التسليم على أهل الملل ح١.

منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله» [٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلا عزاً الصفح عمن ظلمه وإعطاء من حرمه والصلة لمن قطعه»[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

(٢) مشكاة الأنوار: ص٢٢٨ ب٥ ف٣ في العفو.

(٣) الكافي: ج٢ ص١٠٨-١٠٩ باب العفو ح١٠.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٧٠ ب١١٢ ح١٥٩٨٥.

حقن الدماء وحفظها

مسألة: يحرم في الإسلام حرمة مغلظة دم المسلم بل دم الإنسان مطلقا ـ إلا ما خرج بالدليل ـ وعرضه وماله، فالسياسة الإسلامية غير ملوثة بسفك الدماء والسجن والتعذيب وما أشبه، بل تمنع عن ذلك منعا باتاً إلا في أقصى موارد الضرورة كماً وكيفاً، وذلك حسب الموازين المقررة في الشريعة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود[١] البدن، وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك[٢] سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فإن في الوكزة[٣] فما فوقها مقتلةً، فلا تطمحن[٤] بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم»[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء، فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب

---

(١) القود: القصاص وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.

(٢) أفرط عليك سوطك: عجل بما لم تكن تريده: أردت تأديباً فأعقب قتلاً.

(٣) الوكزة بفتح فسكون الضربة بجمع الكف بضم الجيم: أي قبضته وهي المعروفة باللكمة.

(٤) تطمحن بك: ترتفعن بك.

(٥) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

الدماء، حتى لا يبقى منهم أحد ثم الناس بعد ذلك حتى يأتي المقتول بقاتله فيتشخب في دمه وجهه فيقول هذا قتلني، فيقول أنت قتلته، فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً»[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من نفس تقتل برة ولا فاجرة إلا وهي تحشر يوم القيامة معلقاً بقاتله بيده اليمنى ورأسه بيده اليسرى وأوداجه تشخب دماً يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني، فإن كان قتله في طاعة الله يثيب القاتل وذهب بالمقتول إلى النار، وإن قال في طاعة فلان قيل له اقتله كما قتلك ثم يفعل الله فيهما بعد مشيته»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة وهو آيس من رحمة الله»[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من أعان على قتل امرئ مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوبا على جبهته آيس من رحمة الله»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمتي»[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من أعان على مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله»[٦].

---

(١) الكافي: ج٧ ص٢٧١ باب القتل ح٢.

(٢) ثواب الأعمال: ص٢٧٨ عقاب من قتل نفساً متعمداً.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢١١ ب٢ ح٢٢٥٢٨.

(٤) نهج الحق: ص٣١٢ نماذج أخرى من نسب معاوية وأنسابه وهم الشجرة الملعونة.

(٥) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٦٣.

(٦) المحاسن: ج١ ص١٠٣ ب٤٠ ح٨٠.

وقال‏ﷺ: «من أعان على مؤمن فقد برئ من الإسلام»[١].

وعن أبي عبد الله‏عليه السلام قال: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله تعالى»[٢].

وعن أبي عبد الله‏عليه السلام قال: «يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتى يلطخه بدم والناس في الحساب فيقول: يا عبد الله ما لي ولك، فيقول أعنت عليّ يوم كذا بكلمة فقتلت»[٣].

وعن أبي حمزة عن أحدهما عليهما السلام قال: «أتي رسول الله‏ﷺ فقيل له: يا رسول الله قتيل في مسجد جهينة! فقام رسول الله‏ﷺ يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم.

قال: وتسامع الناس فأتوه، فقال‏ﷺ:من قتل ذا؟

قالوا: يا رسول الله ما ندري؟

فقال: قتيل من المسلمين بين ظهراني المسلمين لا يدرى من قتله! والله الذي بعثني بالحق لو أن أهل السماوات والأرض شركوا في دم امرئ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار، أو قال على وجوههم»[٤].

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن العبد يحشر يوم القيامة وما يدمي دما فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دما، قال: بلى سمعت من فلان بن فلان كذا وكذا فرويتها عنه فنقلت عنه حتى صار

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢١٤ ب٢ ضمن ح٢٢٥٣٨.

(٢) غوالي اللآلي: ج١ ص٣٦٥ ب١ المسلك الثاني ح٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٧ ص٢١٧ ب٨ ح١٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٣٨٣ ب ٢ ح٣.

إلى فلان الجبار فقتله عليها فهذا سهمك من دمه»[١].

وعن أبي سعيد الخدري قال: «وجد قتيل على عهد رسول الله ﷺ فخرج ﷺ مغضبا حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يقتل رجل من المسلمين لا يدرى من قتله والذي نفسي بيده لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار، والذي نفسي بيده لايجلد أحد أحدا ظلما إلا جلد غدا في نار جهنم مثله والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أكبه الله على وجهه في نار جهنم»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب كان كمن قتله واشترك في دمه»[٣].

وقال ﷺ: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وكان كمن هدم الكعبة والبيت المقدس وقتل عشرة آلاف من الملائكة وأول ما يحكم الله تعالى في الدماء»[٤].

وعن فضالة عن أبان عمن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عمن قتل نفسا متعمدا، قال: «جزاؤه جهنم»[٥].

وعن حمران قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عزوجل: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**﴾[٦] وإنما قتل واحدا؟ فقال: يوضع في موضع من جهنم إليه

---

(١) المحاسن: ج١ ص١٠٤-١٠٥ ب٤٤ ح٨٤.

(٢) الأمالي للمفيد: ص٢١٦-٢١٧ المجلس٢٥ ح٣.

(٣) روضة الواعظين: ج٢ ص٤٦١ مجلس في ذكر قتل النفس والزنى.

(٤) أعلام الدين: ص٤١٠ باب ما جاء من عقاب الأعمال.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص١٤ ب١ ح٣٥٠٣٢.

(٦) سورة المائدة: ٣٢.

منتهى شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعا كان إنما يدخل ذلك المكان ولو كان قتل واحداً كان إنما يدخل ذلك المكان» قلت: فإن قتل آخر؟ قال: «يضاعف عليه»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «في رجل قتل رجلا مؤمنا قال: يقال له مت أي ميتة شئت إن شئت يهوديا وإن شئت نصرانيا وإن شئت مجوسيا»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أعق الناس على الله تعالى من قتل غير قاتله ومن ضرب من لم يضربه»[٣].

وعن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أوحى الله عزوجل إلى موسى بن عمران عليه السلام يا موسى قل للملأ من بني إسرائيل إياكم وقتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفسا في الدنيا قتله الله في النار مائة ألف قتلة مثل قتلة صاحبه»[٤].

وعن عبد الرحمن بن أسلم عنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «من قتل مؤمنا متعمدا أثبت الله تعالى عليه جميع الذنوب وبرئ المقتول منها وذلك قول الله تعالى: ﴿**أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار**﴾[٥]»[٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أعان على مسلم ـ مؤمن ـ فقد برئ من الإسلام»[٧].

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٧٩ باب نوادر المعاني ح٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص١٦٥ ب١١ ح٣٦.

(٣) ثواب الأعمال: ص٢٧٨ عقاب من قتل نفساً متعمداً.

(٤) المحاسن: ج١ ص١٠٥-١٠٦ ب٤٥ ضمن ح٨٧.

(٥) سورة المائدة: ٢٩.

(٦) ثواب الأعمال: ص٢٧٨-٢٧٩ عقاب من قتل نفساً متعمداً.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٦ ق٦ ب٥ ف١ ذم الظلم ح١٠٤٠٩.

إكرام الوفود والدبلوماسيين

مسألة: ينبغي للحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية إكرام الوفود وتقسيم الجوائز وتوزيع الهدايا بينهم وإن لم يكونوا مسلمين، وذلك اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فانهما كانا يفعلان ذلك في أيام حكومتيهما، وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك في المجلد الثاني من كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم).

فيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته: «أوصيك بحسن الجوار وإكرام الضيف ورحمة المجهود وأصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم»(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام لداود بن سرحان: «يا داود، إن خصال المكارم بعضها مقيد ببعض، يقسمها الله حيث يشاء، تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده، صدق الحديث وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وأداء الأمانة وصلة الرحم والتودد إلى الجار والصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء»(٢).

وعن الحسين بن نعيم قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أتحب إخوانك يا حسين» قلت: نعم، قال: «تنفع فقراءهم» قلت: نعم، قال: «أما إنه يحق عليك أن تحب من يحب الله أما والله لا تنفع منهم أحدا حتى تحبه، تدعوهم إلى منزلك؟» قلت: ما آكل إلا ومعي منهم الرجلان والثلاثة وأقل وأكثر، فقال أبو

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص٤١١ ب٣٠ ح٢٢.

(٢) الأمالي للطوسي: ص٣٠١ المجلس١١ ح٥٩٧.

عبد الله ﷺ: «فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم» فقلت: أدعوهم إلى منزلي وأطعمهم طعامي وأسقيهم وأوطئهم رحلي ويكونون علي أفضل منا، قال: «نعم إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك»[١].

القائد الإسلامي

مسألة: ينبغي للقائد الإسلامي رعاية سلوكه وتعامله أكثر من غيره، وذلك في كل الشؤون، وفي مختلف الجوانب، وخاصة في عفوه عن أعدائه وأعداء حكومته مما يعبر عنهم اليوم بالمعارضة، ولقد كان رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ، المثل الأعلى في هذا المجال.

قال الحسن ﷺ لأبيه أمير المؤمنين ﷺ بعد أن أخذ المسلمون ابن ملجم المرادي (لعنه الله): «هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك، قال: ففتح أمير المؤمنين ﷺ عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه معلق في عنقه، فقال له بضعف وانكسار صوت ورأفة ورحمة: يا هذا لقد جئت عظيما وارتكبت أمرا عظيما وخطبا جسيما، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء؟ ألم أكن شفيقا عليك، وآثرتك على غيرك، وأحسنت إليك وزدت في إعطائك؟ ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخليت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك، يا لكع وعل أن ترجع عن غيك فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء؟

قال: فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله تعالى وقال: «يا أمير المؤمنين

---

(١) المحاسن: ج٢ ص٣٩٠-٣٩١ ب١ ح٢٨.

﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾[١].

قال له: صدقت.

ثم التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفا ورعبا وفزعا.

فقال له الحسن عليه السلام: يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به، فقال له: نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرما وعفوا والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته، بحقي عليك فأطعمه يا بني مما تأكله واسقه مما تشرب، ولا تقيد له قدما، ولا تغل له يدا، فإن أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة، وتحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) وإن أنا عشت فأنا أولى بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به فإن عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفوا وكرما»[٢].

وروى أبو محمد الحسن بن محمد العلوي بإسناده قال: وقف على علي بن الحسين عليه السلام رجل فأسمعه وشتمه فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: «قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردي عليه».

قالوا: نفعل فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾**[٣]، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً.

قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال: «قولوا له هذا علي بن

---

(١) سورة الزمر: ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٢ ص٢٨٧-٢٨٨ ب١٢٧ كيفية شهادته عليه السلام ووصيته.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٤.

الحسين» قال: فخرج إلينا متوثبا للشر وهو لا يشك أنه إنما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا أخي إنك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت فإن كنت قد قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك».

قال: فقبل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحق به»[1].

وروي عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه دعا مملوكه مرتين فلم يجبه ثم أجابه في الثالثة، فقال له: «يا بني، أما سمعت صوتي» قال: بلى، قال: «فما بالك لم تجبني» قال: أمنتك، قال: «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني»[2].

(١) الإرشاد: ج٢ ص١٤٥-١٤٦ باب ذكر طرف من الأخبار لعلي بن الحسين عليه السلام.

(٢) إعلام الورى: ص٢٦١-٢٦٢ الركن الثالث ب٣ ف٤.

مع المعارضة السياسية

مسألة: ينبغي للحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية السماح للمعارضة بأن تعيش في كنف الإسلام، وظلال الحكم الإسلامي، وحقوقها محفوظة ما دام لم تشهر السيف والسلاح ضد المسلمين، وهكذا كان يتعامل رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام مع أفراد المعارضة.

روي انه دخل الزبير وطلحة على علي عليه السلام فاستأذناه في العمرة، فقال عليه السلام: «ما العمرة تريدان» فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة.

فقال لهما: «ما العمرة تريدان وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة» فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان وما رأيهما غير العمرة.

قال لهما: «فأعيدا البيعة لي ثانية» فأعاداها بأشد ما يكون من الإيمان والمواثيق فأذن لهما.

فلما خرجا من عنده قال عليه السلام لمن كان حاضرا: «والله لا ترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها».

قالوا: يا أمير المؤمنين فمر بردهما عليك.

قال: ﴿**ليقضي الله أمرا كان مفعولا**﴾[1].

لما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحدا إلا وقالا له ليس لعلي في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين، فبلغ عليا عليه السلام قولهما فقال: «أبعدهما الله وأغرب دارهما، أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل

---

(١) سورة الأنفال: ٤٢و٤٤.

ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم والله ما العمرة يريدان ولقد أتياني بوجهي فاجرين ورجعا بوجهي غادرين ناكثين والله لا يلقيانني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبعدا لهما وسحقا»[١].

وعن أمير المؤمنين علي ﷺ قال: لما رجع الأمر إليه أمر أبا الهيثم بن التيهان وعمار بن ياسر وعبيد الله بن أبي رافع فقال: «اجمعوا الناس ثم انظروا ما في بيت مالهم فأقسموه بينهم بالسوية» فحسبوا فوجدوا نصيب كل واحد منهم ثلاثة دنانير فأمرهم يقعدون للناس ويعطوهم، قال: وأخذ مكتله ومسحاته ثم انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها، فأخذ الناس ذلك القسم حتى بلغوا الزبير وطلحة وعبد الله بن عمر أمسكوا بأيديهم وقالوا: هذا منكم أو من صاحبكم؟

قالوا: بل هذا أمره لا نعمل إلا بأمره.

قالوا: فاستأذنوا لنا عليه.

قالوا: ما عليه إذن هو ذا ببئر الملك يعمل.

فركبوا دوابهم حتى جاءوا إليه فوجدوه في الشمس ومعه أجير له يعينه فقالوا له: إن الشمس حارة فارتفع معنا إلى الظل.

فارتفع ﷺ معهم إليه فقالوا له: لنا قرابة من نبي الله وسابقة وجهاد، إنك أعطيتنا بالسوية ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية، كانوا يفضلوننا على غيرنا.

فقال علي ﷺ: «أيهما عندكم أفضل عمر أو أبو بكر؟»

قالوا: أبو بكر.

قال: «فهذا قسم أبي بكر، وإلا فدعوا أبا بكر وغيره، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حق فخذوه».

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج١ ص٢٣٢-٢٣٣ أمر طلحة والزبير مع علي بن أبي طالب ﷺ بعد بيعتهما له.

قالا : فسابقتنا؟

قال : «أنتما أسبق مني بسابقتي؟» .

قالوا : لا .

قالا : قرابتنا بالنبي ﷺ؟

قال : «أهي أقرب من قرابتي؟» .

قالوا : لا .

قالوا : فجهادنا؟

قال : «أعظم من جهادي؟» .

قالوا : لا .

قال : «فو الله ما أنا في هذا المال وأجيري هذا إلا بمنزلة سواء» .

قالا : أفتأذن لنا في العمرة؟

قال : «ما العمرة تريدان، وإني لأعلم أمركم وشأنكم، فاذهبا حيث شئتما، فلما وليا قال : ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾[1]»[2] .

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) الخرائج والجرائح: ج١ ص١٨٦-١٨٧ ب٢ في معجزات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

النزاهة في الحكم

مسألة: ينبغي للحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية النزاهة الكاملة عن حب الدنيا وجمع الأموال، فإن المال إذا كان بيد الحاكم والحكومة، أفلس الناس وعاشوا الفقر والجهل والمرض والموت، وإذا كان بيد الناس كان علامة على سلامة الحاكم والحكومة، وقد خصص بيت المال للتوزيع العادل على الناس.

ومن هنا انتفى الفقر في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام حتى أنه رأى يوماً عاجزاً يتكفف فسأل متعجباً: «ما هذا؟» ولم يقل: من هذا، ثم أجرى له من بيت مال المسلمين راتباً حتى لا يبقى فقير واحد في الحكومة الإسلامية.

عن محمد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به أمير المؤمنين عليه السلام قال: مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما هذا» فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه أنفقوا عليه من بيت المال»[1].

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من دخل في الإسلام طائعاً وقرأ القرآن ظاهراً فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين وإن منع في الدنيا أخذها يوم القيامة وافيةً أحوج ما يكون إليها»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما ولي علي عليه السلام صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما إني والله ما أرزؤكم من فيئكم هذا درهماً ما قام لي عذق بيثرب فليصدقكم أنفسكم أ فترونى مانعاً نفسي ومعطيكم، قال: فقام إليه عقيل فقال

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢٩٢-٢٩٣ ب٩٢ ح١٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٨٥ ب٩ ح٧٦٨٥.

له: لتجعلني وأسود بالمدينة سواءً؟ فقال: اجلس أما كان هاهنا أحد يتكلم غيرك وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى»[١].

وعن أبي مخنف الأزدي قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف وفضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الأمور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أتأمروني ويحكم أن أطلب النصر بالظلم والجور في من وليت عليه من أهل الإسلام، لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير وما رأيت في السماء نجماً والله لو كانت أموالهم ملكي لساويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم»[٢].

الساسة وحياة التقشف

مسألة: ينبغي للحكومة الإسلامية والحاكم الإسلامي الزهد في الدنيا، والعزوف عنها، وعدم الافتتان بها، أو الانغماس فيها، وترك مباهجها وزخارفها، تجنّباً للوعيد الذي توعّد به الله الحكام المترفين، من النار والأغلال إذا هم لم يزهدوا في الدنيا، وعليهم الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين واسوا بأنفسهم أضعف رعيتهم في المسكن والملبس، والمأكل والمشرب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أراد الله تبارك وتعالى بعبد خيراً زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبه، ومن أوتي هذا فقد أوتي خير الدنيا والآخرة» وقال: «لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا وهو ضد لما طلب أعداء الحق» قلت: جعلت فداك مما ذا؟ قال: «من الرغبة فيها» وقال: «ألا

(١) الكافي: ج٨ ص١٨٢ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ح٢٠٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٠٥-١٠٦ ب٣٩ ح٢٠٠٧٧.

من صبار كريم فإنما هي أيام قلائل ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن عبادي لم يتقربوا إلي بشيء أحب إلي من ثلاث خصال، قال موسى عليه السلام: وما هي؟ قال: يا موسى الزهد في الدنيا والورع عن المعاصي والبكاء من خشيتي، قال موسى عليه السلام: يا رب فما لمن صنع ذلك؟ فأوحى الله إليه: يا موسى أما الزاهدون فأحكمهم في الجنة، وأما البكاءون من خشيتي ففي الرفيع الأعلى، وأما الورعون عن المعاصي فإني أناقش الناس ولا أناقشهم»[٢].

وقال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٣].

وفي النهج أيضا: «ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الأسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها»[٤].

وقال عليه السلام في ذم الدنيا في خطبة خطبها: «اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزون بها، ﴿**فلا تغرنكم الحياة الدنيا**﴾[٥] فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالعناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٣-٤٤ ب٦٢ ح١٣٤٧٠.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٣١٦ ب١٠ ف٣ في البكاء.

(٣) نهج البلاغة، الخطب: ٣ من خطبه له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٠ من خطبة له عليه السلام.

(٥) سورة لقمان: ٣٣.

زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها، بينا أهلها منها في رخاء و سرور إذ هم منها في بلاء و غرور، أحوال مختلفة وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم باعا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا، فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تغلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والستور والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور التي قد بني للخراب فناؤها فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة العيش رفاتا، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات ﴿**إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾[1] فكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور ووقفتم للتحصيل بين يدي ملك جليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك ﴿**تجزى كل نفس بما كسبت**﴾[2] إن الله عزوجل يقول: ﴿**ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي**

(١) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٢) سورة غافر: ١٧.

الذين أحسنوا بالحسنى﴾[١] وقال: **﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾**[٢] جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالما إلى دار السلام»[٤].

وعن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[٥].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «ملك ينادي كل يوم: ابن آدم لد للموت واجمع للفناء وابن للخراب»[٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال[٧] تحتها ثم راح

---

(١) سورة النجم: ٣١.

(٢) سورة الكهف: ٤٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٠ ص١١٧-١١٨ ب١٢٢.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٢٨ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح١.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٢ ب٦٢ ح٢٠٨٣١.

(٦) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٦٤ ب١٢٢ ح٣٢.

(٧) أي نام قليلاً، من القيلولة.

وتركها»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه القليل من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مئونته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور»[٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله جعلني إماماً لخلقه ففرض علي التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير بفقري ولايطغي الغني غناه»[٣].

وفي احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليّ بعاصم بن زياد»، فجيء به، فلما رآه عبس في وجهه فقال له: «أما استحييت من أهلك، أما رحمت ولدك، أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك، أو ليس الله يقول: ﴿**والأرض وضعها للأنام ✿ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام**﴾[٤]، أوليس الله يقول: ﴿**مرج البحرين يلتقيان ✿ بينهما برزخ لا يبغيان**﴾ إلى قوله ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾[٥]، فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عزوجل: ﴿**وأما بنعمة ربك**

(١) الكافي: ج٢ ص١٣٤ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥٣١ ب١٥ ح٢٧٧٧٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٠ ص٣٣٦ ب٩٨ ح١٧.

(٤) سورة الرحمن: ١٠-١١.

(٥) سورة الرحمن: ١٩-٢٢.

فحدث﴾[١]» .

فقال عاصم : يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟

فقال : «ويحك إن الله عزوجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره» . فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء[٢] .

الحكم والتأسي بالمعصومين عليهم السلام

مسألة: يجب على الحكومة الإسلامية والحاكم الإسلامي أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النزاهة والأمانة أيام إدارة الحكم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أو أجرّ في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً وكرر عليَّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدةً ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من

---

(١) سورة الضحى: ١١.

(٢) الكافي: ج١ ص٤١٠-٤١١ باب سيرة الإمام عليه السلام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر ح٣.

ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى، وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كأنما عجنت بريق حية أو قيئها فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت، فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»[(١)].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «في قوله تعالى: ﴿**فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة**﴾[(٢)] يا معاشر شيعتنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطبا وإن لم تكونوا بالله كافرين فتوقوها بتوقي ظلم إخوانكم المؤمنين، وإنه ليس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له في موالاتنا إلا ثقل الله في تلك النار سلاسله وأغلاله ولن يقله يكفه منها إلا بشفاعتنا ولن نشفع إلى الله تعالى إلا بعد أن نشفع له في أخيه المؤمن فإن عفا شفعنا وإلا طال في النار مكثه»[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أرضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنة بغير حساب، ويكون في الجنة مدائن من نور، وعلى المدائن أبواب من ذهب مكلل بالدر والياقوت، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران، من نظر إلى تلك المدائن يتمنى أن يكون له مدينة منها، قالوا: يا نبي الله لمن هذه المدائن؟ قال:

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٢٢٤ من كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم.

(٢) سورة البقرة: ٢٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٠١ ب٧٧ ح١٣٦٣٠.

للتائبين النادمين المرضين الخصماء من أنفسهم، فإن العبد إذا رد درهما إلى الخصماء أكرمه الله كرامة سبعين شهيدا، فإن درهما يرد العبد إلى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل، ومن رد درهما ناداه ملك من تحت العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك»[١].

لا للحرب

مسألة: الحرب في الإسلام هي خلاف الأصل، ولذا يقتصر فيها على أقصى موارد الضرورة، وقد راعى الإسلام في الحرب أخلاقيات عالية لم تر البشرية مثلها قط رغم كثرة المنظمات الدولية اليوم التي تدعي بأنها تراقب الحروب، وتندد بالانتهاكات التي تتكرر فيها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا بعث سريةً دعا بأميرها فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه ثم قال: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقطعوا شجرةً إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأةً، وأيما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله عز وجل فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبى فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب أن كل غازية غزت بما يعقب بعضها بعضاً بالمعروف والقسط بين المسلمين وانه لايجار

(١) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٢٩٥-٢٩٦ ب١٠ ح١٤.

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٠ باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٩.

حرمة إلا بإذن أهلها وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وحرمة الجار كحرمة أمه وأبيه لا يسالم مؤمن دون مؤمنين في قتال في سبيل الله إلا على عدل وسواء»[١].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: إن علياً عليه السلام سار في أهل القبلة بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل الشرك، قال: فغضب ثم جلس ثم قال: «سار والله فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح، إن علياً عليه السلام كتب إلى مالك وهو على مقدمته في يوم البصرة بأن لا يطعن في غير مقبل ولا يقتل مدبراً ولا يجيز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن»[٢].

أسرى الحروب

مسألة: ينبغي للقائد المسلم والجيش الإسلامي حسن التعامل مع أسرى الحرب، فإن التعامل مع الأسرى في الإسلام هو أفضل تعامل عرفته البشرية إلى اليوم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله مكة يوم افتتحها فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ما ذا تقولون وما ذا تظنون؟

قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت.

قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام: ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر**

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٤٠-١٤١ ب٦١ ح٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٧٤ ب٢٤ ح٢٠٠١٢.

الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾[1]، ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد»[2].

وعن الشعبي قال: لما أسر علي عليه السلام الأسرى يوم صفين فخلى سبيلهم أتوا معاوية وقد كان عمرو بن العاص يقول لأسرى أسرهم معاوية: اقتلهم فما شعروا إلا بأسراهم قد خلى سبيلهم علي عليه السلام، فقال معاوية: يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر ألا ترى قد خلى سبيل أسرانا، فأمر بتخلية من في يديه من أسرى علي عليه السلام وقد كان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً من أهل الشام خلى سبيله إلا أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً فيقتله به[3].

---

(١) سورة يوسف: ٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٢١ ص١٣٥ ب٢٦ ح٢٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٥٠ ب٢١ ح١٢٤٠٦.

القانون الإسلامي العالمي

مسألة: إن القانون في الإسلام من أحسن ما يكون وأكمله وهو القانون الذي يصلح أن يكون عالمياً، كما شهد به الخبراء وعلماء القانون، مضافاً إلى الواقع الخارجي والتاريخ الماضي والمعاصر، ومن ثم يجب أن يكون تطبيق هذا القانون أيضا من أحسن ما يكون، علماً بأن تشريع القوانين خاص بالشارع المقدس، وليس لغيره سوى التطبيق. قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[١].

وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: «الله أكبر الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وولاية علي ابن أبي طالب من بعدي»[٢].

وعن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم عليه السلام ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله عزوجل لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا، فقال عز وجل: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[٣] وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ:

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٧ ص٢٤٩ ب٥٢ أخبار الغدير وما صدر في ذلك اليوم.

(٣) سورة الأنعام: ٣٨.

﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[(١)] وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتى بيّن لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه»[(٢)].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عما يقضي به القاضي؟ قال: «بالكتاب».

قيل: فما لم يكن في الكتاب؟

قال: «بالسنة».

قيل: فما لم يكن في الكتاب ولا في السنة؟

قال: «ليس شيء من دين الله إلا وهو في الكتاب والسنة، قد أكمل الله الدين، قال الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[(٣)]، ثم قال عليه السلام: «يوفق الله ويسدد لذلك من شاء من خلقه وليس كما تظنون»[(٤)].

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) الكافي: ج١ ص١٩٨-١٩٩ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح١.

(٣) سورة المائدة: ٣.

(٤) دعائم الإسلام: ج٢ ص٥٣٥ كتاب آداب القضاة ح١٩٠٠.

الحدود الجغرافية تناقض العولمة

مسألة: الحدود الجغرافية المصطنعة بين بلاد الإسلام من المحرمات الشرعية، بل إن الحدود الجغرافية هي تناقض صريح للعولمة المبتنية على جعل العالم بيتاً واحداً وأسرة واحدة، وإنما تكون هذه الحدود المصطنعة محرمة لأنها توجب تبديد شمل المسلمين وتفريق جمعهم وهي مضادة لوحدتهم التي صرح بها القرآن الحكيم في أكثر من آية وصرحت بها الأحاديث الشريفة العديدة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾[٢].

ومن هنا جاء التعبير في الروايات عن البلاد الإسلامية بدار الإسلام في قبال دار الشرك او دار الكفر أو دار الحرب، مما يدل على أنه لا حدود جغرافية بين البلاد الإسلامية.

كقوله ﷺ في حديث: «فمن كان منهم في دار الإسلام»[٣].

وفي حديث: «أن رسُول الله ﷺ نهى عن قتال النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلوا فإن قاتلت أيضا فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خللا فلما نهى عن قتلهن في دار الحرب كان في دار الإسلام أولى»[٤].

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٢.

(٣) الخصال: ج١ ص٢٧٤ باب الخمسة ح١٨.

(٤) الكافي: ج٥ ص٢٩ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ في السرايا ح٦.

وفي حديث آخر: «إنما أخرجُوهُم من الشرك إلى دار الإسلام»[١].

وقال عليه السلام: «وليس لهُ أن يُخرجها من دار الإسلام إلى غيرها»[٢].

وقال عليه السلام: «إن أراد أن يخرج بها إلى بلاد المسلمين ودار الإسلام فله ما اشترط عليها»[٣].

وقال عليه السلام: «أيهما أعظم حرمة دار الإسلام أو دار الشرك»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «في رجل كان له عبد فأدخل دار الشرك ثم أخذ سبيا إلى دار الإسلام»[٥].

وعنه عليه السلام قال: «الناس كلهم في دار الإسلام المخالفون وغيرهم أهل هدنة ترد ضالتهم وتؤدى أمانتهم ويوفى بعهدهم، إن الأمانة تؤدى إلى البر والفاجر، والعهد يوفى به للبر والفاجر وأد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك ولا تأخذن ممن جحدك مالا لك عليه شيئا بوجه خيانة»[٦].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إذا خرج الحربي إلى دار الإسلام فأسلم ثم لحقته امرأتُه فهما على النكاح»[٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «أنه كان يورث الحميل، والحميل ما ولد في بلد الشرك فعرف بعضُهُم بعضا في دار الإسلام وتقاروا بالأنساب»[٨].

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٦٢ ب٧٥ ح٦.

(٢) الاستبصار: ج٣ ص١٨٣ ب١١٨ ح٦.

(٣) غوالي اللآلي: ج٣ ص٣٦٧ باب النكاح ح٣٤١.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٦٩ باب حد السرقة ح٥١٢٥.

(٥) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٦٠ ب٧٤ ح٤.

(٦) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٩-١٠ ب٢ ح١٥٩٥٣.

(٧) دعائم الإسلام: ج٢ ص٢٥١ كتاب النكاح ف١٣ ح٩٤٧.

(٨) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢١٦ ب٦ ح٢١١٨٥.

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إذا سبي الرجل وامرأته من المشركين فهما على النكاح ما لم يكن أحدهما سبي و أحرز في دار الإسلام دون الآخر فإذا كان ذلك فلا عصمة بينهما»[١].

وعن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إن رجلا من مواليك بلغه أن رجلا يعطي السيف والفرس في سبيل الله فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردهما، فقال: «فليفعل» قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد شخص الرجل، قال: «فليرابط ولا يقاتل» قال: ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما أشبه هذه الثغور، فقال: «نعم» فقال له: يجاهد؟ قال: «لا إلا أن يخاف على ذراري المسلمين» فقال: أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم، قال: «يرابط ولا يقاتل وإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه وليس للسلطان» قال: قلت: فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: «يقاتل عن بيضة الإسلام لا عن هؤلاء لأن في دروس الإسلام دروس دين محمد صلى الله عليه وآله»[٢].

وعن أبي بصير قال: سألته عن الإنفاء من الأرض كيف هو؟ قال: «ينفى من بلاد الإسلام كلها»[٣].

قال صاحب أوائل المقالات: أقول إن الحكم في الدار على الأغلب فيها وكل موضع غلب فيه الكفر فهو دار كفر وكل موضع غلب فيه الإيمان فهو دار إيمان وكل موضع غلب فيه الإسلام دون الإيمان فهو دار إسلام[٤].

---

(١) دعائم الإسلام: ج٢ ص٢٥٢ كتاب النكاح ف١٣ ح٩٥٣.

(٢) الكافي: ج٥ ص٢١ باب الغزو مع الناس إذا خيف على الإسلام ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٣١٨ ب٤ ح٣٤٨٥٣.

(٤) أوائل المقالات: ص٩٤ ب٨١ القول في حكم الدار.

مسائل حول
العولمة الاقتصادية

الاقتصاد في العولمة الإسلامية

مسألة: ينبغي العلم بأن السياسة الاقتصادية، وكذلك الاقتصاد الذي تنتهجه العولمة الإسلامية وتخطط له بدقة، مبتنية على جعل الإنسان هو المحور، وعلى احترام حقوقه، ورعاية الأخلاق والآداب الإنسانية بالنسبة إليه، كيف لا وقد سخر الله كل ما في الأرض للإنسان وكرامته، لا لمسخ الإنسان وإذلاله، ولأن يكون الاقتصاد في خدمة الإنسان، لا أن يكون الإنسان في خدمة الاقتصاد.

وهنا لا بأس بذكر بعض المسائل الشرعية المنقسمة إلى الأحكام الخمسة: من وجوب وحرمة واستحباب وكراهة وإباحة، والتي تنبئ عن اعتماد النظام الاقتصادي الإسلامي وسياسة العولمة الاقتصادية في الإسلام، على انفتاح السوق، وحرية التبادل التجاري، ومنع المضايقات ورفع القيود عن الصادرات والواردات، وتحريم كل ما يصدّ عن التحرك التجاري، أو يضر بحقوق الإنسان وكرامته، أو يفسد عليه دنياه وآخرته، كتحريم الربا ورفع الجمارك والمكوس وإلغاء الضرائب غير الشرعية والرسوم الوضعية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(1).

وقال سبحانه: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(2).

لا للفقر والحرمان

مسألة: يجب على الحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية العمل على نفي الفقر والحرمان، ومكافحة الجهل والمرض، وذلك بتطبيق النظام الاقتصادي الذي جاء به الإسلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «القبر خير من الفقر»(3).

وقال عليه السلام: «الحرمان خذلان»(4).

وقال عليه السلام: «إن الفقر مذلة للنفس، مدهشة للعقل، جالب للهموم»(5).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أقبح الفقر بعد الغنى،

---

(1) سورة الإسراء: 70.

(2) سورة إبراهيم: 32-34.

(3) غرر الحكم ودرر الكلم: ص365 ق5 ب3 ف1 ح8217.

(4) غرر الحكم ودرر الكلم: ص365 ق5 ب3 ف1 ح8218.

(5) غرر الحكم ودرر الكلم: ص365 ق5 ب3 ف1 ح8223.

وأقبح الخطيئة بعد المسكنة»[١].

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر»[٢].

وقد ورد في الدعاء: «وأعوذ بك من الفقر»[٣].

وفي دعاء آخر: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة»[٤].

الحرية الاقتصادية

مسألة: يجب على الحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية، منح الحرية الاقتصادية التي قررها الإسلام لكل الناس، وذلك بأن تسمح لهم، بل وتساعدهم في إنتاج وتصنيع كل ما يحتاجونه أو يريدونه من مواد غذائية وإنشائية وخدماتية، سواء في مجال الزراعة، أو الصناعة، أو الفنون والتقنيات اللازمة، فتفتح عليهم أبواب العلوم، والحِرف، والمهن، والكسب، والاكتساب، والتصدير والاستيراد، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «الأرض لله ولمن عمرها»[٦].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٨٤ باب العبادة ح٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٦٥-٣٦٦ ب٥٥ ح٢٠٧٥٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٨٧ ب١٤ ح١١١٤٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٥ ص١٠٢ ب٩ ح١.

(٥) سورة البقرة: ٢٩.

(٦) الكافي: ج٥ ص٢٧٩ باب في إحياء أرض الموات ح٢.

وقال عليه السلام: «كل شيء يكون فيه حلال وحرام فهو لك حلال أبداً حتى تعرف الحرام بعينه فتدعه»[١].

تقرير الملكية الشخصية

مسألة: يقر الإسلام الملكية الشخصية بشكل نزيه، ويحترم أموال الناس كما يحترم أعراضهم ودماءهم، ولا يسمح لأحد ولا لجهة بالتصرف فيها إلا عن تراض حاصل بين الطرفين، أو عن طيب نفس من المالك، وذلك لما في تقرير هذه الملكية من منافع يتوقف عليها تقدم المجتمع ورقيّه، إضافة إلى ما فيه من احترام للإنسان واحترام لما يرتبط به.

وقال صلى الله عليه وآله: «إن الناس مسلطون على أموالهم»[٢].

وعنهم عليهم السلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفس منه»[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «المسلم أخو المسلم لا يحل ماله إلا عن طيب نفس منه»[٤].

وقال عليه السلام: «مال المسلم ودمه حرام»[٥].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»[٦].

---

(١) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٦٥ ق٢ باب الأطعمة والأشربة ح١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٧٢ ب٩٠ ضمن ح١٩٨٤٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٨٨ ب١ ح٢٠٨٢٠.

(٥) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٧٣ ق٢ باب الغصب ح٢.

(٦) فقه القرآن: ج٢ ص٧٤ باب الغصب.

وروى ابن مسعود عنه ﷺ أنه قال: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادا ولا لاعبا، من أخذ عصا أخيه فليردها»[(٢)].

وروى يعلى بن مرة الثقفي أن النبي ﷺ قال: «من أخذ أرضا بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر»[(٣)].

وروي عنه ﷺ أنه قال: «من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين»[(٤)].

وروي عنه ﷺ «ليأتين على الناس زمان لا يبالي الرجل بما يأخذ من مال أخيه بحلال أو حرام»[(٥)].

ديون الشعب يؤدّيها الحكام

مسألة: يلزم على الحاكم الإسلامي والحكومة الإسلامية تسديد ديون المغرمين المثقلين، فانه هو المسؤول عن ديون الشعب إذا لم يقدروا على الأداء، وفي ذلك روايات عديدة، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بأن النبي ﷺ لما أعلن عن حكم الضمان الاجتماعي، وأنه إذا مات أحد وترك مالاً فلورثته، وإذا ترك ديناً فعلى الحاكم تسديده وأدائه، أسلم عند ذاك عامة اليهود، قال عليه السلام: «وما كان سبب إسلام عامة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله ﷺ وإنهم آمنوا

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص١١.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٨٨-٨٩ ب١ ح٢٠٨٢١.

(٣) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٧٤ ق٢ باب الغصب ح٦.

(٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٥٠.

(٥) غوالي اللآلي: ج٣ ص٤٧٤ ق٢ باب الغصب ح٨.

على أنفسهم وعلى عيالاتهم»[١].

قال الراوي: سمعت علي بن موسى عليه السلام يقول: «المغرم إذا تدين أو استدان في حق أجل سنةً فإن اتسع وإلا قضى عنه الإمام من بيت المال»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مؤمن أو مسلم مات وترك ديناً لم يكن في فساد ولا إسراف فعلى الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثم ذلك، إن الله تبارك وتعالى يقول: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾**[٣] الآية، فهو من الغارمين وله سهم عند الإمام فإن حبسه فإثمه عليه»[٤].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من ترك ديناً أو ضَياعاً[٥] فعلي ومن ترك مالا فلورثته»[٦].

(١) الكافي: ج١ ص٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية ح٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٣٩٩ ب٩ ح١٥٧٢٠.

(٣) سورة التوبة: ٦٠.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢٤٩ ب١٣ ح٩.

(٥) الضياع: العيال. مجمع البحرين: ج٤ ص٣٦٧ مادة ضيع.

(٦) الكافي: ج١ ص٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية ح٦.

بيت المال في خدمة الشعب

مسألة: يجب على الحكومة الإسلامية والحاكم الإسلامي أن يكون أميناً على بيت مال المسلمين ويراعي مصلحة المسلمين الاقتصادية بكل جهده ووسعه.

ورد عن أبي عمرو بن العلاء: أن عقيل بن أبي طالب لما قدم على علي (عليه السلام) بالكوفة يسترفده عرض عليه عطاءه، فقال: إنما أريد من بيت المال.

فقال: «تقيم إلى يوم الجمعة» فأقام فلما صلى أمير المؤمنين (عليه السلام) الجمعة قال لعقيل: «ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟».

قال: بئس الرجل ذاك.

قال: «فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك».

فلما خرج من عنده أتى معاوية فأمر له يوم قدومه بمائة ألف درهم وقال له: يا أبا يزيد أنا خير لك أم علي؟

قال عقيل: وجدت علياً أنظر لنفسه منه لي ووجدتك أنظر لي منك لنفسك[1].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكداً وكرر عليَّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي فأحميت له حديدةً ثم أدنيتها من

(١) الغارات: ج٢ ص٣٧٩-٣٨٠ قصة يزيد بن حجية.

جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كأنما عجنت بريق حية أو قيئها فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت.

فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية.

فقلت: هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»[1].

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام لبعض عماله: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت يديك فارفع إليّ حسابك واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس والسلام»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى عبد الله بن عباس: «أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليّ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وأمانة الناس قد خزيت وهذه الأمة قد فنكت[3]

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٢٢٤ من كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٠ من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

(٣) من (فنكت الجارية) إذا صارت ماجنة، ومجون الأمة: أخذها بغير الحزم في أمرها كأنها زلة.

وشغرت[١] قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أديت وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا أبا لغيرك حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك، فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أوما تخاف نقاش الحساب أيها المعدود كان عندنا من أولي الألباب كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتبتاع الإماء وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار، ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما وأزيح الباطل عن مظلمتهما وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً فكأنك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة ولات حين مناص»[٢].

---

(١) شغرت: لم يبق فيها من يحميها.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٤١ من كتاب له ﷺ إلى بعض عماله.

وعن مجمع التيمي: «إن علياً عليه السلام كان ينضح بيت المال ثم يتنفل فيه ويقول: اشهد لي يوم القيامة أني لم أحبس فيك المال على المسلمين»[١].

وعن بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول: «يا أهل الكوفة إن خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن»، وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة من ينبع، وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل من الثريد بالزيت ويجللها بالتمر من العجوة وكان ذلك طعامه، وزعموا أنه كان يقسم ما في بيت المال فلا تأتي الجمعة وفي بيت المال شيء ويأمر ببيت المال في كل عشية خميس فينضح بالماء ثم يصلي فيه ركعتين»[٢] الحديث.

وعن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وسئل عن قسم بيت المال فقال: «أهل الإسلام هم أبناء الإسلام أسوي بينهم في العطاء وفضائلهم بينهم وبين الله أجملهم كبني رجل واحد لا نفضل أحداً منهم لفضله وصلاحه في الميراث على آخر ضعيف منقوص، وقال هذا هو فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في بدو أمره»[٣].

طهارة بيت المال

مسألة: لا تكون موارد بيت المال من الربا، والغش، والغصب، والمصادرة، والإجحاف، والضرائب غير الشرعية، وما أشبه مما حرّمه الإسلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٠٩ ب٤٠ ح٢٠٠٨٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٠٩ ب٤٠ ح٢٠٠٨٦.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٤٦ ب٦٦ ح١.

الخراج، أما بعد: فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها، واعلموا أن ما كلفتم به يسير وأن ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه، فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابةً يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكةً عليه، ولا تدخروا أنفسكم نصيحةً ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونةً ولا دين الله قوةً وأبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

عن سماعة قال:قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني رأيت الله تعالى قد ذكر الربا في غير آية وكرره، فقال: «أوتدري لم ذاك» قلت: لا، قال: «لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من غش المسلمين حشر مع اليهود يوم القيامة لأنهم أغش الناس للمسلمين»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل: ٥١ من كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٤٦ باب الربا ح٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٢٧٣ باب الإحسان وترك الغش في البيع ح٣٩٨٧.

حرمة الخيانة في بيت المال

مسألة: لا يجوز الاختلاس والخيانة في بيت المال، ويلزم حفظها من الزيادة والنقصان، من قبل الحاكم نفسه وغيره، حيث إن على الحكومة والحاكم أن لايأخذ لنفسه ما لايستحقه، ولا يتصرف عدواناً حتى في فلس واحد من بيت مال المسلمين، ولا يهب شيئاً منه بلا استحقاق لأحد من ذويه ومن أشبه.

عن علي بن أبي رافع قال: كنت على بيت مال علي بن أبي طالب عليه السلام وكاتبه وكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة، قال: فأرسلت إليَّ بنت علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت لي: بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام عقد لؤلؤ وهو في يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى.

فأرسلت إليها عاريةً مضمونةً مردودةً يا بنت أمير المؤمنين.

فقالت: نعم عاريةً مضمونةً مردودةً بعد ثلاثة أيام.

فدفعته إليها وإن أمير المؤمنين عليه السلام رآه عليها فعرفه فقال لها: «من أين صار إليك هذا العقد؟»

فقالت: استعرته من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أرده.

قال: فبعث إليّ أمير المؤمنين عليه السلام فجئته، فقال لي: «أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع؟».

فقلت له: معاذ الله أن أخون المسلمين.

فقال: «كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني ورضاهم؟».

فقلت: يا أمير المؤمنين إنها ابنتك وسألتني أن أعيرها إياه تتزين به فأعرتها إيها عاريةً مضمونةً مردودةً، فضمنته في مالي وعليّ أن أرده سليماً إلى موضعه.

قال: «فرده من يومك وإياك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي».

ثم قال: «أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة».

قال: فبلغ مقالته ابنته فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بلبسه مني.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: «يا بنت علي بن أبي طالب لا تذهبن بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا».

قال: فقبضته منها ورددته إلى موضعه[1].

نعم هكذا كان سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلى عكسه تماماً كان بنو أمية وبنو مروان ومن شاكلهم.

وفي التاريخ: أن عثمان نفى أبا ذر أولا إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام، وأصل هذه الواقعة أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبوذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾**[2]، فرفع ذلك إلى عثمان مرارا وهو ساكت ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انته عما بلغني عنك.

(١) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص١٥١-١٥٢ ب١٠ ح٣٧.

(٢) سورة التوبة: ٣٤.

فقال أبوذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى وعيب من ترك أمر الله فو الله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوما والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئا قرضا فإذا أيسر قضى؟.

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبوذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا.

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه إليها.

فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار، فقال أبوذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردها عليه.

ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبوذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وإن كانت من مالك فهي الإسراف.

وكان أبوذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، إني لأرى حقا يطفأ وباطلا يحيا وصادقا مكذبا وأثرة بغير تقى وصالحا مستأثرا عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة»(١).

وروى أبو عثمان الجاحظ عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت غلاماً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان فجئت إليه يوما أسأله عن حال

(١) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤١٥ ب١٢ كيفية إسلام أبي ذر (رض).

عملي إذ سمعت صارخا على باب داره يقول: أتتكم القطار بحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له، فازبأر معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟

فقلت: اللهم لا.

قال: من عذيري من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت.

ثم قال: أدخلوه.

فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكني أستأذن فيك قال جلام: وكنت أحب أن أرى أبا ذر لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره جنأ فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرات أن لا تشبع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه».

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل.

قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله ﷺ وسمعته يقول وقد مررت به: «اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب».

وسمعته يقول: «أست معاوية في النار» فضحك معاوية وأمر بحبسه وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره.

فوجه به من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد، فلما قدم بعث إليه عثمان أن الحق بأي أرض شئت.

قال: بمكة.

قال: لا.

قال: بيت المقدس.

قال: لا.

قال: بأحد المصرين.

قال: لا.

قال: ولكني مسيرك إلى ربذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات»[١].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨ ص٢٥٧-٢٥٨ أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الربذة.

مصارف بيت المال

مسألة: من موارد صرف بيت المال: إسعاف الفقراء، وقضاء الديون، وتزويج العزّاب، ومنح رأس مال للعاملين، وتشغيل العاطلين، وعمران البلاد، والترفيه على العباد، وتثقيف الناس وغير ذلك مما يساعد على تقدم البلاد والعباد.

قال علي بن موسى عليه السلام: «المغرم إذا تدين أو استدان في حق أجل سنةً فإن اتسع وإلا قضى عنه الإمام من بيت المال»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام أتي برجل عبث بذكره فضرب يده حتى احمرت ثم زوجه من بيت المال»[2].

وعن بريد بن معاوية العجلي قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن رجل قتل رجلاً عمداً فلم يقم عليه الحد ولم تصح الشهادة عليه حتى خولط وذهب عقله ثم إن قوماً آخرين شهدوا عليه بعد ما خولط أنه قتله، فقال: «إن شهدوا عليه أنه قتله حين قتله وهو صحيح ليس به علة من فساد عقله قتل به، وإن يشهدوا عليه بذلك وكان له مال يعرف دفع إلى ورثة المقتول الدية من مال القاتل وإن لم يكن له مال أعطي الدية من بيت المال ولا يبطل دم امرئ مسلم»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من مات في زحام الناس يوم الجمعة أو يوم عرفة أو على جسر لا يعلمون من قتله فديته من بيت المال»[4].

---

(١) الكافي: ج١ ص٤٠٧ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية ح٩.

(٢) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٦٣ ب٤ ح١٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٧٢ ب٢٩ ح٣٥١٧٩.

(٤) الكافي: ج٧ ص٣٥٥ باب المقتول لا يُدرى من قتله ح٤.

احترام حقوق الفرد والجماعة

مسألة: يحرّم الإسلام كل أمر يتنافى مع ما شرّعه من قانون السلطنة القائل: «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم»[١] ومن أبرز مصاديق ذلك الجمارك والمكوس فإنها محرمة شرعاً، مضافاً إلى ما تستعقبه من تبعات مالية واقتصادية.

وقال النبي ﷺ: «إن الناس مسلطون على أموالهم»[٢].

وقال ﷺ: «لا ضرر ولا إضرار في الإسلام»[٣].

وقال الصادق عليه السلام: «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نص»[٤].

وقال النبي ﷺ: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة»[٥].

وعن إسحاق بن عمار عن الصادق عليه السلام: «أن علياً عليه السلام كان يقول: أبهموا ما أبهمه الله»[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «على العشار كل يوم وليلة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٧].

---

(١) للتفصيل راجع موسوعة الفقه: كتاب القواعد الفقهية.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٣٤ باب ميراث أهل الملل ح٥٧١٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٢٤ ب١٢ ح٢١٤٧٩.

(٥) غوالي اللآلي: ج١ ص٤٥٦ ب١ المسلك الثالث ح١٩٧، غوالي اللآلي: ج٢ ص٩٨ ب١ المسلك الرابع ح٢٧٠.

(٦) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٧٢ ب٣٣ ح٥.

(٧) ثواب الأعمال: ص٢٨٩ عقاب مجمع عقوبات الأعمال.

وفي الحديث عنه ﷺ: «والحمار يلعن العشار»[١].

نعم يلزم دفع الحقوق الشرعية والتي هي الخمس والزكاة والجزية[٢] والخراج دون غيرها.

روى محمد بن يزيد الطبري قال: كتب رجل من تجار فارس من بعض موالي أبي الحسن الرضا ﷺ يسأله الإذن في الخمس.

فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم إن الله واسع كريم، ضمن على العمل الثواب وعلى الخلاف العقاب، لم يحل مال إلا من وجه أحله الله، إن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا، وما نفك ونشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته، فلا تزووه عنا ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه، فإن إخراجه مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم، وما تمهدون لأنفسكم يوم فاقتكم، والمسلم من يفي لله بما عاهد عليه، وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب والسلام»[٣].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص٢٥٦ ب١٧ ف٨ ح٣٠٠.

(٢) الجزية تؤخذ من غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الدولة الإسلامية وبحمايتها.

(٣) الاستبصار: ج٢ ص٥٩-٦٠ ب٣٢ ح٩.

حرمة الغش والخيانة

مسألة: يحرم الغش والتدليس، والمكر والخيانة مطلقاً، وخاصة في المعاملات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل يبيع التمر: يا فلان أ ما علمت أنه ليس من المسلمين من غشهم»[١].

وعن موسى بن بكر قال: كنا عند أبي الحسن عليه السلام فإذا دنانير مصبوبة بين يديه فنظر إلى دينار فأخذه بيده ثم قطعه بنصفين ثم قال لي: «ألقه في البالوعة حتى لا يباع شيء فيه غش»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاءت زينب العطارة الحولاء إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله فجاء النبي صلى الله عليه وآله فإذا هي عندهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: إذا بعت فأحسني ولا تغشي فإنه أتقى لله وأبقى للمال»[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس»[٤].

وعن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فإني سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: إن

---

(١) تهذيب الاحكام: ج٧ ص١٢ ب١ ح٤٩.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٦٠ باب الغش ح٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٢ ص١٣٤ ب٣٧ ح١١٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٤٢ ب١٣٧ ح١٦٢٠١.

المكر والخديعة في النار، ثم قال: ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً»[١].

الحلف في المعاملات

مسألة: يكره الحلف في المعاملة، أما الكذب منها فلا يجوز.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشترين ولا يبيعن: الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى»[٢].

وعن أبي حمزة رفعه قال: قام أمير المؤمنين عليه السلام على دار ابن أبي معيط وكان تقام فيها الإبل فقال: «يا معاشر السماسرة أقلوا الأيمان فإنها منفقة للسلعة ممحقة للربح»[٣].

وعن أبي إسماعيل رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: «إياكم والحلف فإنه ينفق السلعة ويمحق البركة»[٤].

وكان أبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أربع من كن فيه فقد طاب مكسبه، إذا اشترى لم يعب، وإذا باع لم يحمد، ولا يدلس، وفيما بين ذلك لا يحلف»[٥].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٥٠ ب٣١ ح١٩٤.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٥٠-١٥١ باب آداب التجارة ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤١٩ ب٢٥ ح٢٢٨٨٨.

(٤) الكافي: ج٥ ص١٦٢ باب الحلف في الشراء والبيع ح٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨٤ ب٢ ح٢٢٨٠٠.

حرمة الاحتكار

مسألة: لا يجوز الاحتكار في موارده المحرمة، ويكره في غير ذلك.

وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ أمر المحتكرين أن يخرجوا حكرتهم إلى بطون الأسواق بحيث ينظر الأبصار إليها، فقيل له: لو قومت عليهم، فغضب ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه وقال: «أنا أقوم عليهم إنما السعر إلى الله يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء»[1].

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه للأشتر النخعي: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترءون عليها فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه في غير إسراف»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يحتكر الطعام إلا خاطئ»[3].

---

(١) غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٠٨ باب التجارة ح٦٠.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه مصر وأعمالها.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٥٩ ب١٣ ح٦.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحكرة في الخصب أربعون يوماً وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام، فما زاد على الأربعين في زمان الخصب فصاحبه ملعون، وما زاد على ثلاثة أيام في العسرة فصاحبه ملعون»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نفد الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله قد نفد الطعام ولم يبق منه شيء إلا عند فلان فمره ببيعه، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا فلان إن المسلمين ذكروا أن الطعام قد نفد إلا شيء عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تحبسه»[٣].

وعن معتب قال: كان أبو الحسن عليه السلام يأمرنا إذا أدركت الثمرة أن نخرجها فنبيعها ونشتري مع المسلمين يوماً بيوم[٤].

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الحكرة أن يشتري طعاماً ليس في المصر غيره فيحتكره فإن كان في المصر طعام أو بيّاع غيره فلا بأس بأن يلتمس بسلعته الفضل»، قال: وسألته عن الزيت؟ فقال: «إن كان عند غيرك فلا بأس بإمساكه»[٥].

(١) الاستبصار: ج٣ ص١١٤ ب٧٧ ح٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٦٥ باب الحكرة ح٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٢٩ ب٢٩ ح٢٢٩١٦.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٨ ص١١٧ ب٥ ح٣٣.

(٥) الاستبصار: ج٣ ص١١٥ ب٧٧ ح٧.

المعاملات الربوية

مسألة: يحرم الربا وتحرم المعاملات الربوية.

كتب علي بن موسى الرضاﷺ إلى محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله:

«علة تحريم الربا انما نهى الله عزوجل عنه لما فيه من فساد الأموال، لأن الإنسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلا فبيع الربا وشراؤه وكس على كل حال على المشتري وعلى البائع، فحظر الله تبارك وتعالى على العباد الربا لعلة فساد الأموال، كما حظر على السفيه أن يدفع إليه ماله لما يتخوف عليه من إفساده حتى يؤنس منه رشداً، فلهذه العلة حرم الله الربا وبيع الربا بيع الدرهم بدرهمين، وعلة تحريم الربا بعد البينة لما فيه من الاستخفاف بالحرام المحرم وهي كبيرة بعد البيان وتحريم الله تعالى لها لم يكن ذلك منه إلا استخفافاً بالمحرم للحرام والاستخفاف بذلك دخول في الكفر، وعلة تحريم الربا بالنسيئة لعلة ذهاب المعروف وتلف الأموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض وصنائع المعروف ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال»[1].

وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله ﷺ عن علة تحريم الربا؟ فقال: «إنه لو كان الربا حلالا لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرم الله الربا ليفر الناس من الحرام إلى الحلال وإلى التجارات وإلى البيع والشراء فيبقى ذلك بينهم في القرض»[2].

---

(١) علل الشرائع: ج٢ ص٢٨٣ ب٢٣٦ ح٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٦٧ باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عزوجل عليها النار ح٤٩٣٧.

وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إني سمعت الله يقول: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ [١] وقد أرى من يأكل الربا يربو ماله؟ فقال: «أي محق أمحق من درهم ربا يمحق الدين وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر» [٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «درهم واحد ربا أعظم من عشرين زنيةً كلها بذات محرم» [٣].

تعاطي الربا

مسألة: يحرم إعطاء الربا كما يحرم أخذه.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده فيه سواء» [٤].

وعن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الربا وآكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه» [٥].

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في مناهي النبي صلى الله عليه وآله: «أنه نهى عن أكل الربا وشهادة الزور وكتابة الربا وقال إن الله عزوجل لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه» [٦].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٥ ب١ ح٦٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١١٩ ب١ ح٢٣٢٧٥.

(٤) الكافي: ج٥ ص١٤٤ باب الربا ح٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٥ ب٤ ح٦٤.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٨ باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله ح٤٩٦٨.

وفي تفسير القمي: أنه لما أنزل الله ﴿**الذين يأكلون الربا**﴾[١] الآية فقام خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ربا أبي في ثقيف وقد أوصاني عند موته بأخذه، فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ۞ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله**﴾[٢] قال: «من أخذ الربا وجب عليه القتل وكل من أربى وجب عليه القتل»[٣].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما خلق الله حلالا ولا حراما إلا وله حدود كحدود الدار فما كان من حدود الدار فهو من الدار، حتى أرش الخدش فما سواه، والجلدة ونصف الجلدة، وإن رجلا أربى دهرا من الدهر فخرج قاصدا أبا جعفر عليه السلام فسأله عن ذلك فقال له مخرجك من كتاب الله يقول الله: ﴿**فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف**﴾[٤] والموعظة هي التوبة فجهله بتحريمه ثم معرفته به فما مضى فحلال وما بقي فليحفظ»[٥].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) تفسير القمي: ج١ ص٩٣ أحكام الربا.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٥) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص١١٧ ب٥ ح١٤.

استحباب الإقراض

مسألة: يستحب إعطاء القرض لمن يطلب القرض وثوابه يفوق ثواب الصدقة، فان الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر.

عن النبي ﷺ: «من أقرض مؤمناً قرضاً ينظر به ميسوره كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة مع الملائكة حتى يؤديه»[١] «وان رفق به في طلبه تعدى على الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولا عذاب، ومن شكا إليه أخوه المسلم فلم يقرضه، حرم الله عزوجل عليه الجنة يوم يجزي المحسنين»[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله»[٣].

وقال عليه السلام: «مكتوب على باب الجنة الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر»[٤].

وفي رواية أخرى: «بخمسة عشر»[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قرض المؤمن غنيمة وتعجيل خير، إن أيسر أداه وإن مات احتسب من الزكاة»[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٣٠ ب٦ ح٢٣٧٨٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٣١ ب٦ ح٢٣٧٨٧.

(٣) الكافي: ج٤ ص٣٤ باب القرض ح٢.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٨ باب ثواب القرض ح١٦٩٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣١٨ ب١١ ح٢١٦٥٢.

(٦) الكافي: ج٤ ص٣٤ باب القرض ح٥.

وعن عقبة بن خالد قال: دخلت أنا والمعلى وعثمان بن عمران على أبي عبد الله عليه السلام فلما رآنا قال: «مرحباً مرحباً بكم وجوه تحبنا ونحبها جعلكم الله معنا في الدنيا والآخرة».

فقال له عثمان: جعلت فداك.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «نعم مه».

قال: إني رجل موسر.

فقال له: «بارك الله لك في يسارك».

قال: ويجيء الرجل فيسألني الشيء وليس هو إبان زكاتي.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «القرض عندنا بثمانية عشر والصدقة بعشرة وما ذا عليك إذا كنت كما تقول موسراً أعطيته فإذا كان إبان زكاتك احتسبت بها من الزكاة، يا عثمان لا ترده فإن رده عند الله عظيم، يا عثمان إنك لو علمت ما منزلة المؤمن من ربه ما توانيت في حاجته، ومن أدخل على مؤمن سروراً فقد أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقضاء حاجة المؤمن يدفع الجنون والجذام والبرص»[1].

الشرط في القرض

مسألة: يحرم القرض الربوي وكذا كل شرط يجرّ نفعاً إلى المقرض، سواء كان الشرط يرتبط بالمال والمتاع، أو بالعمل والخدمات، نعم إذا أحب أن يعطيه الزائد من دون شرط فلا بأس. ومن أخذ قرضاً ربوياً لم يملكه ولم يجز له التصرف فيه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الربا رباءان، أحدهما ربا حلال والآخر حرام،

(١) الكافي: ج٤ ص٣٤ باب القرض ح٤.

فأما الحلال فهو أن يقرض الرجل قرضاً طمعاً أن يزيده ويعوضه بأكثر مما أخذه بلا شرط بينهما، فإن أعطاه أكثر مما أخذه بلا شرط بينهما فهو مباح له وليس له عند الله ثواب فيما أقرضه، وهو قوله عزوجل: ﴿**فلا يربوا عند الله**﴾[١]، وأما الربا الحرام فهو الرجل يقرض قرضاً ويشترط أن يرد أكثر مما أخذه فهذا هو الحرام»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا بأس أن يقرض الرجل الدراهم ويأخذ أجود منهما إذا لم يكن بينهما شرط»[٣].

وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف**﴾[٤]، قال: «يعني بالمعروف القرض وإنما حرم الربا ليتقارض الناس»[٥].

الاشتغال في المعاملات الربوية

مسألة: يحرم الاشتغال بالمعاملات الربوية، ويحرم الأجرة عليها.

عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أخبث المكاسب كسب الربا»[٦].

وروي عن عمر بن يزيد بياع السابري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

---

(١) سورة الروم: ٣٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٦٠-١٦١ ب١٨ ح٢٣٣٨٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٣٤٠-٣٤١ ب١١ ح١٥٥٤٣.

(٤) سورة النساء: ١١٤.

(٥) فقه القرآن: ج١ ص٣٨٤ باب القرض.

(٦) الكافي: ج٥ ص١٤٧ باب الربا ح١٢.

جعلت فداك إن الناس يزعمون أن الربح على المضطر حرام وهو من الربا، فقال: «وهل رأيت أحداً اشترى غنياً أو فقيراً إلا من ضرورة، يا عمر قد أحل الله البيع وحرم الربا فاربح ولا تربه» قلت: وما الربا؟ قال: «دراهم بدراهم مثلان بمثل»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء رأيت قوما يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء ﴿**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**﴾[٢] وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار ﴿**غدوا وعشيا**﴾[٣] يقولون ربنا متى تقوم الساعة»[٤].

إذا تأخر الدين

مسألة: يحرم أخذ الزيادة مقابل التأخير الحاصل في تسديد الديون وأداء القروض، فإنها من الربا.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «الكبائر سبعة، منها قتل النفس متعمداً، والشرك بالله العظيم، وقذف المحصنة، وأكل الربا بعد البينة»[٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الربا وآكله ومؤكله وبائعه

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٢٧٨ باب الربا ح٤٠٠٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٣) سورة غافر: ٤٦.

(٤) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص١١٦ ب٥ ح١١.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٢٤-٣٢٥ ب٤٦ ح٢٠٦٤٣.

ومشتريه وكاتبه وشاهديه»[١].

وفي الحديث: «إن علياً عليه السلام أتي بآكل الربا فاستتابه فتاب ثم خلى سبيله، ثم قال: يستتاب آكل الربا من الربا كما يستتاب من الشرك»[٢].

إنظار المعسر

مسألة: يجب إمهال المقترض إذا لم يكن عنده ما يدفع به قرضه على تفصيل مذكور في الفقه، ولم يجز أن يشدد عليه ناهيك عن توقيفه أو سجنه أو نحو ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله، قالها ثلاثاً فهابه الناس أن يسألوه، فقال: فلينظر معسراً أو ليدع له من حقه»[٣].

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم حار وحنا كفه: من أحب أن يستظل من فور جهنم، قالها ثلاث مرات فقال الناس في كل مرة: نحن يا رسول الله، فقال: من أنظر غريماً أو ترك المعسر»، ثم قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «قال عبد الله بن كعب بن مالك: إن أبي أخبرني أنه لزم غريماً له في المسجد فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل بيته ونحن جالسان ثم خرج في الهاجرة فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله ستره فقال: يا كعب ما زلتما جالسين، قال: نعم بأبي وأمي، قال: فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله بكفه خذ النصف، قال: فقلت بأبي وأمي، ثم قال: أتبعه ببقية حقك، قال فأخذت النصف ووضعت له النصف»[٤].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٢٧٤ باب الربا ح٣٩٩٤.

(٢) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص١٥١ ب١٠ ح٣٦.

(٣) الكافي: ج٤ ص٣٥ باب انظار المعسر ح١.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣١٩-٣٢٠ ب١٢ ح٢١٦٥٥.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أنبيائه (صلى الله عليهم) ثم قال: أيها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب، من أنظر معسراً كان له على الله عزوجل في كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه، وقال أبو عبد الله عليه السلام: **﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**[1] أنه معسر فتصدقوا عليه بمالكم فهو خير لكم»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خلوا سبيل المعسر كما خلاه الله عزوجل»[3].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من أقرض قرضاً إلى ميسرة كان ماله في زكاة وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يقبضه»[4].

عن أبي عبد الله عليه السلام في وصية طويلة كتبها إلى أصحابه قال: «وإياكم وإعسار أحد من إخوانكم المسلمين أن تعسروه بشيء يكون لكم قبله وهو معسر، فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول ليس لمسلم أن يعسر مسلماً ومن أنظر معسراً أظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله»[5].

وعن عبد الله بن سنان قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ألف درهم أقرضها مرتين أحب إليّ من أن أتصدق بها مرةً وكما لا يحل لغريمك أن يمطلك وهو موسر فكذلك لا يحل لك أن تعسره إذا علمت أنه معسر»[6].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٨-٥٩ باب ثواب انظار المعسر ح١٧٠١.

(٣) الكافي: ج٤ ص٣٥ باب انظار المعسر ح٣.

(٤) فقه القرآن: ج١ ص٣٨٤ باب القرض.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢١٨ ب٢٣ ح٢٣.

(٦) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٩٢-١٩٣ ب٨١ ح٤٣.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «يبعث يوم القيامة قوم تحت ظل العرش وجوههم من نور ورياشهم من نور جلوس على كراسي من نور فتشرف لهم الخلائق فيقولون: هؤلاء الأنبياء فينادي منادٍ من تحت العرش أن ليس هؤلاء بأنبياء، قال: فيقولون: هؤلاء شهداء، فينادي منادٍ من تحت العرش ليس هؤلاء بشهداء ولكن هؤلاء قوم كانوا ييسرون على المؤمنين وينظرون المعسر حتى ييسر»[1].

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل لي عليه مال فغاب عني زماناً فرأيته يطوف حول الكعبة فأتقاضاه؟ قال: قال: «لا تسلم عليه ولا تروعه حتى يخرج من الحرم»[2].

وعن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ذكر لنا أن رجلا من الأنصار مات وعليه ديناران ديناً فلم يصل عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال: «صلوا على أخيكم» حتى ضمنهما عنه بعض قراباته، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ذاك الحق» ثم قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما فعل ذلك ليتعظوا وليرد بعضهم على بعض ولئلا يستخفوا بالدين وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه دين، وقتل أمير المؤمنين عليه السلام وعليه دين، ومات الحسن عليه السلام وعليه دين، وقتل الحسين عليه السلام وعليه دين»[3].

وفي فقه الرضا عليه السلام: «اعلم أنه من استدان دينا ونوى قضاءه فهو في أمان الله حتى يقضيه، فإن لم ينو قضاءه فهو سارق، فاتق الله وأد إلى من له عليك، وارفق بمن لك عليه حتى تأخذه منه في عفاف وكفاف، فإن كان غريمك معسرا وكان أنفق ما أخذ منك في طاعة الله فأنظره إلى ميسرة وهو أن يبلغ خبره إلى

(١) ثواب الأعمال: ص١٤٥ ثواب انظار المعسر.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٦٨ ب٢٦ ح٢٣٨٦٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٨٢ باب الدين والقرض ح٣٦٨٣.

الإمام فيقضي عنه، أو يجد الرجل طولا فيقضي دينه، وإن كان ما أنفق ما أخذه منك في معصية الله فطالبه بحقك فليس هو من أهل هذه الآية»[١].

مستثنيات الدين

مسألة: لا يجبر المديون على بيع مستثنيات الدين وهو مسكنه وأثاث منزله وغير ذلك مما يحتاج إليه، ولا يجب عليه البيع، وأما إذا رضي هو بذلك فباعها وقضى بها دينه فلا بأس.

قال المحقق الأردبيلي: «مستثنيات الدين مثل دست الثوب وبيت السكنى وقوت يوم وليلة»[٢].

«والدست من الثياب: ما يلبسه الإنسان ويكفيه لتردده في حوائجه، وقيل: كلما يلبس من العمامة الى النعل، والجمع دسوت مثل فلس وفلوس»[٣].

وقال المحقق النراقي في المستند: «مستثنيات الدين كفرس ركوبه وثياب بدنه ونحوهما»[٤].

وعن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «لا تباع الدار ولا الجارية في الدين، وذلك لأنه لابد للرجل المسلم من ظل يسكنه وخادم يخدمه»[٥].

وعن عثمان بن زياد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لي على رجل ديناً وقد أراد أن يبيع داره فيقضيني؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أعيذك بالله أن

---

(١) فقه الرضا عليه السلام: ص٢٦٨ ب٤٢.

(٢) مجمع الفائدة: ج٨ ص١٧٠.

(٣) مجمع البحرين: ج٢ ص٢٠٠ مادة دست.

(٤) مستند الشيعة: ج١٧ ص٤٦٢.

(٥) علل الشرائع: ج٢ ص٥٢٩ ب٣١٣ ح١.

تخرجه من ظل رأسه»[١].

وعن بريد العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عليّ ديناً لأيتام وأخاف إن بعت ضيعتي بقيت و ما لي شيء، قال: «لا تبع ضيعتك و لكن أعط بعضاً و أمسك بعضاً»[٢].

وجاء في تفسير القمي: دخل رجل على أبي عبد الله فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما لفلان يشكوك؟» قال: طالبته بحقي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «وترى أنك إذا استقصيت عليه لم تسئ به أترى الذي حكى الله عزوجل في قوله ﴿**ويخافون سوء الحساب**﴾[٣] أي يجور الله عليهم والله ما خافوا ذلك ولكنهم خافوا الاستقصاء فسماه الله سوء الحساب»[٤].

أداء الدين

مسألة: يجب على المقترض الأداء كلما طالبه المقرض وهو قادر على القضاء إذا لم يعين للقرض أجل، كما يجب الأداء إذا حل وقت الأداء وهو يتمكن منه، ولو تأخر عصى.

روي: «لا يحل للغريم المطل وهو موسر»[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أول قطرة من دم الشهيد كفارة لذنوبه إلا الدين فإن كفارته قضاؤه»[٦].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٩٧ باب قضاء الدين ح٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٨٤-١٨٥ باب الدين والقرض ح٣٦٩٣.

(٣) سورة الرعد: ٢١.

(٤) تفسير القمي: ج١ ص٣٦٤ سورة الرعد.

(٥) فقه الرضا عليه السلام: ص٢٥٧ ب٣٨.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٢٦-٣٢٧ ب٤ ح٢٣٧٧٥.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والدين فإنه مذلة بالنهار ومهمة بالليل وقضاء في الدنيا وقضاء في الآخرة»[١].

وعن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: ليس من غريم ينطلق من عند غريمه راضياً إلا صلت عليه دواب الأرض ونون البحر، وليس من غريم ينطلق صاحبه غضبان وهو ملي إلا كتب الله عز وجل بكل يوم يحبسه وليلة ظلماً»[٢].

الكسب لأداء الدين

مسألة: يجب الاكتساب على المقترض إذا لم يمكنه تسديد دينه إلا به، وكان قادراً على الاكتساب.

عن أبي ثمامه قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: إني أريد أن ألزم مكة والمدينة وعليّ دين فما تقول، فقال: «ارجع إلى مؤدى دينك وانظر أن تلقى الله عز وجل وليس عليك دين إن المؤمن لا يخون»[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله عزوجل إلا الدين لا كفارة له إلا أداؤه أو يقضي صاحبه أو يعفو الذي له الحق»[٤].

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٣ ب٨١ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٣٥٠ ب١٧ ح٢٣٨٢٥.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٤-١٨٥ ب٨١ ح٧.

(٤) الخصال: ج١ ص١٢ باب الواحد ح٤٢.

الكسب لنفقة العيال

مسألة: يجب الاكتساب على من لم يكن له مال، ووجبت عليه نفقة العيال من زوجة وأولاد وأبوين وغيرهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا كان الرجل معسراً يعمل بقدر ما يقوت به نفسه وأهله ولا يطلب حراماً فهو كالمجاهد في سبيل الله»[١].

وقال عليه السلام: «ملعون ملعون من ضيع من يعول»[٢].

وقال عليه السلام «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»[٣].

وقال أبو الحسن عليه السلام: «من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله فإن غلب عليه فليستدن على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله ما يقوت به عياله»[٤] الحديث.

وقال صلى الله عليه وآله: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[٥].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «الكاد على عياله من حلال كالمجاهد في سبيل الله»[٦].

وقال عليه السلام: «الذي يطلب من فضل الله عزوجل ما يكف به عياله أعظم

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٦٧ ب٢٣ ح٢٢٠٠٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٥٥ باب النوادر ح٤٩٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص١٣ ب١ ح٦١.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٤ ب٨١ ح٦.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٥٥ ب٢٠ ح١٤٧٢٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٦٨ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٦٣١.

أجرا من المجاهد في سبيل الله عزوجل»[١].

وعن هشام بن المثنى قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿**وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾[٢]، فقال: «كان فلان بن فلان الأنصاري سماه وكان له حرث فكان إذا أخذ يتصدق به فيبقى هو وعياله بغير شيء فجعل الله عز وجل ذلك سرفاً»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل معروف صدقة وأفضل الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى ولا يلوم الله على الكفاف»[٤].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته، وتلا هذه الآية: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾[٥] قال: الأسير عيال الرجل ينبغي إذا زيد في النعمة أن يزيد أسراءه في السعة عليهم»[٦] الحديث.

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله»[٧].

وعن الرضا عليه السلام قال: «صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله»[٨].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٨٨ باب من كد على عياله ح٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٤١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٩ ص٤٦١ ب٤٢ ح١٢٥٠٠.

(٤) الكافي: ج٤ ص٢٦ باب فضل المعروف ح١.

(٥) سورة الإنسان: ٨.

(٦) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥٤٠ ب٢٠ ح٢٧٨٠٥.

(٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٤٧.

(٨) تحف العقول: ص٤٤٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

وقال أبو الحسن عليه السلام: «إن عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه بنعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل أوشك أن تزول تلك النعمة»[١].

استحباب الكسب والتجارة

مسألة: يستحب الكسب للأمور المستحبة، مثل التوسعة على الأهل والعيال، ومساعدة الفقراء والمساكين، وتأسيس المؤسسات الخيرية والاجتماعية، وإنشاء المدارس والمعاهد الدينية، ونشر الكتب والمقالات التثقيفية.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً**﴾[٢]، قال: «رضوان الله والجنة في الآخرة والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نعم العون الدنيا على الآخرة»[٤].

وقال عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه»[٥].

وروي عن العالم عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»[٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم العون على تقوى الله الغنى»[٧].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤٠٢ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٨٦٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) معاني الأخبار: ص١٧٤-١٧٥ باب معنى حسنة الدنيا وحسنة الآخرة ح١.

(٤) الكافي: ج٥ ص٧٢ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ح٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٥٦٨.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٦ ب٢٨ ح٢٢٠٢٦.

(٧) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٦٧ ف١٠ ح٦٧.

وروى عمر بن أذينة عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق»[١].

وقال عليه السلام: «اشخص يشخص لك الرزق»[٢].

وروى علي بن عبد العزيز عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إني لأحب أن أرى الرجل متحرفاً في طلب الرزق إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر إليها فإني سألت ربي عز وجل أن يبارك لأمتي في بكورها»[٤].

وقال عليه السلام: «إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر إليها وليسرع المشي إليها»[٥].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٥٧١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٧ ب٢٩ ح٢٢٠٣٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٧ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٥٧٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٨ ب٢٩ ح٢٢٠٣٣.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٧ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٥٧٥.

آداب البيع والشراء

مسألة: للبيع والشراء آداب مذكورة في الفقه ينبغي مراعاتها، مضافاً إلى إلزاميات المعاملات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشتر ولا يبع: الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى»(١).

وكان أبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أربع من كن فيه فقد طاب مكسبه، إذا اشترى لم يعب، وإذا باع لم يحمد، ولا يدلس، وفيما بين ذلك لا يحلف»(٢).

وعن عبد الله بن القاسم الجعفري عن بعض أهل بيته قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأذن لحكيم بن حزام في تجارته حتى ضمن له: «إقالة النادم وإنظار المعسر وأخذ الحق وافياً وغير واف»(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاءت زينب العطارة الحولاء إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وكانت تبيع منهن العطر فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عندهن فقال لها: «إذا أتيتنا طابت بيوتنا» فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، قال: «إذا بعت فأحسني ولا تغشي فإنه أتقى لله وأبقى للمال»(٤).

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٦ ب١ ح١٨.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٥٣ باب آداب التجارة ح١٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨٥-٣٨٦ ب٣ ح٢٢٨٠٥.

(٤) التوحيد: ص٢٧٥-٢٧٦ ب٣٨ ح١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «غبن المسترسل سحت»(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «غبن المؤمن حرام»(٢).

تعلم الأحكام

مسألة: يستحب تعلم كل أحكام التجارة والبيع والشراء، ويجب تعلم أحكام موارد الابتلاء والمقدار المحتاج إليه في تجارته ومعاملاته.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد التجارة فليتفقه في دينه، ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط في الشبهات»(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً: «التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق»(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): من اتجر بغير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لا يقعدن في السوق إلا من يعقل الشراء والبيع»(٥).

وعن الأصبغ بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: «يا معشر التجار الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا أيمانكم بالصدق التاجر فاجر والفاجر في النار إلا من أخذ الحق وأعطى الحق»(٦).

---

(١) الكافي: ج٥ ص١٥٣ باب آداب التجارة ح١٤.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٧ ب١ ح٢٢.

(٣) المقنعة: ص٥٩١ كتاب التجارة ب٢.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٢٤٩ ب٢ ح١٥٢٧٠.

(٥) الكافي: ج٥ ص١٥٤ باب آداب التجارة ح٢٣.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨١ ب١ ح٢٢٧٩٤.

السعر الواحد

مسألة: يستحب البيع بسعر واحد، وأن لا يفرق في القيمة بين مشتر وآخر ولا يميّز بينهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: في رجل عنده بيع فسعره سعراً معلوماً فمن سكت عنه ممن يشتري منه باعه بذلك السعر ومن ماكسه فأبى أن يبتاع منه زاده، قال: «لو كان يزيد الرجلين والثلاثة لم يكن بذلك بأس فأما أن يفعله بمن أبى عليه وكايسه ويمنعه من لم يفعل فلا يعجبني إلا أن يبيعه بيعاً واحداً»[١].

سهل البيع والشراء

مسألة: يستحب أن لا يستصعب في قيمة الشيء، وأن يتحلى الإنسان بالسهولة في جميع معاملاته، فيكون سهل البيع والشراء، وسهل القضاء والاقتضاء على ما في الروايات.

عن أبي عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السماحة من الرباح قال ذلك لرجل يوصيه ومعه سلعة يبيعها»[٢].

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلا إذا باع، سهلا إذا اشترى، سهلا إذا قضى، سهلا إذا استقضى»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى يحب العبد يكون سهل البيع

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٨ ب١ ح٢٥.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٥٢ باب آداب التجارة ح٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٥٠ ب٤٢ ح٢٢٩٧٠.

سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «بارك الله على سهل البيع، سهل الشراء، سهل القضاء، سهل الاقتضاء»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرةً من القصر فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تسمى السبينة فيقف على أهل كل سوق فينادي: يا معشر التجار اتقوا الله، فإذا سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم وأرعوا إليه بقلوبهم وسمعوا بآذانهم، فيقول عليه السلام: قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة واقتربوا من المبتاعين وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجافوا عن الظلم وأنصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة ثم يرجع فيقعد للناس»[٣].

وعن أبي جعفر الفزاري قال: دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى له يقال له مصادف، فأعطاه ألف دينار وقال له: «تجهز حتى تخرج إلى مصر، فإن عيالي قد كثروا».

قال: فتجهز بمتاع وخرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامة، فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً، فلما قبضوا أموالهم وانصرفوا إلى

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٩٦ باب التجارة وآدابها وفضلها وفقهها ح٣٧٣٧.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٨ ب١ ح٧٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨٢-٣٨٣ ب٢ ح٢٢٧٩٨.

المدينة فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كل واحد ألف دينار فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح.

فقال: «إن هذا الربح كثير ولكن ما صنعته في المتاع؟».

فحدثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا.

فقال: «سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألا تبيعوهم إلا ربح الدينار ديناراً، ثم أخذ أحد الكيسين فقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح» ثم قال: «يا مصادف مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال»[1].

خذ ناقصاً وأعط زائداً

مسألة: يستحب للمشتري أن يأخذ ناقصاً ولا يستوفي فوق ما يستحقه عند الاشتراء، وللبايع أن يعطي زائداً، بأن يوفي فوق ما يجب عليه أداؤه عند البيع.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مر أمير المؤمنين عليه السلام على جارية قد اشترت لحماً من قصاب وهي تقول زدني، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: زدها فإنه أعظم للبركة»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يكون الوفاء حتى يميل الميزان»[3].

وفي رواية أخرى: «لا يكون الوفاء حتى يرجح»[4].

(١) الكافي: ج٥ ص١٦١ باب الحلف في الشراء والبيع ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٩٢ ب٧ ح٢٢٨٢٠.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١١ ب١ ح٤٤.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١١٠ ب٨ ح٨١.

إقالة النادم

مسألة: يستحب إقالة النادم في البيع والشراء، فيقبل فسخ المعاملة إذا أراد أحدهما الفسخ.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أيما مسلم أقال مسلماً بيع ندامة أقاله الله عز وجل عثرته يوم القيامة»[١].

وقال (عليه السلام): «أيما عبد أقال مسلماً في بيع أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة»[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أربعة ينظر الله عزوجل إليهم يوم القيامة من أقال نادماً أو أغاث لهفان أو أعتق نسمةً أو زوج عزباً»[٣].

وعن عبد الله بن القاسم الجعفري عن بعض أهل بيته قال: قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يأذن لحكيم بن حزام في تجارته حتى ضمن له إقالة النادم وإنظار المعسر وأخذ الحق وافياً وغير واف[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٨٧ ب٣ ح٢٢٨٠٨.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٥٣ باب آداب التجارة ح١٦.

(٣) الخصال: ج١ ص٢٢٤ باب الأربعة ح٥٥.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٥ ب١ ح١٥.

المعاملات والمكاسب المكروهة

بيع العقار

مسألة: يكره بيع العقار.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما دخل النبي صلى الله عليه وآله المدينة خط دورها برجله ثم قال: اللهم من باع رباعه فلا تبارك له»[١].

وعن أبان بن عثمان قال: دعاني أبو جعفر عليه السلام فقال: «باع فلان أرضه» قلت: نعم، قال: «مكتوب في التوراة أن من باع أرضاً أو ماءً ولم يضع ثمنه في أرض وماء ذهب ثمنه محقاً»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مشتري العقدة مرزوق وبائعها ممحوق»[٣].

وعن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «ثمن العقار ممحوق إلا أن يجعل في عقار مثله»[٤].

بيع الأكفان

مسألة: يكره بيع الأكفان.

عن إسحاق بن عمار قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فخبرته أنه ولد لي

---

(١) بحار الأنوار: ج١٩ ص١١٩-١٢٠ ب٧ ح٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٠ ب٢٤ ح٢٢٠١٣.

(٣) الكافي: ج٥ ص٩٢ باب شراء العقارات وبيعها ح٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧١ ب٢٤ ح٢٢٠١٥.

غلام، قال: «أ لا سميته محمداً» قال: قلت: قد فعلت، قال: «فلا تضرب محمداً ولا تشتمه، جعله الله قرة عين لك في حياتك وخلف صدق بعدك» قلت: جعلت فداك في أي الأعمال أضعه؟ قال: «إذا عدلته عن خمسة أشياء فضعه حيث شئت، لا تسلمه صيرفياً فإن الصيرفي لا يسلم من الربا، ولا تسلمه بياع الأكفان فإن صاحب الأكفان يسره الوباء إذا كان، ولا تسلمه بياع طعام فإنه لايسلم من الاحتكار، ولا تسلمه جزاراً فإن الجزار تسلب منه الرحمة، ولاتسلمه نخاساً فإن رسول الله ﷺ قال: شر الناس من باع الناس»(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قد علمت ابني هذا الكتابة ففي أي شيء أسلمه؟ فقال: أسلمه لله أبوك ولا تسلمه في خمس، لا تسلمه سباءً ولا صائغاً ولا قصاباً ولا حناطاً ولا نخاساً، قال: فقال: يا رسول الله ﷺ ومن السباء؟ قال: الذي يبيع الأكفان ويتمنى موت أمتي، وللمولود من أمتي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، وأما الصائغ فإنه يعالج زين أمتي، وأما القصاب فإنه يذبح حتى تذهب الرحمة من قلبه، وأما الحناط فإنه يحتكر الطعام على أمتي، ولأن يلقى الله العبد سارقاً أحب إلي من أن يلقاه قد احتكر طعاماً أربعين يوماً، وأما النخاس فإنه أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد ﷺ إن شرار أمتك الذين يبيعون الناس»(٢).

احتراف القصابة

مسألة: يكره احتراف القصابة.

عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إني أعطيت

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٦١-٣٦٢ ب٩٣ ح١٥٨.

(٢) الاستبصار: ج٣ ص٦٣ ب٣٧ ح٢.

خالتي غلاماً ونهيتها أن تجعله حجاماً أو قصاباً أو صائغاً»[١].

وفي الحديث المروي عن أبي عبد الله عليه السلام: «فإن الجزار تسلب منه الرحمة»[٢].

بيع الطعام

مسألة: يكره الاشتغال ببيع الحبوب من مثل القمح والشعير وما شابه ذلك.

حيث قال عليه السلام: «إنه لا يسلم من الاحتكار»[٣].

وقال عليه السلام: «وأما الحناط فإنه يحتكر الطعام على أمتي، ولأن يلقى الله العبد سارقاً أحب إلي من أن يلقاه قد احتكر الطعام أربعين يوماً»[٤].

---

(١) علل الشرائع: ج٢ ص٥٣٠-٥٣١ ب٣١٤ ح٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٦١-٣٦٢ ب٩٣ ح١٥٨.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٦١-٣٦٢ ب٩٣ ح١٥٨.

(٤) الاستبصار: ج٣ ص٦٣ ب٣٧ ح٢.

معاملة الأرذال والدون

مسألة: يكره التعامل مع الأراذل والدون.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من علامات الإدبار مقارنة الأرذال»[١].

وقال عليه السلام: «إياك ومعاشرة الأشرار فإنهم كالنار مباشرتها تحرق»[٢].

وقال عليه السلام: «لا يأمن مجالسو الأشرار غوائل البلاء»[٣].

وقال عليه السلام: «ينبغي لمن عرف الأشرار أن يعتزلهم»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تخالطوا ولا تعاملوا إلا من نشأ في الخير»[٥].

التعامل بين الطلوعين

مسألة: يكره التعامل بين الطلوعين: طلوع الفجر وطلوع الشمس.

عن علي بن أسباط رفعه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن السوم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[٦].

وعن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لجلوس الرجل في دبر صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنفذ في طلب الرزق من ركوب البحر»

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣١ ق٦ ب٣ ف٢ ح٩٨٤٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣١ ق٦ ب٣ ف٢ ح٩٨٢١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣١ ق٦ ب٣ ف٢ ح٩٨٣٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٣١ ق٦ ب٣ ف٢ ح٩٨٣٦.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٦٤ باب المعايش والمكاسب والفوائد والصناعات ح٣٦٠١.

(٦) الكافي: ج٥ ص١٥٢ باب آداب التجارة ح١٢.

فقلت: يكون للرجل الحاجة يخاف فوتها، فقال: «يدلج فيها وليذكر الله عزوجل فإنه في تعقيب ما دام على وضوئه»[١].

قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مصلاه من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ستره الله من النار»[٢].

الدخول في سوم الغير

مسألة: يكره الدخول في سوم الآخرين، يعني: التدخل في معاملة متبايعين لشراء ما يشريه الآخر.

وفي حديث المناهي: «ونهى أن يدخل الرجل في سوم أخيه المسلم»[٣].

قال ﷺ: «لا يبيع أحدكم على بيع بعض، ولا يخطب على خطبته»[٤].

المعاملات المحرمة

مسألة: هناك أشياء يحرم التكسب بها، والتعامل فيها.

عن داود الصرمي قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «يا داود إن الحرام لا ينمي، وإن نمى لا يبارك له فيه، وما أنفقه لم يؤجر عليه وما خلفه كان زاده إلى النار»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٧٨ ب٢٩ ح٢٢٠٣٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٥٠٤ باب كراهية النوم بعد الغداة ح١٤٥٢.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٥٧ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله ﷺ.

(٤) غوالي اللآلي: ج١ ص١٣٣ ف٨ ح٢٢.

(٥) الكافي: ج٥ ص١٢٥ باب المكاسب الحرام ح٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أخوف ما أخاف على أمتي هذه المكاسب الحرام والشهوة الخفية والربا»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حله ثم حج فلبى نودي لا لبيك ولا سعديك، وإن كان من حله فلبى نودي لبيك وسعديك»[٢].

وقال عليه السلام: «كسب الحرام يبين في الذرية»[٣].

ومن توقيعه عليه السلام: «لا خير في شيء أصله حرام ولا يحل استعماله»[٤].

الأعيان النجسة

مسألة: يحرم بيع وشراء الأعيان النجسة، كالخمر والخنزير، والدم والكلب، نعم ما كان منها فيه منفعة عقلائية محللة، كالدم لأجل إسعاف المرضى، أو الكلب المعلّم لغرض الحراسة وما أشبه فجائز.

علماً بأن ما ذكرناه هو حكم المسلمين، أما غيرهم فيعامل معهم حسب قانون الإلزام على ما فصلناه في «الفقه»[٥].

في حديث المناهي عن أمير المؤمنين قال: «ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله ... عن بيع النرد ونهى أن يشترى الخمر وأن يسقى الخمر»[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٨١ ب١ ح٢٢٠٤١.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٦٨ ب٩٣ ح١٨٥.

(٣) الكافي: ج٥ ص١٢٤-١٢٥ باب المكاسب الحرام ح٤.

(٤) الاستبصار: ج٣ ص٦٧ ب٤٠ ح٢.

(٥) انظر موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قانون الإلزام، للإمام المؤلف (قدس سره الشريف).

(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٥٨ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال ﷺ: «لعن الله الخمر وغارسها وعاصرها وشاربها وساقيها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه»[1].

وقال ﷺ: «من شربها لم يقبل الله له صلاةً أربعين يوماً فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقاً على الله عزوجل أن يسقيه من طينة خبال وهي صديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثمن العذرة من السحت»[3].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «السحت أنواع كثيرة منها... أجر الزانية وثمن الخمر»[4].

وعن علي بن جعفر عن أخيه عليه السلام قال: وسألته عن الماشية تكون للرجل فيموت بعضها يصلح له بيع جلودها ودباغها ولبسها، قال: «لا وإن لبسها فلا يصلي فيها»[5].

المسكرات والمخدرات

مسألة: يحرم بيع وشراء المسكر مطلقاً، كما يحرم المخدّر في الجملة، والتعامل بها باطل.

عن كليب الصيداوي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: كل مسكر حرام»[6].

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٥٨ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله ﷺ.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٥٨ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله ﷺ.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٧٢ ب٩٣ ح٢٠١.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٧٠ ب٥ ح١٤٧٧٦.

(٥) قرب الإسناد: ص١١٥ باب ما يحل من البيوع.

(٦) الكافي: ج٦ ص٤٠٧ باب أن رسول الله ﷺ حرم كل مسكر قليله وكثيره ح١.

وعن أبي الربيع الشامي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله حرم الخمر بعينها فقليلها وكثيرها حرام كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله الشراب من كل مسكر وما حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله فقد حرمه الله عزوجل»[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مسكر حرام وكل مسكر خمر»[٢].

من المكاسب المحرمة

مسألة: يحرم التكسب بفتح المواخير، ونوادي العراة، ومحلات الشذوذ الجنسي والحانات والمقامر، كما يحرم على الحكام السماح بفتحها.

المشاركة في الحرام

مسألة: يحرم دفع المال من أجل المشاركة في المحلات المذكورة، كما يحرم الحضور والمشاركة فيها أيضاً، والأجرة المأخوذة منها لا يمتلكها الآخذ وعليه أن يردّها إلى أصحابها.

الفساد والإفساد

مسألة: يحرم استخدام البنات، أو الأمرد الجميل من الأولاد، لأجل جلب المشتري، أو ترويج البضاعة، أو ما أشبه ذلك مما يؤدي إلى الفساد والإفساد فإنها تنزل بالإنسان عن قيمته الإنسانية إلى مستوى البضاعة والمادة.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣٢٥-٣٢٦ ب١٥ ح٣٢٠٢٨.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٩ ص١١١ ب٢ ح٢١٧.

مؤسسات إشاعة المنكر

مسألة: يحرم إحداث مؤسسات وشركات اقتصادية وغير اقتصادية، تعمل على إشاعة المنكرات والفواحش، أو الخلاعة والميوعة، أو ترويج العقائد الباطلة والثقافات غير الإسلامية، أو التجسس على المسلمين، أو لبسط نفوذ غير المسلمين على المسلمين، أو على أموالهم وثرواتهم، أو على أنفسهم وأعراضهم، أو غير ذلك من أشكال الهيمنة.

مسألة: يحرم الانتماء أو العمل في مثل هذه المؤسسات والشركات المزبورة، كما يحرم أخذ الأجرة والمال وكذلك صرف المال فيها.

مسألة: يحرم التعامل مع هذه الشركات والمؤسسات التي مر ذكرها، ويجب مقاطعتها والعمل على إزالتها.

مسألة: يحرم تأسيس وتمويل وكالة العهر والفجور، ووكالة الفساد والشذوذ الجنسي، وكل عمل في هذا الطريق فهو محرم، ولو كان العامل كاتباً، أو ما أشبه ذلك.

نشر الفواحش وكتب الضلال

مسألة: يحرم شراء واستخدام الأفراد والأحزاب والمنظمات، والصحف والمجلات، والمؤسسات والشركات، ومحطات البث والإعلام وغير ذلك، لنشر المنكرات والفواحش، ومحاربة الدين والمذهب الصحيح، وتخريب الفكر والعقائد الحقّة، وإيجاد الشكوك والشبهات في الأذهان.

مسألة: يحرم بيع وشراء كتب الضلال والبدعة، ومجلات الخلاعة، وأفلامها، وأشرطة الغناء والموسيقى، وثمنه حرام أيضاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا ينبغي للمسلم أن يواخي الفاجر ولا الأحمق ولا الكذاب»[3].

إنتاج وبيع وسائل التعذيب

مسألة: يحرم إنتاج وصنع وسائل التعذيب، ويحرم الاشتغال فيها، وأخذ الأجرة عليها، ويحرم أيضاً بيع وشراء وسائلها، كما يحرم استخدامها وممارستها في حق الآخرين.

تجارة أدوات التجسس

مسألة: يحرم شراء ما يستخدم في التجسس على الناس، أو بث الخوف والرعب بينهم، أو استعمال العنف والإرهاب ضدهم، أو القيام بالأعمال الإرهابية والإجرامية، أو ما أشبه ذلك ضد الناس الآمنين.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٧٥ باب مجالسة أهل المعاصي ح٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٠١ ب١٤ ح٤٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٩ ب١٥ ح١٥٥٥٨.

مسألة: يحرم الانتماء إلى المؤسسات التجسسية والإرهابية المذكورة في المسألة السابقة، ولا يجوز العمل فيها، كما يحرم الأجر الذي يتقاضاه العامل منها، أو يصرفه الباذل عليها.

قصد الحرام

مسألة: يحرم بيع وشراء ما يمكن الاستفادة منه في الحلال بقصد استخدامه في الحرام، كالعنب بقصد صنعه خمراً، والخشب بقصد صنعه صنماً.

عن عمرو بن حريث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التوت أبيعه يصنع للصليب والصنم؟ قال: «لا»[1].

وعن عمر بن أذينة قال: كتبت إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن رجل له خشب فباعه ممن يتخذه صلباناً؟ فقال: «لا»[2].

إنتاج الحرام

مسألة: يحرم إنتاج المسكرات والمخدرات، والاشتغال في إنتاجها، وجميع أنواع التقلب فيها من نقلها وانتقالها، وحملها وجلبها، وكل الوسائط العاملة من زرعها بقصد الحرام إلى من يوصلها بيد مستهلكها، وحتى مستهلكها نفسه، وذلك للويلات التي تجره المسكرات والمخدرات على الفرد والمجتمع.

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة: غارسها وحارسها وبائعها ومشتريها وشاربها والآكل ثمنها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٧٦-١٧٧ ب٤١ ح٢٢٢٨٨.

(٢) راجع تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٧٣ ب٩٣ ح٢٠٣.

(٣) الكافي: ج٦ ص٤٢٩ باب النوادر ح٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الخمر رأس كل إثم»[١].

وعن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «حرم الله الخمرة قليلها وكثيرها كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وحرم النبي صلى الله عليه وآله من الأشربة المسكر وما حرم النبي صلى الله عليه وآله فقد حرمه الله عز وجل وقال: ما أسكر كثيره فقليله حرام»[٢].

آلات اللهو

مسألة: يحرم إنتاج كل ما لا يستفاد منه إلا في الحرام والاشتغال في إنتاجه، وكذلك التعامل عليه، مثل آلات القمار، وآلات اللهو والغناء.

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من كسر بربطاً أو لعبةً من اللعب أو بعض الملاهي أو خرق زق مسكر أو خمر فقد أحسن ولا غرم عليه»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «استماع الغناء واللهو ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع»[٤].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «النرد والشطرنج والأربعة عشر بمنزلة واحدة وكل ما قومر عليه فهو ميسر»[٥].

وعن زيد الشحام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل:

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣١٥ ب١٢ ح٣١٩٩٢.

(٢) الكافي: ج٦ ص٤٠٩ باب ان رسول الله صلى الله عليه وآله حرم كل مسكر قليله وكثيره ح١٠.

(٣) دعائم الإسلام: ج٢ ص٤٨٦ كتاب الغصب والتعدي ف٢ ح١٧٣٨.

(٤) الكافي: ج٦ ص٤٣٤ باب الغناء ح٢٣.

(٥) الكافي: ج٦ ص٤٣٥ باب النرد والشطرنج ح١.

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾[١] فقال: «الرجس من الأوثان الشطرنج وقول الزور الغناء»[٢].

الأسلحة الفتاكة

مسألة: يحرم إنتاج واستخدام كل ما لا يستفاد منه إلا في مضارة الإنسان ضرراً بالغاً من تخريب بيئته، أو هدم حياته، أو تنغيص سعادته، أو القضاء عليه، مثل الأسلحة الفتاكة، والمواد الجرثومية، والغازات السامة، وما أشبه ذلك مما تنحصر فائدته في تدمير حياة الإنسان والقضاء عليه.

بل يلزم أن يهتم جماعة من العقلاء لإفناء الأسلحة النارية حتى البندقية، وإرجاع الأمر إلى وسائل الحروب البدائية كالرمح والسيف والخنجر والسهم، فإنها توجب العدالة في الحرب، كما ورد في الحديث أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يقوم بالسيف، فكما قام جماعة من العقلاء بتحريم القنبلة الذرية ونحوها، يلزم منع الأسلحة النارية أيضاً ولا فرق بين الأمرين، وإلا فلا حد يقف لتطوير السلاح والشيء الضار فيه.

عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقى السم في بلاد المشركين»[٣].

---

(١) سورة الحج: ٣٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣١٨ ب١٠٢ ح٢٢٦٤٦.

(٣) بحار الأنوار: ج١٩ ص١٧٧ ب٨ ح٢٣.

لا للغصب

مسألة: يحرم غصب ومصادرة كل مال محترم لإنسان محترم، منقولاً كان أو غير منقول، ويجب ردّه على صاحبه فوراً. ولا يجوز بيع وشراء المغصوب والمسروق وما أشبه ذلك.

عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال: «من خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوقاً إلا أن يتوب ويرجع»[1].

وعن صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف قال: «لا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحجر الغصيب[3] في الدار رهن على خرابها»[4].

وعن محمد بن يحيى قال: كتب محمد بن الحسن إلى أبي محمد عليه السلام: رجل اشترى من رجل ضيعةً أو خادماً بمال أخذه من قطع الطريق أو من سرقة هل يحل له ما يدخل عليه من ثمرة هذه الضيعة أو يحل له أن يطأ هذا الفرج الذي اشتراه من السرقة أو من قطع الطريق؟ فوقع عليه السلام: «لا خير في شيء أصله حرام ولا يحل استعماله»[5].

وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمن

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢٥٩ باب ذكر جمل من مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣٨٦ ب١ ح٣٢١٩٠.

(٣) الغصيب: أي المغصوب.

(٤) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٤٠.

(٥) الكافي: ج٥ ص١٢٥ باب المكاسب الحرام ح٨.

أخذ أرضاً بغير حقها وبنى فيها؟ قال: «يرفع بناءه ويسلم التربة إلى صاحبها ليس لعرق ظالم حق» ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخذ أرضاً بغير حق كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر»[1].

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في رجل اكترى داراً وفيها بستان فزرع في البستان وغرس نخلا وأشجاراً وفاكهة وغيرها ولم يستأمر في ذلك صاحب الدار؟ قال: «عليه الكرى ويقوم صاحب الدار الغرس والزرع فيعطيه الغارس إن كان استأمره في ذلك وإن لم يكن استأمره فعليه الكرى وله الغرس والزرع يقلعه ويذهب به حيث شاء»[2].

ما لا مالية له

مسألة: بيع وشراء ما لا مالية له عرفاً كالحشرات والديدان إذا لم تكن لفائدة عقلائية باطل، ومع الفائدة جائز.

قال صاحب الشرائع في كتاب التجارة[3]:

«فيما يكتسب به وهو ينقسم إلى: محرم ومكروه ومباح، فالمحرم منه أنواع، إلى أن قال: الثالث: ما لا ينتفع به كالمسوخ: برية كانت، كالقرد والدب، وفي الفيل تردد، والأشبه جواز بيعه للانتفاع بعظمه.. أو بحرية، كالجري والضفادع والسلاحف والطافي، والسباع كلها إلا الهر، والجوارح: طائرة كانت كالبازي.. أو ماشية كالفهد، وقيل: يجوز بيع السباع كلها، تبعاً

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢٩٤ ب٩٢ ح٢٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٢٤٦ باب المزارعة والإجارة ح٣٨٩٦.

(٣) شرائع الإسلام للمحقق الحلي (رض) تعليق سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله): ج١-٢ ص٢٧٣-٢٧٤.

للانتفاع بجلدها أو ريشها، وهو الأشبه».

حرمة الغش

مسألة: يحرم الغش بكل أنواعه في المعاملات، والتي منها خلط المتاع بغيره وإخفائه عن المشتري.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس منا من غشنا»(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل يبيع التمر: يا فلان أ ما علمت أنه ليس من المسلمين من غشهم»(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «مر النبي صلى الله عليه وآله في سوق المدينة بطعام، فقال لصاحبه: ما أرى طعامك إلا طيباً، وسأله عن سعره فأوحى الله إليه أن يدير يده في الطعام، ففعل، فأخرج طعاماً ردياً فقال: لصاحبه ما أراك إلا وقد جمعت خيانةً وغشاً للمسلمين»(٣).

بيع المتنجس

مسألة: يحرم بيع الشيء المتنجس إذا كان يستعمل فيما يشترط فيه الطهارة، إلا إذا كان قابلاً للتطهير، وأعلم بنجاسته المشتري.

عن علي بن جعفر عن أخيه عليه السلام قال: وسألته عن حب دهن ماتت فيه فأرة، قال: «لا تدهن به ولا تبعه من مسلم»(٤).

---

(١) الكافي: ج٥ ص١٦٠ باب الغش ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢٧٩ ب٨٦ ح٢٢٥٢٠.

(٣) تهذيب الأحكام: ج٧ ص١٣ ب١ ح٥٥.

(٤) مسائل علي بن جعفر: ص٢١٤ النجاسات ح٤٦٤.

القمار

مسألة: يحرم الاشتغال بالقمار، وبما يختص به من المعاملات.

في مناهي النبي ﷺ: «أنه نهى عن النرد و الشطرنج و نهى عن بيع النرد و الشطرنج و قال من فعل ذلك فهو كأكل لحم الخنزير»(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن لله في كل ليلة من شهر رمضان عتقاء من النار إلا من أفطر على مسكر أو مشاحن أو صاحب شاهين» قال: قلت: وأي صاحب شاهين؟ قال: «الشطرنج»(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نهى رسول الله ﷺ أن يسلم على أربعة، على السكران في سكره، وعلى من يعمل التماثيل، وعلى من يلعب بالنرد، وعلى من يلعب بالأربعة عشر، وأنا أزيدكم الخامسة أنهاكم أن تسلموا على أصحاب الشطرنج»(٣).

وعن عبد الواحد بن المختار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن اللعب بالشطرنج؟ فقال: «إن المؤمن لمشغول عن اللعب»(٤).

وفي تفسير العياشي عن محمد بن علي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ﴾(٥) قال: «نهى عن القمار

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٦ ص٢٣٢ ب٩٨ ح٧.

(٢) الأمالي للطوسي: ص٦٩٠-٦٩١ المجلس٣٩ ح١٤٦٨.

(٣) الخصال: ج١ ص٢٣٧ باب الأربعة ح٨٠.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٦ ص٢٣٠-٢٣١ ب٩٨ ح٤.

(٥) سورة النساء: ٢٩.

وكانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عن ذلك»[١].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بيع الشطرنج حرام، وأكل ثمنه سحت، واتخاذها كفر، واللعب بها شرك، والسلام على اللاهي بها معصية وكبيرة موبقة، والخائض فيها يده كالخائض يده في لحم الخنزير لا صلاة له حتى يغسل يده كما يغسلها من مس لحم الخنزير، والناظر إليها كالناظر في فرج أمه، واللاهي بها والناظر إليها في حال ما يلهى بها، والسلام على اللاهي بها في حالته تلك في الإثم سواء، ومن جلس على اللعب بها فقد تبوأ مقعده من النار، وكان عيشه ذلك حسرة عليه في القيامة، وإياك ومجالسة اللاهي المغرور بلعبها، فإنه من المجالس التي باء أهلها بسخط من الله يتوقعونه في كل ساعة فيعمك معهم»[٢].

وعن بعض أصحابنا قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اللعب بالشطرنج؟ فقال: «الشطرنج من الباطل»[٣].

الوقف

مسألة: يحرم بيع وشراء الموقوفات وأموال الوقف، وإذا تعامل عليها فالمعاملة باطلة، إلا فيما استثناه الفقهاء مما هو مذكور في باب الوقف[٤].

عن أبي علي بن راشد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام قلت: جعلت فداك اشتريت أرضاً إلى جنب ضيعتي بألفي درهم فلما وفرت المال خبرت أن الأرض وقف؟ فقال: «لا يجوز شراء الوقف ولا تدخل الغلة في مالك ادفعها إلى من

---

(١) تفسير العياشي: ج١ ص٢٣٦-٢٣٧ سورة النساء ح١٠٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٣٢٣ ب١٠٣ ح٢٢٦٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٦ ص٢٣٦ ب٩٨ ح٢١.

(٤) انظر موسوعة الفقه: ج٦٠ كتاب الوقوف والصدقات.

أوقفت عليه» قلت: لا أعرف لها رباً؟ قال: «تصدق بغلتها»[١].

وعن أبان عن عجلان أبي صالح قال: أملى أبو عبد الله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به فلان بن فلان وهو حي سوي بداره التي في بني فلان بحدودها صدقةً لا تباع ولا توهب حتى يرثها وارث السماوات والأرض وإنه قد أسكن صدقته هذه فلاناً وعقبه فإذا انقرضوا فهي على ذوي الحاجة من المسلمين»[٢].

وعن ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بدار له في بني زريق بالمدينة فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به علي بن أبي طالب وهو حي سوي تصدق بداره التي في بني زريق صدقةً لا تباع ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث السماوات والأرض وأسكن هذه الصدقة فلاناً ما عاش وعاش عقبه فإذا انقرضوا فهي لذوي الحاجة من المسلمين»[٣].

الإسراف والتبذير

مسألة: يحرم الإسراف والتبذير، كما يحرم إتلاف المواد الغذائية وغيرها في البحر أو غير ذلك لتقليل العرض وازدياد الطلب مما يرفع أسعارها مثلا.

عن سليمان بن صالح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أدنى ما يجيء من حد الإسراف؟ فقال: «ابتذالك ثوب صونك وإهراقك فضل إنائك وأكلك التمر ورميك النوى هاهنا وهاهنا»[٤].

---

(١) الاستبصار: ج٤ ص٩٧ ب٦١ ح١.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٩ ص١٣١ ب٣ ح٥.

(٣) الاستبصار: ج٤ ص٩٨ ب٦١ ح٤.

(٤) الكافي: ج٤ ص٥٦ باب كراهية السرف والتقتير ح١٠.

وعن عمار أبي عاصم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أربعة لا يستجاب لهم، أحدهم كان له مال فأفسده فيقول يا رب ارزقني، فيقول: ألم آمرك بالاقتصاد»[١].

وقال عليه السلام: «من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف»[٢].

وعن علي بن جذاعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتق الله ولاتسرف ولا تقتر وكن بين ذلك قواماً إن التبذير من الإسراف، وقال الله تعالى ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾[٣] إن الله لا يعذب على القصد»[٤].

وقال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف»[٥].

وقال عليه السلام: «حلوا أنفسكم بالعفاف وتجنبوا التبذير والإسراف»[٦].

وقال عليه السلام: «سبب الفقر الإسراف»[٧].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الإسراف مذموم في كل شيء إلا في أفعال البر»[٨].

وقال عليه السلام: «قلة الأكل من العفاف وكثرته من الإسراف»[٩].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥٥٦ ب٢٧ ح٢٧٨٦١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٤ ق٥ ب١ ف١ آثار القصة وفوائده ح٨٠٧٤.

(٣) سورة الإسراء: ٢٦.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٥١-٥٢ ب١٩ ح١٤٧١٧.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٣ ق٥ ب١ ف١ أهمية الاقتصاد ح٨٠٥٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٩ ق٥ ب٢ ف١ ح٨١٢٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٩ ق٥ ب٢ ف١ ح٨١٢٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٩ ق٥ ب٢ ف١ ح٨١٢٠.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٦٠ ق٥ ب٢ ف٤ ح٨١٧٦.

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن مع الإسراف قلة البركة»[1].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «رب فقير هو أسرف من الغني إن الغني ينفق مما أوتي والفقير ينفق من غير ما أوتي»[2].

وعن عامر بن جذاعة قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له: يا أبا عبد الله قرض إلى ميسرة، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «إلى غلة تدرك» فقال الرجل: لا والله، قال: «فإلى تجارة تؤب» قال: لا والله، قال: «فإلى عقدة تباع» فقال: لا والله، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «فأنت ممن جعل الله له في أموالنا حقاً» ثم دعا بكيس فيه دراهم فأدخل يده فيه فناوله منه قبضةً، ثم قال له: «اتق الله ولا تسرف ولا تقتر وكن بين ذلك قواماً إن التبذير من الإسراف، قال الله عزوجل: ﴿**ولا تبذر تبذيراً**﴾[3] »[4].

تقليص الإنتاج

مسألة: يحرم فرض ضرائب وقوانين غير شرعية تسبب تقليص الإنتاج أو فقده، في مجال الإنتاج الزراعي أم الإنتاج الصناعي، كما هو المتعارف في بلادنا.

مسألة: يحرم تنفيذ المخططات والأساليب التي تسبب تقليل الإنتاج أو إفنائه، زراعياً كان أم صناعياً، إذا كان يوجب تضييع الحقوق.

---

(١) الكافي: ج٤ ص٥٥ باب كراهية السرف والتقتير ح٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٥٥٨ ب٢٩ ح٢٧٨٦٧.

(٣) سورة الإسراء: ٢٦.

(٤) راجع الكافي: ج٣ ص٥٠١ باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق ح١٤. وفيه: (ولكن بين ذلك قواما).

الهيمنة الاقتصادية الظالمة

مسألة: يحرم التخطيط لأجل الهيمنة الاقتصادية الاستعمارية والسيطرة المالية الظالمة مما يضر الآخرين، والمستتبعة للهيمنة السياسية على المجتمعات والشعوب.

قوانين توجب الفقر

مسألة: يحرم فرض مقررات وقوانين تؤدي إلى افتقار الفرد أو المجتمع، أو تسبب الجهل والحرمان، أو الشقاء والمرض.

لا ضرر ولا ضرار

مسألة: يحرم تخطيط وتنفيذ كل ما يؤدي إلى شيء مما هو يضرّ بالإنسان، أو يخدش كرامته، ولو كان بتقليل شيء من موارده المالية، وتخفيض دخله اليومي.

أكل المال بالباطل

مسألة: يحرم أكل المال بالباطل، كالارتشاء في الحكم، والأموال المصروفة في اليانصيب وغيره من أنواع القمار، والمصروفة لإضلال الناس والإضرار بهم، وما أشبه ذلك مما يعد باطلاً شرعاً.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[1].

وعن يزيد بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن السحت؟ فقال:

---

(١) سورة البقرة: ١٨٨.

الرشا في الحكم»[(١)].

وعن زياد بن عيسى وهو أبو عبيدة الحذاء قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[(٢)] فقال: كانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عزوجل عن ذلك»[(٣)].

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «السحت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة في الحكم وأجر الكاهن»[(٤)].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً ينظر إلى فرج امرأة لا تحل له، ورجلاً خان أخاه في امرأته، ورجلاً يحتاج الناس إلى نفعه فسألهم الرشوة»[(٥)].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: «أن السحت هو الرشوة في الحكم»[(٦)].

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الرشا في الحكم هو الكفر بالله»[(٧)].

صرف المال بالباطل

مسألة: يحرم صرف المال في الباطل، كدفع الرشوة إلى الحاكم، فانه كما يحرم أخذ الرشوة كذلك يحرم إعطاؤها، وهكذا غيرها من موارد الباطل المقررة شرعاً.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٩٣ ب٥ ح٢٢٠٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١٨٨.

(٣) الكافي: ج٥ ص١٢٢ باب القمار والنهبة ح١.

(٤) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٦٨ ب٩٣ ح١٨٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٩١ ب١٠٤ ح٢٥٣٩٧.

(٦) غوالي اللآلي: ج٢ ص١٠٩ المسلك الرابع ح٢٩٨.

(٧) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٢٧٤ ب٣ ح٨.

الضرائب الوضعية

مسألة: يحرم فرض ضرائب أو رسوم على العمران وعلى الزراعة، وعلى المهن والحرف، وسائر المكاسب والأعمال.

مسألة: يحرم فرض ضرائب ومكوس على الصادرات والواردات، وما أشبه ذلك.

تحديد المكاسب

مسألة: يحرم تحديد المكاسب، وتحجيم الأعمال، وفرض جواز عمل وإجازة مهن وحرف وما أشبه ذلك، إلا في إطار ما حدّده الإسلام وعينه.

تسعير البضائع

مسألة: يحرم تسعير البضائع والمواد من قبل الدولة من دون رضا أصحابها، وهكذا تحديد أجور العمل والخدمات وغير ذلك مما ينافي «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم»[1]، إلا إذا كانت هناك مصلحة أهم حسب تشخيص شورى الفقهاء المراجع مع الأخذ بآراء الأخصائيين الاقتصاديين.

وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ أمر المحتكرين أن يخرجوا حكرتهم إلى بطون الأسواق بحيث ينظر الأبصار إليها، فقيل له: لو قومت عليهم، فغضب عليه السلام حتى عرف الغضب في وجهه وقال: «أنا أقوم عليهم إنما السعر إلى الله يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء»[2].

---

(١) قاعدة فقهية مشهورة.

(٢) غوالي اللآلي: ج٣ ص٢٠٨ باب التجارة ح٦٠.

الإسلام يعلو ولا يعلى عليه

مسألة: يحرم عقد المعاهدات الاقتصادية وغير الاقتصادية المؤدية إلى هيمنة غير المسلمين على المسلمين، وكذلك العمل على تحقيق هذه المعاهدات واستمرارها، وصرف المال فيها، وأخذ الأجرة عليها، وكل أنواع العمل المؤدي إلى دعمها.

منظمات الإرهاب وتمويلها

مسألة: يحرم تأسيس وتمويل منظمات الإرهاب، وعصابات العنف والرعب، وقطاع الطرق والمنازل، واختطاف الطائرات والقاطرات، كما يحرم الانتماء إليها والعمل فيها وأخذ الأجرة منها.

استعباد الفرد والأمة

مسألة: يحرم استعباد الفرد والمجتمع، والشعب والأمة، واستعمارها، وفرض الهيمنة عليها، بأي شكل ونحو كان نعم الرقية حسب الشروط الإسلامية المذكورة في كتاب العتق وما أشبه هي الصحيحة فقط.

استغلال الإنسان

مسألة: يحرم استغلال الإنسان واستغلال طاقاته فيما لم يأمر الله تعالى به، مثلاً: يحرم تجربة الأدوية الطبية على الإنسان، أو أخذ المال منه بالإكراه، أو إجباره وإكراهه على عمل ما وإن كان عملاً سائغاً، أو فرض الإقامة الجبرية عليه أو سجنه، أو توقيفه، أو ما شابه ذلك مما يتنافى مع الحرية الإنسانية التي منحها الله تعالى للإنسان.

التلاعب بالأسواق

مسألة: يحرم التلاعب بالأسواق، من رفع الأسعار وتخفيضها، أو احتكار الأمتعة أو تشويهها، أو ما أشبه ذلك مما يضر بعامة الناس.

حصر الامتياز والوكالات

مسألة: إعطاء امتياز شيء ما لفرد خاص، أو شركة خاصة، وحصر البيع والشراء لذلك الشيء إلى ذلك الفرد أو تلك الشركة، إذا كان فيه كبت ومصادرة لحريات الناس وتعد على حقوق الآخرين فإنه لا يجوز.

لحم الإنسان

مسألة: يحرم حرمة مغلظة أكل لحم الإنسان وشرب دمه، وأكل شيء من أعضائه وأجزائه، حياً كان أو ميتاً، وكذلك يحرم بيع وشراء لحم الإنسان، وتأسيس المؤسسات الخاصة به والتمويل والاتجار والعمل في كل ما يرتبط بذلك.

العولمة وقانون العقوبات

مسألة: قانون العقوبات الإسلامية سواء في الحدود أم التعزيرات أفضل من جميع القوانين العالمية في هذا الباب، ومن حكمة هذه العقوبات نظافة المجتمع من المفاسد.

علماً بأن إجراء الحدود مشروط بعشرات الشروط، مما جعلها متعسرة التطبيق والإجراء عادة، وربما متعذرة في بعض الأحيان، وقد ذكرنا في «الفقه» لحد السرقة أكثر من أربعين شرطا[1].

ثم إن الإسلام ببرامجه الوقائية قبل العلاجية ضمن سلامة المجتمع من الجرائم، كما يدل عليه التاريخ الإسلامي الطويل، حيث تقلصت الجرائم فيه وانعدمت مما أدى إلى أن يختلف العلماء في تحديد قطع يد السارق.

عن جميل بن دراج عن رجل عن أحدهما‌عليهما‌السلام: في رجل سرق أو شرب الخمر أو زنى فلم يعلم بذلك منه ولم يؤخذ حتى تاب وصلح فقال: «إذا صلح وعرف منه أمر جميل لم يقم عليه الحد» قال محمد بن أبي عمير قلت: فإن كان أمراً قريباً لم يقم عليه الحد، قال: «لو كان خمسة أشهر أو أقل منه وقد ظهر أمر جميل لم تقم عليه الحدود»[2].

وروي عن النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أنه قال: «من أتى منكم شيئا مما يوجب عليه حدا أو عقابا فليستتر بظل الله عز وجل ويتوب إليه فيما بينه وبينه فإنه أقرب إلى الله عز وجل من إظهاره ما ستر عليه ولا يبد أحدكم صفحته بالذنوب فإنه من أبدى

---

(١) راجع أيضا كتاب (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين)، للإمام المؤلف (قدس سره).

(٢) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٤٦ ب١ ح١٦٦.

صفحته لإقامة الحد عليه هلك ولم يصبر على الحق فيه»(١).

وعن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن علياً عليه السلام أتي برجل سرق من بيت المال فقال: لا يقطع فإن له فيه نصيباً»(٢).

وفي تفسير العياشي: عن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه بشدة قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك؟

فقال: وددت اليوم أني قد مت منذ عشرين سنة.

قال: قلت له: ولم ذاك؟

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي الأمير.

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟

قال: إن سارقا أقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي عليه السلام، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟

قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، لقول الله في التيمم ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ﴾(٣) واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

---

(١) المقنعة: ص٧٧٧ ب١.

(٢) الاستبصار: ج٤ ص٢٤١ ب١٤٠ ح٢.

(٣) سورة النساء: ٤٣، سورة المائدة: ٦.

قالوا: لأن الله لما قال ﴿وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[(١)] في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال: «قد تكلم القوم فيه».

قال: دعني مما تكلموا به، أي شيء عندك؟

قال: «أعفني عن هذا».

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: «أما إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول: إنهم أخطئوا فيه السنة فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف».

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[(٢)] يعني به هذا الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[(٣)] وما كان لله لم يقطع».

قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك حيا»[(٤)].

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) سورة الجن: ١٨.

(٣) سورة الجن: ١٨.

(٤) تفسير العياشي: ج١ ص٣١٩-٣٢٠ سورة المائدة ح١٠٩.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «الضيف إذا سرق لم يقطع»[1].

وعن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوم اصطحبوا في سفر رفقاء فسرق بعضهم متاع بعض؟ فقال: «هذا خائن لا يقطع، ولكن يتبع بسرقته وخيانته» قيل له: فإن سرق من منزل أبيه؟ فقال: «لا يقطع لأن ابن الرجل لا يحجب عن الدخول إلى منزل أبيه هذا خائن، وكذلك إن سرق من منزل أخيه وأخته إذا كان يدخل عليهم لا يحجبانه عن الدخول»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن العبد إذا أبق من مواليه ثم سرق لم يقطع وهو آبق»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يقطع السارق في عام سنة يعني في عام مجاعة»[4].

عدم إجراء الحدود في هذا الزمان

مسألة: الظاهر أن في مثل هذا الزمان الذي لم يطبق الإسلام بكامله، لاتجرى الحدود على ما فصلناه في بعض كتبنا، والذي يبدو للنظر ـ وان كان اللازم في هذا الباب الرجوع إلى شورى الفقهاء المراجع ـ أن على الدولة الإسلامية أن ترجئ العقوبات إلى التأديب بالسجن ونحوه مما يصلح أن يكون رادعا، لعدة سنوات، إلى أن يطبق الإسلام في كافة جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يطبق قانون العقوبات إلا بعد تطبيقه الإسلام في

---

(١) علل الشرائع: ج٢ ص٥٣٥ ب٣٢٤ ح٣.

(٢) الكافي: ج٧ ص٢٢٨ باب الأجير والضيف ح٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٤٧ باب الإباق ح٣٥٤٢.

(٤) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص١١٢ ب٨ ح٥٩.

المدينة المنورة كاملاً، وبعد ما قلع أسباب الفساد وجذوره.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وعن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام من يقيم الحدود السلطان أو القاضي؟ فقال: «إقامة الحدود إلى من إليه الحكم»[2].

لا حد مع الشبهة

مسألة: الحدود تدرأ بالشبهات، وهذا من عظيم اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان وشدة حرصه على إعفائه عن إجراء الحدود، وعدم تطبيق قانون العقوبات عليه، ولذلك جعل الشبهة واحتمالها ـ أية شبهة كانت ـ في حق المتهم، ذريعة إلى رفع الحدّ عنه ووسيلة إلى عفوه عن تنفيذ القانون في حقه.

ولا فرق في الشبهة بين أن تكون موضوعية أو حكمية أو غير ذلك على ما فصلناه في الفقه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»[3].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إذا كان في الحد لعل أو عسى فالحد معطل»[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام برجل فقال: هذا قذفني، ولم تكن له بينة، فقال: يا أمير المؤمنين استحلفه، فقال: لا يمين في حد

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٤٩ ب٢٨ ح٣٤١٨٦.

(٣) دعائم الإسلام: ج٢ ص٤٧٢ ف٢ ح١٦٨٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٧ ب٢٢ ح٢١٩١٦.

ولا قصاص في عظم»[١].

وعن أبي عبد الله البرقي عن بعض أصحابه عن بعض الصادقين عليهم السلام قال: «جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأقر بالسرقة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتقرأ شيئاً من كتاب الله؟

قال: نعم، سورة البقرة.

قال: قد وهبت يدك لسورة البقرة»[٢].

وعن أبي الحسن الثالث عليه السلام في حديث قال: «وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنه لم يقم عليه البينة وإنما تطوع بالإقرار من نفسه وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمن عن الله، أما سمعت قول الله: **﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾**[٣]»[٤].

وعن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام أتي بالكوفة برجل سرق حماماً فلم يقطعه وقال: لا أقطع في الطير»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل، فإذا آواه المراح أو الحرس فالقطع فيما بلغ ثمن المجن»[٦].

وروى ابن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وآله أتي بجارية قد سرقت فوجدها لم تحض فلم يقطعها[٧].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٤٦ ب٢٤ ح٣٤١٧٦.

(٢) الاستبصار: ج٤ ص٢٥٢ ب١٤٨ ح٥.

(٣) سورة ص: ٣٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٤١ ب١٨ ح٣٤١٦٦.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٦٠ باب حد السرقة ح٥١٠٠.

(٦) غوالي اللآلي: ج٣ ص٥٦٩ باب الحدود ح٨٩.

(٧) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص١٤٤ ب٢٦ ح٢٢٣٣٩.

وروي أن امرأة سرقت حليا فأتي بها النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه**﴾[1]»[2].

وعن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أن رجلا رفع إليه وذكر أنه سرق درعاً وشهد عليه شهود، فجعل الرجل ينشد علياً عليه السلام في البينة ويقول: والله لو جيء بي إلى رسول الله ﷺ ما قطع يدي أبداً.

قال علي عليه السلام: ولم ذلك؟

قال: يخبره ربه عزوجل أني بريء فتنفعني براءتي.

فلما رأى علي عليه السلام مناشدته دعا الشاهدين فناشدهما وقال: إن التوبة قريب فاتقيا الله ولا تقطعا يد الرجل ظلماً، فلم ينكلا.

فقال: يمسك أحدكما يده ويقطع الآخر.

فلما قال ذلك دخلا في غمار الناس فهربا من بين يديه، يعني ولم يتما الشهادة ولم يثبتا.

فقال عليه السلام: من يدلني على الشاهدين الكاذبين أنكل بهما»[3].

وعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا حد لمن لا حد عليه، يعني لو أن مجنوناً قذف رجلا لم أر عليه شيئاً ولو قذفه رجل فقال له: يا زان، لم يكن عليه حد»[4].

وهكذا لا تجرى الحدود إذا كان جاهلاً بالحكم أو الموضوع على تفصيل

---

(١) سورة المائدة: ٣٩.

(٢) غوالي اللآلي: ج٣ ص٥٦٥ باب الحدود ح٧٥.

(٣) دعائم الإسلام: ج٢ ص٤٦٥ كتاب الحدود ف٥ ح١٦٤٨.

(٤) الكافي: ج٧ ص٢٥٣-٢٥٤ باب أنه لا حد لمن لا حد عليه ح٢.

مذكور في الفقه[١]، وذلك لعموم أدلة الرفع وغيرها.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رفع عن أمتي أربع خصال خطؤها ونسيانها وما أكرهوا عليه وما لم يطيقوا، وذلك قول الله عزو جل: **﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾**[٢]، وقوله: **﴿إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان﴾**[٣]»[٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وضع عن أمتي تسع خصال: الخطأ والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا إليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد»[٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بي وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٦].

وقال صلى الله عليه وآله: «وضع عن أمتي ما أكرهوا عليه ولم يطيقوا وما أخطئوا»[٧].

(١) موسوعة الفقه: ج٨٧-٨٨ كتاب الحدود والتعزيرات.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) سورة النحل: ١٠٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٦٩ ب٥٦ ح ٢٠٧٧.

(٥) الكافي: ج٢ ص٤٦٣ باب ما رفع عن الأمة ح٢.

(٦) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٤ ب٥٦ ح١٣٤٠٥.

(٧) المحاسن: ج٢ ص٣٣٩ كتاب العلل ح١٢٤.

لا قصاص قبل الجناية

مسألة: لا يجوز القصاص قبل الجناية.

ورد أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني رأيت كأن جبرئيل عليه السلام قد نزل عن السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى الكعبة وتركهما على ظهرها وضرب أحدهما على الآخر فصارت كالرميم ثم ذرهما في الريح فما بقي بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ودخله من ذلك الرماد؟

فقال له: يا أبت وما تأويلها؟

فقال: يا بني إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول، ولا يبقى بمكة حينئذ ولا بالمدينة بيت إلا ويدخله من ذلك غم ومصيبة من أجلي.

فقال الحسن عليه السلام: وهل تدري متى يكون ذلك يا أبت؟

قال: يا بني إن الله يقول: ﴿**وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾[1]، ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان يقتلني ابن ملجم المرادي.

فقلت له: يا أبتاه إذا علمت منه ذلك فاقتله.

قال: يا بني لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية، والجناية لم تحصل منه، يا بني لو اجتمع الثقلان الإنس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا يا بني ارجع إلى فراشك»[2].

---

(١) سورة لقمان: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٢ ص٢٧٩ ب١٢٧ كيفية شهادته عليه السلام ووصيته وغسله والصلاة عليه ودفنه.

العولمة والقضاء

مسألة: القضاء الإسلامي أفضل القضاء وأبسطه وأسرعه، وهذا ليس مجرد إدّعاء، بل قد ثبتت صحته الخارجية منذ تطبيق الحكم الإسلامي، وهو واضح على من راجع كتاب القضاء من الفقه، أو نظر في قضاء علي أمير المؤمنين عليه السلام، ومن قوانين القضاء في الإسلام حرمة الرشوة، وحتى أخذ الهدية للقاضي في الجملة، ولزوم الدقة في الحكم وأن يحكم بالعدل.

عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا جلس القاضي في مجلسه هبط عليه ملكان يسددانه ويرشدانه ويوفقانه فإذا جار يخرجان ويتركانه»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «القضاة ثلاثة، اثنان في النار وواحد في الجنة، رجل علم بالحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى على جهل فهو في النار، ورجل جار في الحكم فهو في النار»[2].

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام ولى أبا الأسود الدؤلي القضاء ثم عزله، فقال له: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال عليه السلام: «إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك»[3].

وروى أبو مريم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من ولي من أمور المؤمنين شيئا واحتجب من دون حاجتهم احتجب الله تعالى دون حاجته وفاقته وفقره»[4].

---

(١) غوالي اللآلي: ج٢ ص٣٤٢ ب٢ ح١.

(٢) غوالي اللآلي: ج٢ ص٣٤٢ ب٢ ح٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٥٩ ب١١ ح٢١٥٨١.

(٤) غوالي اللآلي: ج٢ ص٣٤٣ ب٢ ح٦.

وورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقضي بين الناس في مسجده[١].

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه كان يفعل ذلك في مسجد الكوفة وله به دكة معروفة بدكة القضاء[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «على اليد ما أخذت حتى تؤدي»[٤].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[٥].

وقال صلى الله عليه وآله لشاهد: «على مثل الشمس فاشهد وإلا دع»[٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «السحت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة في الحكم وأجر الكاهن»[٧].

---

(١) غوالي اللآلي: ج٢ ص٣٤٤ ب٢ ح٧.

(٢) غوالي اللآلي: ج٢ ص٣٤٤ ب٢ ح٨.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٦٨ ب٣ ح٢١٦٠١.

(٤) فقه القرآن: ج٢ ص٧٤ باب الغضب.

(٥) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٤٨ ب٩٣ ح١٠٢.

(٦) غوالي اللآلي: ج٢ ص٣٤٥ ب٢ ح١٢.

(٧) الكافي: ج٥ ص١٢٦-١٢٧ باب السحت ح٢.

العولمة والبيئة

مسألة: اهتم الإسلام بسلامة البيئة على ما ذكرناه في (فقه البيئة) و(فقه النظافة)، فاللازم على الحاكم والحكومة قبل كل أحد العمل من أجل تحقيق نظافة البيئة وتأمين سلامتها، كما يلزم على كل مكلف رعاية ذلك.

كما إنه من المستحب الزرع والزراعة ورعاية المياه وما أشبه[١]، ومن الواضح تأثيرها على سلامة البيئة.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام إنه نهى صلى الله عليه وآله أن يبول الرجل في الماء الجاري إلا من ضرورة وقال إن للماء أهلا»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم، إلى أن قال: وإذا أردت قضاء حاجتك فأبعد المذهب في الأرض»[٣].

وعن علي بن إبراهيم رفعه قال: خرج أبو حنيفة من عند أبي عبد الله عليه السلام وأبو الحسن موسى عليه السلام قائم وهو غلام، فقال له أبو حنيفة: يا غلام أين يضع الغريب ببلدكم؟ فقال: «اجتنب أفنية المساجد وشطوط الأنهار ومساقط الثمار ومنازل النزال ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول وارفع ثوبك وضع حيث شئت»[٤].

---

(١) انظر كتاب (الفقه: الزرع والزراعة) للإمام المؤلف (قدس سره الشريف).

(٢) الاستبصار: ج١ ص١٣ ب٤ ح٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٩٦-٢٩٨ باب آداب المسافر ح٢٥٠٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج١ ص٣٠١ ب٢ ح٧٩٠، وسائل الشيعة: ج١ ص٣٢٤-٣٢٥ ب١٥ ح٨٥٣.

وروي بطرق عديدة: «ثلاثة أشياء الناس فيها شرع سواء الماء والكلاء والنار»[١].

ضمان الطبيب والبيطار: حكم عالمي

مسألة: يجب على الطبيب الدقة اللازمة في تشخيصه للمرض ووصفه للدواء، ودلت الروايات على ضمان الطبيب والبيطار إن أخطأ في تشخيص المرض أو في وصف الدواء، وقد أفتى الفقهاء بذلك، وهذا الضمان فيما لو دقق واخطأ، فضلاً عن انه لو تساهل أو تعمد، فان حكمه حينئذ أشد من ذلك. وهكذا الحكم في البيطار.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من تطبب أو تبيطر فليأخذ البراءة من وليه وإلا فهو له ضامن»[٢].

وعن السكوني عن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «إن علياً عليه السلام ضمن ختاناً قطع حشفة غلام»[٣].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه ضمن ختانةً ختنت جاريةً فنزفت الدم فماتت، فقال لها علي عليه السلام: «ويلا لأمك أفلا أبقيت» فضمنها علي عليه السلام دية الجارية وجعل الدية على عاقلة الختانة[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٣ ص٤٤٦ ب١.

(٢) الكافي: ج٧ ص٣٦٤ باب ضمان الطبيب والبيطار ح١.

(٣) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٢٣٤ ب١٨ ح٦١.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٣٢٥ ب١٩ ح٢٢٨٥٥.

فصل:

العولمة الغربية ونقدها



جذور العولمة الغربية

ظهرت الليبرالية الجديدة ـ على ما يبدو من دراسة جذور العولمة الغربية ـ بعد انتهاء الحرب الباردة وبعد سقوط الشيوعية، وتفكك الاشتراكية، وتفسخ اليمين التقليدي، وكان ظهورها بلباس الاقتصاد الرأسمالي، وبثوب العولمة، لتغزو كل الدول، وتدعو إلى حرية انتقال رأس المال، وإلغاء الحواجز الجمركية، والإطاحة بالأنظمة، لتعزيز حرية المبادلات التجارية، بحيث أنتج نوعاً من التباعد بين النشاط المالي والنشاط الاقتصادي، فمن أصل رأس مال قدره ألف وخمسمائة مليار دولار، تدور في دوّامة العمليات اليومية على الصعيد العالمي، نرى أن هناك واحداً بالمائة فقط يخصص للبحث عن ثروات جديدة، بينما يدوّر الباقي في إطار المضاربات.

ومعه تمّ تحوّل النظام الرأسمالي إلى نظام عالمي بقيادة أمريكا، والسبب في ذلك هو أنّ هذه القيادة هي واسعة ثروةً، وديمقراطيةِ نظاماً ولو بنسبة، ووسيعة أرضاً، وكثيرة شعباً، وهي مع كل ذلك بصدد التقدم على منافسيها والهيمنة عليهم، وإلا فسعة الصين أو الهند أكثر من أمريكا، لكنهم ليسوا بصدد القيادة فعلاً.

وقد ابتدأت أمريكا باتجاه فرض هيمنتها على العالم مع تعاظم القوة الاقتصادية للشركات المتعددة القوميات، والتي مثّلت سلطة هذه العولمة دون أن تعلن عن هويّتها أو ولائاتها، وهذه الشركات غير خاضعة لمسؤولية معيّنة، لأنها لا تمثل السلطة الرسمية لأيّة أمة من الأُمم، ولا دولة من الدول.

وبمناسبة اجتماع وزراء أعضاء منظمة التجارة الدولية في سياتل عام ٢٠٠٠، أخبرت الإذاعات وعكست الأقمار الصناعية، لقطات وصور من مظاهرات صاخبة جداً مؤلفة من مختلف طبقات الناس، وخاصة الطبقة العاملة والمزارعة، وجماعات من المثقفين من أصحاب الفكر الاقتصادي والنقابي، والاجتماعي والحقوقي، وقد خرجت هذه الجموع تندد بالمجتمعين واجتماعهم الذي عقدوه لمدارسة الصيغة العالمية للاقتصاد العالمي، مما يدل على سخط الجماهير منها، ونقمتهم عليها وعلى العولمة الغربية الجديدة وأسلوبها الظالم.

وقد استطاع المتظاهرون رغم الحواجز الأمنية وبعد المواجهات العنيفة بينهم وبين الشرطة من احتجاز الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في الفندق لمدة أربع ساعات ونصف، وشلّ أعمال التجمع لليوم الأول، وبعد أن أوصل بيل كلينتون نفسه إلى المؤتمر أشار في خطابه إلى أنه على الدول أن تأخذ بعين الاعتبار الشعارات التي نادى بها المتظاهرون، والتي سمعها هو مباشرة خلال احتجازه في الفندق والتي كان منها ما يلي:

الرأسمالية وحش قاتل.

الرأسمالية دولة الأثرياء.

نريد معلوماتية تخدم الإنسان.

نطالب بقيم الإنسان وليس بقيم ملاّك الشركات والمؤسسات الكبرى.

لا نريد عولمة لجمع الثروة فقط.

لا نريد حريات اقتصادية تسحق حق العيش الكريم.

الإنسان بلا ضمانات يأكله وحش المال.

النظام الرأسمالي يدفع المواطنين إلى الانتحار.

إلى غير ذلك.

وهكذا في ملبورن باستراليا حيث قامت مظاهرة معادية للعولمة، وقد شارك فيها آلاف الأشخاص وأدت إلى فوضى عارمة لدى افتتاح (قمة آسيا المحيط الهادئ للمنتدى الاقتصادي العالمي) ورُددت شعارات ضد العولمة، كان منها:

لا للرأسمالية.

لا للمنفعة الفردية مقابل المجتمع.

العولمة وحش قاتل.

العولمة قانون الأقوى.

نريد سياسة لا تتأثر بالمال.

ناهضوا العولمة قبل أن يملكنا رجال الأعمال والمال.

إلى غير ذلك.

وفي بيان وقعته ١٢٠٠ منظمة من ٨٧ دولة جاء فيه: «إن منظمة التجارة العالمية في السنوات الخمس الأخيرة قد أسهمت بدور بارز في تركيز الثروة في أيدي أقلية من الأثرياء جنباً إلى جنب، مع زيادة تفشي الفقر لأغلبية سكان الأرض... إن الاتفاقات التي أبرمت في دور الاورجواي للتجارة قد استهدفت فتح أسواق جديدة لصالح المؤسسات متعددة الجنسيات، وعلى حساب الاقتصاد الوطني والعاملين والزارعين والعدد من الفئات الأخرى والبيئة».

العولمة الغربية، عواملها وأهدافها

وهاهنا بعض الأسئلة ينبغي الجواب عليها:

١ : ما هي أسباب وعوامل بروز ظاهرة العولمة الغربية في العصر الحاضر؟

٢ : هل هذه العولمة تؤدي إلى انهيار نظام الدولة ذات الحدود المستقلة أو ترجع إلى تشديده والتأكيد عليه؟

٣ : هل في العولمة ما يضمن زيادة التجانس والتوافق أو تعمل على تعميق الفوارق والاختلافات؟

٤ : هل العولمة تهدف إلى توحيد العالم، أو تسعى لتثبيت الأنظمة المجتمعية عن طريق الحدود الجغرافية المصطنعة؟

٥ : هل إن مصادر العولمة مصادر رئيسية واحدة، أو تتشعب من مصادر متنوعة ومتداخلة؟

٦ : هل إن العولمة تنبعث من عوامل اقتصادية وإبداعات تقنية أو أنها تنبعث من خلال الأزمة الايكولوجية؟

٧ : هل إن العولمة تجمع كل هذه العوامل الآنفة، أو أنه يوجد هناك عوامل وأبعاد أخرى منفلتة عنها؟

٨ : هل إن العولمة تستبد بثقافة واحدة عامة، أو تسمح بوجود ثقافات متعددة، محلية وقومية متنوعة؟

٩ : هل إن العولمة تحوّل بارز، وتطوّر ظاهر، يجمع بين العام والخاص، وبين المحلي والخارجي، وبين المغلق والمفتوح على المدى الطويل والبعيد، أو إنها

الغاز غامضة؟

١٠ : هل إن العولمة جاءت لزيادة الفجوة بين الفقراء والأغنياء على جميع المستويات؟ أو إنّها جاءت لسد الفجوة الموجودة بينهما؟

١١: هل إن العولمة تستدعي وجود حكومة عالمية أو تكتفي بالحكومات المحلية؟

١٢ : وأخيراً هل إن العولمة تسعى لتوحيد الأفكار والثقافات، أو إنها تشجع الأفكار والثقافات الموجودة وتقوّي التمسك بها؟

نعم، قد تتبادر هذه الأسئلة وأكثر منها إلى ذهن الإنسان عندما يسمع كلمة (العولمة) ويبحث عنها.

ولعل الجواب إجمالاً هو:

إن أهم عوامل ظهور العولمة بالمعنى المعاصر انفراد الكتلة الغربية في الساحة العالمية، وتطلب النظام الاقتصادي الرأسمالي التدويل والتعولم، كما إن أهم أهداف العولمة المعاصرة هو: سيادة النظام الغربي، وهيمنة الأفكار الغربية وثقافتها، إذ أن جوهر عملية العولمة يتمثل وبصورة خاصة في تسهيل حركة الناس، وفي انتقال كل واحد من المعلومات والسلع والخدمات على النطاق العالمي.

ثم إن كلاً من الحركة والانتقالات التي تنتشر عبر الحدود يشمل ستة أمور رئيسية وهي كالتالي:

١ : رأس المال

٢ : البضائع

٣ : الأفكار

٤ : الأفراد

٥ : الخدمات

٦ : المعلومات والمؤسسات الاقتصادية

وبالتالي تتجلى العولمة الغربية في مجالين بوضوح أكثر منه مما في المجالات الأخرى، وهما:

المجال الاقتصادي.

والمجال السياسي.

ولكن العولمة الصحيحة وهي عولمة الإسلام، فإنها تضمن جميع الحريات المشروعة وتأخذ بأيدي الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة.

العولمة السياسية الغربية

مسألة: إن النظام الرأسمالي الذي يحكمه قانون تعظيم الأرباح الخاصة وتضخيمها، يهدف إلى التوسع، والتوسع لا يتم إلاّ عبر استثمار أرباحه والحصول على قروض من أسواق الرساميل، وعليه: فإذا لم يتوسع يتعرض للركود والكساد والأزمات الدورية، وذلك واضح، ويزيده وضوحاً الأمثلة التاريخية على هذه الأزمات، فإنها كثيرة ومعروفة لدى أهل الخبرة والفن.

ثم إن التوسع يؤدي بطبيعته إلى بروز المنشآت الاقتصادية الكبرى عن طريق تمركز رأس المال، ولعل من أهم الأسباب في تحقيق ذلك، هي عمليات الدمج بين المنشآت الكبرى، أو استيلاء منشأة كبرى واحدة، على منشآت متعددة أصغر منها، وذلك عن طريق البيع والشراء أو غير ذلك من طرق النقل والانتقال.

ثم إنّه في عملية التوسع هذه قد تتراكم فوائض مالية جمة، لا يجد أصحابها أحياناً مجالات مربحة في استثمارات حقيقية حتى يقوموا بها وتؤدي إلى زيادة الإنتاج والتجارة، ولذلك يقوم أصحاب هذه الفوائض الجمة بفتح مجالات مربحة في المضاربة ضمن إطار الدولة الواحدة.

مضافاً إلى أن أصحاب هذه الفوائض الجمة يبعثون على الضغط بالنسبة إلى الدول والحكومات لتأمين حرية انتقال الفائض من دولة إلى دولة بواسطة رفع القيود عن حركة الرساميل، وبديهي أن يكون حينئذ أهم سمة للنظام الرأسمالي العالمي المعاصر هو ما يسمى بالعولمة المالية المتحققة عبر العولمة السياسية الغربية فإن العزة الاقتصادية تدعو للعزة السياسية وتبشر بها.

نعم إن النظام الاقتصادي الراهن، المعزز بالهيمنة السياسية للغرب، يُمثّل مرحلة جديدة من مراحل التطور السريع للسياسة المالية، ويجسّد صفحة حديثة من صفحات الاقتصاد الرأسمالي العالمي وقد تسمى هذه الصفحة وهذه المرحلة باسم: (العولمة) وهو قد يتسم بخصائص عديدة أهمها:

١ : ازدياد دور الشركات متعددة الجنسيات في الاقتصاد العالمي بعد سقوط نظام بيريتون، وودز.

٢ : ازدياد أهمية مؤسسات العولمة الثلاث التي هي عبارة عن: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والمنظمة العالمية للتجارة.

٣ : تعريف مراكز القوى الاقتصادية العالمية للتغيير الأكيد المتدرج.

٤ : تحويل هيكلية الاقتصاد العالمي وتبديل سياسات التنمية العالمية وتغييرها.

٥ : تقهقر أهمية مصادر الطاقة التقليدية والمواد الأولية في السوق العالمية وتراجعها.

وبالتالي انطباع كل هذه البنود الاقتصادية المذكورة وغيرها مما لم نتعرض لها للاختصار ومخافة التطويل بالصبغة السياسية وتحكم العولمة السياسية بها، وهيمنتها عليها[1].

وهذا من أسباب بروز العولمة السياسية الغربية.

---

(١) وعلى سبيل المثال: إن الاقتصاد الأمريكي بات محركاً للاقتصاد العالمي بناتج محلي إجمالي عام ١٩٩٨ يفوق ٨٥١١ مليار دولار مقابل ٢٩٠٣ مليارات دولار لليابان، و١٨١٣ ملياراً لألمانيا، و١٣٢٠ ملياراً لفرنسا، و١٢٥٢ ملياراً لبريطانيا، و١٨١١ ملياراً لإيطاليا، و٦٨٨ ملياراً لكندا، و٥٩٣ ملياراً لروسيا، أي إن الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة وحدها يزيد عن ٨٧% عن مجموع الناتج المحلي الإجمالي للبلدان السبعة الأخرى البالغ ٩٧٥٠ مليار دولار. ومنه يعرف مدى هيمنة أمريكا وتخطيطها ودورها على قرارات الشركات والبنوك والمصارف.

العولمة الاقتصادية الغربية

مسألة: التدويل الذي أصبح الاقتصاد العالمي يتصف به حسب رأي بعض الاقتصاديين هو من أهم سمات الاقتصاد ظهوراً في العقود الثلاثة الأخيرة.

والتدويل بالنظر البدوي هو ظهور متعاظم لما للعلاقات الاقتصادية الدولية من دور هام بالنسبة إلى الأنشطة الاقتصادية المحلية أو الوطنية، ويظهر هذا واضحاً من خلال الدور الكبير الذي تتبنّاه الشركات المتعددة الجنسيات، الممتدة نشاطاتها وفروعها في كل مكان وإلى مختلف أنحاء العالم، كما إنّها تهيمن وتسيطر على جزء مهم وكبير من عمليات الإنتاج والتمويل وتوزيع الدخل العالمي.

ثم إن هذا الدور مضافاً إلى أنه في الغالب ظاهر بارز، إلا أنه قد يكون أحياناً خفياً غير مباشر، ومستوراً غير ظاهر، مما يجعلنا نتمكن من الحديث عن مستوى اقتصادي عالمي، متميز بآلياته ومشكلاته، ومتشخص بتقلّبه وتطوره على المستويات المحلية والوطنية، وعندها تصبح النظرة للعالم باعتباره الوحدة الاقتصادية الأساسية والمحور للتطورات المستمرة.

وهذا من أسباب بروز العولمة الاقتصادية الغربية.

تداخل العولمتين: الاقتصادية والسياسية

مسألة: إن هناك روابط وثيقة بل تلازم واضح بين العولمتين: الاقتصادية والسياسية، فلا عولمة اقتصادية إلا ويلازمها عولمة سياسية، وقد ظهر هذا أيضاً مما سبق، ولكن حيث إن العولمة السياسية الغربية تساوي معنى الهيمنة السياسية، لذلك أدخلوا العولمة السياسية في العولمة الاقتصادية وأطّروها بإطارها، ولم يتعرضوا إلاّ لها، وجعلوها الواجهة للعولمة وطرحوها بين الناس، ومشى الناس عليها.

وكيف كان: فإن العولمة الاقتصادية أخذت أبعادها في الحال الحاضر بانتصار القوى الرأسمالية العالمية، وفوز العولمة السياسية بقيادة أمريكا، وسقوط الاتحاد السوفيتي والأنظمة الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية، مما جعل النظام الاقتصادي الاجتماعي الرأسمالي يستعيد هيمنته وانتشاره لكن في صورته الجديدة، المبتنية على اقتصاد السوق، وعلى الثورة المعلوماتية، وعلى دمج الاقتصاديات الوطنية بالسوق الرأسمالية العالمية، وخضوعها لمفاهيم السوق، ولغة المنافسة الاحتكارية، وذلك بإشراف مؤسسات العولمة الاقتصادية الثلاث التي هي عبارة عن: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، والمنظمة العالمية للتجارة وهذه الأخيرة هي خليفة الغات.

ثم إن ملامح العولمة السياسية المغلّفة بالعولمة في الاقتصاد تبدو من خلال المظاهر الآتية وعلى ما يلي:

١: الإقبال الشديد على التكتل الاقتصادي للاستفادة من التطورات التقنية المدهشة.

٢ : تعاظم دور الشركات متعددة الجنسيات وتنامي أرباحها، وأتساع أسواقها، وتزايد نفوذها في التجارة الدولية والعالمية.

٣ : تنامي دور المؤسسات المالية الدولية والعالمية في تصميم برامج الإصلاح الاقتصادي، وتعديل سياسات التثبيت أو التغيير الهيكلي في الدول النامية، وذلك من أجل التحول إلى اقتصاد السوق.

٤ : إثارة المشكلات الاقتصادية وتدويلها، مثل الفقر، ومثل الأمية، ومثل التلوث وحماية البيئة، والتوجه العالمي لمعالجة هذه المشكلات والتعاون في حلها جميعاً.

٥ : تزايد دور التقنيات والتغيرات السريعة في أسلوب الإنتاج ونوعية المنتج وتأثيرها على الاقتصاد العالمي.

٦ : شيوع ظاهرة القرية العالمية والأسرة الواحدة، وتقليص المسافات وتحجيمها نتيجة لتطور وسائل النقل والمواصلات، وكثرة الاحتكاك بين الشعوب والرعايا.

٧ : تقدّم وسائل الإعلام وتطوّرها، وتأثيرها الكبير على حياة الإنسان، في انتشار الحضارات والثقافات وتشابكها وتداخل بعضها مع البعض الآخر.

٨ : تفاقم دور الموجه الثالثة : المعلوماتية، والإدارة، والمراقبة من إدارة نظم المعلومات، وغير ذلك.

العولمة والنظام العالمي الجديد

مسألة: النظام العالمي الجديد الذي سبّب العولمة الغربية يترتب بالدرجة الأولى على: الأقطاب الاقتصادية، وبعد ذلك على الأقطاب المسلحة، كأوروبا الموحّدة التي كان إجمالي ناتجها القومي المتوسط قرابة خمسة آلاف مليار دولار في سنة ٢٠٠٠م، وحصتها من التجارة العالمية ثمانية عشر من عشرة ونفوسها ثلاثمائة واثنين وعشرين مليون نسمة، ووصلوا في نهاية القرن الحالي إلى أربعمائة مليون نسمة تقريبا.

هذا بالنسبة إلى أوروبا الموحّدة، وأما بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فإن إجمالي ناتجها القومي يعادل قرابة أربعة آلاف مليار من الدولارات، وحصتها سبعة عشر من عشرة من التجارة العالمية، ونفوسها ما يقرب من ثلاثمائة مليون نسمة.

ثم بعد ذلك يأتي دور اليابان، وإجمالي ناتجها القومي مائتا مليار دولار، وحصتها تسعة من عشرة من التجارة العالمية، ونفوسها مائة وثلاثون مليون نسمة، ومعنى ذلك: إن اليابان وألمانيا اللتين خسرتا الحرب العالمية الثانية ستكونان أقوى من أيّ وقتٍ مضى، حيث إنهما حسمتا ناتج الحرب الباردة لصالحهما، وبرزتا كقوتين اقتصاديتين وقوّتين تكنولوجيتين عظيمتين، خصوصاً وإنّ ألمانيا قد اتحد شطراها.

وبعد هذه البلدان الثلاثة يأتي دور الأقطاب الاقتصادية الإقليمية، وأبرزها دول جنوب شرق آسيا، والسوق المشتركة بينهم، وهي: كوريا الجنوبية وتايوان، وهونغ كونغ، وسنغافورة، وماليزيا، وتايلندا، وهي الدول المعروفة اليوم بدول

حوض الباسفيك، المطلّة على المحيط الهادي، وستشكل قوّة اقتصادية كبيرة في المستقبل غير البعيد، وذلك لأنها شهدت ارتفاعاً هائلاً في إجمالي ناتجها القومي، وإذا أضيف إليها اليابان فإن إجمالي ناتجها القومي سيحتل نسبة عشرين في العشرة من إجمالي ناتج العالم، بعد أن كانت النسبة لا تتجاوز ثمانية من عشرة في السبعينات، وستة عشر من عشرة في التسعينات.

أمّا الأقطاب السياسية الاقتصادية الإقليمية، وأبرزها في منطقة الشرق الأوسط هي الدول الإسلامية، بالنظر لوضعها السياسي الخاص الذي سيبقي ساخناً في المستقبل القريب على الأقل، وذلك على العكس من مناطق شرق آسيا ووسط جنوب أفريقيا وأمريكا اللاتينية، التي فرضت عليها أوضاع مستقرة إلى حدّ كبير، حيث إنها ستكيّف وضعها الداخلي، وعلاقاتها الخارجية وفقاً للمعادلة الاقتصادية للنظام العالمي، الأمر الذي يجعل وضعها السياسي مستقراً في الداخل، بعد أن تضطرّ ولو بنسبة إلى تبنّي نظم الديمقراطية الغربية، كما حصل في البرازيل، وهندوراس، وشيلي، التي استبدلت فيها الأنظمة العسكرية بأنظمة مدنيّة، ابتداءً من أواخر العام المنصرم، وسيكون القطب الأبرز في الشرق الأوسط هو: القوة الإسلامية التي تقودها بلاد إسلامية وتتمتع بامتدادات سياسية واسعة، وموارد اقتصادية هائلة، وقوّة عسكرية آخذة في التطور.

ولكن الدول الإسلامية إذا أرادت العزة والقوة فإنها ليست عند الغرب، بل ﴿لله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ولا تكون لهم العزة إلا بالرجوع إلى القوانين الإسلامية العالمية التي بينها القرآن الكريم وطبقها رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ

---

(١) سورة المنافقون: ٨.

عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لله جَمِيعاً﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[٢].

نعم إن ما ذكر من الحقائق الاقتصادية في هذه الدول، دفعت أمريكا إلى التعامل مع وحدات النظام العالمي الأخرى وفقاً لما تمليه عليها مصالحها في المستقبل، للمحافظة على موقعها وقطبيتها المركزية.

كما حاولت أمريكا إملاء شروطها السياسية والاقتصادية على اليابان وأوروبا الموحدة، وتوجيه حركتهم الاقتصادية قدر الإمكان وبالصورة التي لا تسمح لهما بتجاوزها مستقبلاً، وكان إحدى إجراءاتها في هذا المسار، إيجاد تكتّل اقتصادي كبير، بزعامة بلا منافس منها لأوروبا الموحدة باسم: رابطة دول شرق آسيا والباسفيك، وهي تضم كلاً من اليابان، وكوريا الجنوبية، ونيوزلندة، واستراليا، وكندا، ودول رابطة جنوب شرق آسيا، إضافةً إلى أمريكا.

وعلى مستوى المنطقة الإسلامية تحاول أمريكا ضمان موقعها وأهدافها في مستقبل النظام العالمي، وهو ما ظهر جليّاً خلال أزمة الكويت والأزمات الأخرى في المنطقة.

وأيضاً تحاول أمريكا فرض نظامها الإقليمي في المنطقة ومن خلال ما يسمّي بمحادثات السلام بشأن القضية الفلسطينية، إلى غير ذلك مما ينتهي أخيراً إلى عولمة البلاد في ظل النظام الاقتصادي الدولي بزعامة أمريكا، ومعنى ذلك: إن أمريكا هي المسيطرة على العالم في نظامها الجديد.

---

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

الاقتصاد الأمريكي بعد الحرب العالمية

ثمّ إنه لما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وسببت ما سببته من دمار، برز الاقتصاد الأمريكي على الساحة العالمية كقوة مهيمنة في الاقتصاد العالمي، وقال البعض بأنه: قد استعملت أمريكا موقعها الاقتصادي هذا بعد الحرب لإيجاد تحالف دولي سياسي واقتصادي على أساس مساعدة الدولتين المنكوبتين: ألمانيا واليابان وهي تحاول إحداث تطور سريع في النمو الاقتصادي لشرق وجنوب شرق آسيا، وفي أوروبا الغربية، وذلك لمواجهة التهديدات الناجمة من الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي في البلاد السوفيتية والصينية، وقد ظهرت مستويات ممتازة من النمو الاقتصادي منذ الخمسينات في تلك المناطق، غير أنه قابلتها مستويات لابأس بها أيضاً من النمو الاقتصادي الشيوعي والاشتراكي في الاتحاد السوفيتي والصين أيضاً.

ولكن مع بداية تقهقر المد الاقتصادي الشيوعي والاشتراكي في الاتحاد السوفيتي والصين عند أواخر الستينات، بدء زحف اقتصادي جديد وأخذ ينتشر بسرعة في شرق وجنوب آسيا على شكل سلع تجارية تصديرية في نوعية ممتازة، وأسعار رخيصة، وطفقت تغطي السوق الأمريكية، وتنذر بإحداث عجز أكيد في الميزانية التجارية الأمريكية، وأخذت أمريكا تزداد مشكلة وبصورة خاصة عند ارتفاع اسعار النفط أوائل السبعينات، وعند التحول من اقتصاد صناعي إلى اقتصاد تقني خدماتي يعتمد على الإعلام والمعلومات وما أشبه ذلك.

هذا ولكن أمريكا صمدت تجاه المشاكل والصعوبات التي واجهت اقتصادها في السبعينات والثمانينات، واستطاعت أن تجبر ولو بنسبة ما حصل في ميزانيتها

التجارية من عجز، وأن تحقق إعادة بنيان اقتصادها، بل وتمكنت أن تستعيد في أوائل التسعينات المبادرة في القوة الاقتصادية وأن تسترجع بذلك مكانتها.

نعم في الوقت الذي ظلت أوروبا الغربية تقارع ارتفاع كلفة الإنتاج فيها وتحاربه، وتعاني من ارتفاع نسبة البطالة وعوائق أخرى وتئن منه، وفي الظرف الذي بقيت اليابان رابضة في ركود اقتصادي منذ بداية التسعينات، قامت أمريكا وبكل إمكاناتها لتستعيد تفوّق حصتها في الأسواق العالمية بالنسبة إلى صناعتي السيارات والكومبيوتر وغير ذلك، وبالفعل استطاعت أن تسترجع موقعها الاقتصادي وتؤكد على أنها أكبر سوق، وأكبر دولة مصدرة في العالم، فإنّها بتفوقها في الأبحاث العلمية في حقل التقنية العالية، وبإنفاقها من أجل تطور تقنياتها قد رفعت نفسها إلى موقع جيد وموضع ممتاز، يمنحها قدرة الاستمرار في السيطرة على الأسواق العالمية لصناعات الطائرات والسيارات، ولشبكة الارتباطات والاتصالات العالمية: الانترنيت وبرامج الحاسوب في مطلع القرن الجديد.

ولقد قال أحد المطلعين الأمريكيين مصرحاً:

نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، العولمة هي الأمركة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق، إن صندوق النقد الدولي قطة أليفة بالمقارنة مع العولمة.

وهذا تصريح خبير منهم في مجال العولمة التي وقفت وراءها وبكل جدية أمريكا، وتريد تحقيقها على كل أقطار الأرض.

فاللازم على العلماء والمثقفين الإسلاميين طرح العولمة الإسلامية، فإنها مطابقة للفطرة الإنسانية وخالية من مساوئ العولمة الغربية وتأخذ بأيدي الجميع إلى السلام والرفاه والأمن والتقدم.

العولمة الغربية بالمفهوم المعاصر

لا يخفى إن العولمة الغربية باللغة العصرية وبالمفهوم المعاصر أصبح بمعنى الأمركة، وهي تعني سيطرة الغرب وهيمنتها، والتحكم والتلاعب بالسياسة والاقتصاد، وفي مختلف البلاد والعباد، بل قد أخذت تمتد وتمتد لتطال ثقافات الشعوب بأجمعها، وتنال من الهوية الوطنية بأسرها، إنها طفقت تسعى جادة إلى تعميم أنموذج من السير والسلوك، وأنماط من الأخلاق والآداب، وأساليب من العيش والتدبير، تتوافق مع الثقافة الغربية، وتنسجم مع ميول المستعمرين، لتغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، وهذا لا يخلو من توجه استعماري جديد، في احتلال العقل والتفكير، وتسيير العقل والعواطف بعد الاحتلال وفق أهداف الغازي ومصالحه الشخصية، وقد أشار الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب، إلى ذلك وأكّد عليه حين قال في أجواء الاحتفال بالنصر ومناخ الاحتشاد من أجل الظفر في حرب الخليج الثانية: إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي.

هذا مع أنها ليست هي القيم المثلى، ولا الأنماط العليا، وإنما القيم المثلى هي قيم الإسلام، والأنماط العليا هي الأنماط الإسلامية التي رسمها القرآن الكريم ورسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﴿ع﴾ في العيش والسلوك الإسلامي.

ثقافة العولمة الغربية

مسألة: إن العولمة الغربية تشتمل على أهداف غير إنسانية، وغير أخلاقية، فأنها تفكر مضافاً إلى الربح المادي ولو على حساب الآخرين، في الغزو الفكري والثقافي وما أشبه ذلك.

علماً بأن الخطر الواقعي للعولمة إنما يكون مخفياً في جانب ثقافة العولمة، فإن خطره يكون أكثر من بقية جوانب العولمة، لانطواء العولمة على الترويج لخمس ثورات أساسية، لا تخلو من تأثير كبير على حياة الناس جميعاً، وهذه الثورات الخمس هي عبارة عما يلي:

١: الثورة الفكرية الثقافية المروجة لفكرة المادية البحتة الخالية من الأخلاق والمعنويات، والداعية لثقافة الاستيراد والاستهلاك والمشجعة على فكرة: أن ينتج الآخرون ونحن نستريح ونستفيد.

٢: الثورة الديمقراطية السياسية، الداعية إلى الانفتاح على ثقافة العولمة بما فيها من سلبيات.

٣: الثورة التقنية الثالثة، السريعة التغيير في أسلوب الإنتاج ونوعية المنتجات، أو ما بعد الثالثة مثلاً، من دون ملاحظة الأخلاقيات فيها.

٤: ثورة التكتلات الاقتصادية للاستفادة من التطورات التقنية الهائلة وبصورة خاصة العملاقة منها، للتحصيل على الربح الأكثر.

٥: ثورة اقتصاد السوق، وحرية التبادل التجاري، ورفع الحواجز الحدودية، ومنع الرسوم الجمركية وما أشبه ذلك.

والنظام العالمي المسمى بالعولمة يُبنى على ما ينجم من هذه الثورات

الخمس، ويعتمد الاقتصاد في هذا النظام على استثمار الوقت بأقل تكلفة، وعن طريق تحويل المعرفة الجديدة وتبديلها إلى سلع أو خدمات جديدة، أو استخدامها في التنويع السريع، والتحسين المستمر في المنتجات، والاستفادة منها في جودة التصنيع، وعرضها الجيد على الأسواق، وذلك بطريقة فعالة ومتواصلة، ودائمة ومستمرة.

العولمة الغربية والتنمية الاقتصادية

مسألة: إنّ التنمية الاقتصادية في العولمة الغربية ليس المهم لديها التغيير من وضع سيئ مأساوي إلى وضع أفضل وأجمل، وإنما المهم في قاموسها هو: تحصيل الربح الأكثر من أي طريق كان، مضافاً إلى ما سوف يستغرقه هذا التغيير من الوقت في أنّه مثلاً كيف تحدث العولمة؟ وبأي طريق سوف يتم حدوثها واستمرارها؟ وبواسطة أي الطرق والأساليب يمكن إسراع حركة البضائع والخدمات، وانتقال رأس المال والأفراد، وتنشيط المعلومات والأفكار، وتحريك الرموز والاتجاهات، وتشجيع أنماط السيرة ونماذج السلوك عبر الحدود؟.

وحسب بعض الإحصاءات: هناك ٢٠٪ من دول العالم هي أكثر الدول ثراء، وتستحوذ على ٦ , ٨٤٪ بالمائة من الناتج الإجمالي للعالم، وعلى ٢ , ٨٤٪ من التجارة الدولية، ويمتلك سكانها ٥ , ٨٥٪ من مجموع مدخرات العالم، وإنطلاقاً من عام ١٩٦٠ تضاعفت الهوة بين تلك الدول التي تعتبر من أغنى الدول، والدول التي تعتبر من أفقر دول العالم.

ثم إنه ما هو دور الشركات متعددة الجنسيات بالنسبة إلى كل ذلك، وما أشبه هذه الأمور المذكورة؟

قال بعض الخبراء المعنيين في هذا المجال:

إنّ عملية الانتشار يمكن أن تتحقق عبر طرق أربع ، يرتبط بعضها ببعض ، ويتداخل شيء في شيء ، وهي كالتالي :

١ : عبر التفاعل الحواري الثنائي الاتجاه ومن خلال تقانة الاتصال والارتباط .

٢ : عبر الاتصال المونولوجي أحادي الاتجاه وعن طريق الطبقة المتوسطة المقتصدة .

٣ : عبر المنافسة والمحاكاة والإبداع وما أشبه ذلك .

٤ : عبر تماثل المؤسسات وتشابهها .

ولم يذكر هذا الخبير عما للشركات متعددة الجنسيات من دور رئيسي في تنشيط عمليات الحركة والانتقال ، بالنسبة إلى البضائع والخدمات ورأس المال بصورة خاصة ، وبالنسبة إلى المعلومات والأفكار ، والرموز والاتجاهات وما أشبه بصورة عامة ، فإنها تعتبر من أهم عناصر الانتقالات الكونية والعالمية .

من أدوات العولمة الغربية

مسألة: إنّ الشركات متعددة الجنسيات تعتبر اليوم من أهم الأدوات التي تستخدمها الرأسمالية الغربية وخاصة الأمريكية، وتوظّفها في دفع الاقتصاد العالمي باتجاه العولمة، وذلك للعوامل التالية:

١: الشيوع الواسع والانتشار السريع للشركات متعددة الجنسيات، فلقد بلغ عددها إلى ما يقرب من أربعين ألف شركة، يطال نشاطها جميع المجالات، ويمتد إلى كل القارات الخمس وحتى المحيطات الستة، وقد بلغت واردات إحدى هذه الشركات متعددة الجنسيات من بين خمسمائة شركة تعدّ هي أكبرها، وذلك في العقد الأخير من القرن العشرين نحو: أحد عشر الف مليار دولار، ويكون نسبة هذا من الناتج المحلي العالمي الذي بلغ قرابة ثلاثة وعشرين ألف مليار دولار ٤٤٪، كانت حصة الوطن العربي منه قرابة ستمائة مليار دولار، وحصة الشركات متعددة الجنسيات حوالي ثلثي التجارة الدولية في مجال السلع والخدمات وغير ذلك، وثلث الاستثمارات الأجنبية المباشرة وما أشبه ذلك على ما قالوا[1].

٢: نهوض الشركات متعددة الجنسيات وقيامها بدور مهم في تدويل المنتجات والخدمات، والتجارة والاستثمارات، مما قد أدى وبكل قوة إلى سيادة أنماط عالمية في ميدان الاستثمار والاستهلاك، والتصدير والتسويق، والإعلان

(١) وتظهر البيانات الدولية أن الشركات متعددة الجنسيات قد زادت عددا من ١١٠٠٠ شركة تتحكم بـ ٨٢٠٠٠ شركة فرعية وتزيد مساهمتها على ٢٥٪ من حجم التجارة العالمية عام ١٩٧٥م إلى ٣٧٥٠٠ شركة تتحكم بـ ٢٠٧٠٠٠ شركة فرعية وتتعامل بأكثر من حجم التجارة العالمية عام ١٩٩٠م.

والدعاية، وما أشبه ذلك من مثل الإنتاج، وما يرتبط بالإنتاج من علاقاته ومالكية وسائله وكيفيات ذلك.

٣: انسلاخ النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي عن المواقف المشرفة، وعن المشاعر والعواطف الإنسانية، كلما تصادم حق الإنسانية مع حيوية الاقتصاد، وذلك لأن العولمة تواكب غالباً زيادة الدخل عند مالكي وسائل الإنتاج، وترافق عادة ارتفاع قيمة أسهم الشركات متعددة الجنسيات، وكذلك تصحب نوعاً ارتفاع نسبة المتقاعدين عن العمل في هذه الشركات، وهذه الأمور وأمثالها تتنافى مع حق الإنسان لأنها تهضم حقه ولا توفّيه ما يستحقه، ولأن فيها تكديس المال لأرباب هذه الشركات، وتقليله عند العاملين والمستهلكين، ويدل عليه الواقع الخارجي لمسألة العمال في هذه الشركات، إذ قد فصل عن العمل في المؤسسات الأمريكية ما يقارب من خمسين مليون عامل في مدة لا تتجاوز عن العشرين عاماً فقط(١).

أجل إن الشركات متعددة الجنسيات، أصبحت اليوم تتحكم بعصب السياسة الرئيسي، ألا وهو الاقتصاد، وتتلاعب به وبمقدرات الإنسان، بل بمقدرات الأمم والشعوب، وبالتالي بمقدرات كل العالم كيف تشاء، وبما تشاء، وتسعى بحثاً عن الأسواق، وعن المواد الخام، وعن كل ما يرتبط بنمو أرباحها وعائداتها، حتى إذا كان بما يعرق له جبين الانسانية، ويندى له وجه التاريخ.

(١) فهذه الشركات التي تسيطر على ٩٥٪ من التجارة العالمية لم تستخدم أكثر من ٣,٥ من أبناء الجنس البشري في التشغيل.

إسرائيل إحدى أدوات العولمة الغربية

ومن الواضح إن إسرائيل إحدى أدوات العولمة الغربية المتوخاة لدى الأمريكان، ولهذا أخذ الأمريكيون يدعمون إسرائيل بأكبر قوّة عسكرية وسياسية واقتصادية وإعلامية في الشرق الأوسط، متحدّين بذلك جميع البلاد العربية والإسلامية، ولكن لا ينفع إسرائيل كل ذلك، كما لا يمكن دفع إسرائيل إلاّ بالمقابلة السلميّة والاحتجاجات المنطقية والدبلوماسيات القوية وما أشبه، وذلك بعد أن تتوحد الأمة الإسلامية وتأخذ بالقوانين الإسلامية المنسية من الأخوة والتعددية والحرية والشورى وما أشبه، قال سبحانه: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن إلاّ الذين ظلموا منهم**﴾[1].

فالمقابلة بالبندقية، أو برمي الحجارة، من دون التصدي السياسي والإعلامي والدبلوماسي المناسب، لا تفيد شيئاً إلا إعطاء الذريعة للإسرائيليين الصهاينة بضرب الفلسطينيين وقصفهم قصفاً عشوائياً بلا رحمة ولا هوادة.

وقد بثّت صفحات التلفزيون صوراً التقطتها الأقمار الصناعية عن بعض ما يفعله الإسرائيليون في مقابلة من يرميهم بالحجارة من الفلسطينيين أصحاب الأرض، وأنهم كيف يرمونهم بوابل من الرصاص، وإذا عثروا على أحدهم كسروا يده، وذلك بوضعها على مصطبة والضرب بساطور خشبي على يده بكل قساوة، حتى تتكسر وتتهشم عظامها ولا يستطيع بعدها حمل السلاح ولا رمي الحجارة.

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

الغرب وتآمره على المسلمين

أجل إنه بالإضافة إلى كل تلك المساوئ التي احتوت عليه العولمة الغربية، سواء الاقتصادية أم السياسية أو الثقافية، فقد بقي المستعمرون يحيكون على طول الخط المؤامرات ضد المسلمين مطلقاً، وضد بلادهم ومنطقتهم خصوصاً، ولذلك زرعوا إسرائيل في منطقتهم وفي وسط بلادهم، كبؤرة للفتنة والفساد، ومركز للمؤامرات والمخابرات، وقد صرّح أحد الرؤساء الأمريكيين قائلاً:

إن لأمريكا مصلحة خاصة ليس في إسرائيل فقط، بل في التعاون المشترك بين بلدينا في المنطقة، وأضاف قائلاً: ونحن نتفهم ونؤيد بحزم حاجة إسرائيل إلى الاحتفاظ بالتفوق العسكري النوعي على خصومها العرب، ولذلك ساعدوا إسرائيل مادياً وفنياً في أن تتفوّق عسكرياً على كل المسلمين العرب في المنطقة، فهي تملك قنابل ذريّة ونووية، وصواريخ بعيدة المدى، وأسلحة الدمار الشامل، وغير ذلك مما لم يملكه أحد من المسلمين العرب في الدول المجاورة.

وفي كلام آخر قاله الرئيس الأمريكي: إنّه يلزم إقامة لجنة أمريكية إسرائيلية مشتركة في ميدان التقنيات وصنائع القرن الحادي والعشرين.

ومن الواضح إنّ ذلك يكون على حساب المسلمين.

هذا مضافاً إلى ما تقوم به الولايات المتحدة من مناورات عسكرية مشتركة مع إسرائيل، وما تقدمه من أسلحة متطورة لها، وفنون عسكرية إلى جيشها، وما تمنحها من مليارات الدولارات مساعدة مالية من دون عوض وبلا مقابل، وما تدعمها به من الوقوف إلى جنبها، وتأييد إرهابها وحرب الإبادة الجماعية التي شنّتها ضد الفلسطينيين، وعضدها في سياسة الأرض المحروقة التي اتبعتها في

أراضيهم، واستخدام حقّ الفيتو في صالحها، كل ذلك والمسلمون لازالوا يحتفظون بنزاعاتهم الداخلية، ومصالحة بعضهم مع إسرائيل متناسين قوله تعالى:

﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنّه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ۞ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾[1].

(١) سورة المائدة: ٥١-٥٢.

المرأة في العولمة الغربية

مسألة: العولمة الغربية، حطّت من شأن المرأة، وأسقطت قدرها، وجعلتها جسداً مادياً بحتاً، ودمية شهوانية محضاً، يستغلها أصحاب المتاجر والمعارض، في الإعلانات وفي دور عرض الأزياء، ويستثمرها أصحاب الأغراض والأطماع في مسابقات الجمال، وفي أفلام المسارح والسينما، وغير ذلك مما أنزل الغرب وجعله غير صالح لقيادة العالم في مقابل القيادة الإسلامية الواقعية العادلة.

والإحصاءات العالمية تبين مدى الاستهانة بالمرأة وسوقها إلى مستويات منحطة في ظل العولمة الغربية:

قالوا: إن لندن تعتبر من أكثر المدن الأوروبية التي تتعرض النساء فيها إلى العنف الجنسي الذي تصل نسبته إلى ٢٤ اعتداءً لكل مائة ألف شخص، وهي متقدمة على باريس ونسبتها عشرون، وبرلين ونسبتها ٦ , ١٣، وروما ونسبتها ٣ , ٦.

وفي أمريكا تصل إلى أمريكية واحدة من بين سبع أمريكيات قد تعرضت للاغتصاب أو التحرش في إحدى مراحل الحياة.

وإن مجموع الإيطاليات اللواتي تعرضن لعمليات تحرش ومضايقة جنسية يصل إلى تسعة ملايين إيطالية.

وفي خلال الثمانينات عرفت تجارة الجنس في أوروبا تطوراً وانتشاراً خطيراً، حيث أصبحت النساء مواد للتفاوض والاستثمار في صناعة بلا حدود، فقدرت الشرطة عدد بنات الليل في بلجيكا لعام ١٩٨٠ بأربعة عشر ألف امرأة، ويقدر عدد البغايا في هولندا بعشرين ألف امرأة.

كما تفيد أرقام منظمة الصحة العالمية إلى أن خمسمائة ألف امرأة قد وصلن إلى دول الاتحاد الأوروبي في نهاية ١٩٩٥م عبر المتاجرة بهن، وقدر المسؤولون الأمريكيون في مؤتمر (بكين ٥) عدد تلك النساء اللواتي دخلن إلى الولايات المتحدة بخمسين ألف امرأة[1].

---

(١) ويذكر (كريس دي ستووب) في كتابه (تجارة النساء في أوروبا): في الوقت الحالي تعد إيطاليا إحدى اكثر الدول المتأثرة بالدعارة، حيث تذرع العاهرات الإفريقيات والمخنثون البرازيليون الشوارع المحيطة بروما وتيران وبولون وفلورانس وبادم.. وهناك اكثر من تسعة آلاف عاهرة سوداء قدمن على الاخص من نيجيريا، لقد أتوا دون توقف منذ منتصف الثمانينات حينما انهار الاقتصاد النيجري، إن ٩٠٪ من الفيز الممنوحة من السفارة الإيطالية بنيجيريا هي لفتيات تتراوح أعمارهن بين ١٨ و٣٠ عاما، كما تملك إيطاليا شبكة كبيرة من نوادي الجنس وراقصات التعري، ولكن العاهرات النيجيريات يمثلن الشكل الأسوأ: فقد كن يقتلن ويعذبن ويغتصبن كل أسبوع، كما اكتشفت جثة مومس مقتولة بطعنة سكين تحت جسر في لنزا، واكتشف قبر فيه جثث خمس نيجيريات في نابولي، كما اكتشف في تورين جثث أربع فتيات مخنوقات ومرميات في بئر.. وقامت المومسات البيض في ربيع ١٩٩٢م في بيلا شمال تورين باحتجاج ضد أسعار السوداوات المنخفضة، إن بعض العاهرات واقعات تحت نير الديون وإذا قمن بخرق الاتفاق فإنهن يتعرضن للضرب الوحشي أو الإهانات الشديدة بحسب الطريقة المتبعة، ولكن المافيا الإيطالية تدخل أيضا في هذه التجارة التي تقدر عائداتها بالمليارات، وحسب بعض التقديرات فان هذه التجارة تجلب ما يقلوب مليار فرنك فرنسي سنويا، ان ممارسة الدعارة في إيطاليا لا تعد جريمة ولكنها بالطبع ممنوعة على المهاجرات غير الرسميات.

وفي إسبانيا كما في إيطاليا، ثمة عشرات الآلاف من الفيليبينيات اللواتي قدمن إلى البلاد كخادمات أو للعمل مقابل إقامتهن وطعامهن فقط، واللواتي يعشن بشكل مزر وبرواتب زهيدة، وقد تم مؤخرا استبدالهن بالدومينيكانيات اللواتي يتقن اللغة الإسبانية، ويمكن اليوم رؤية المئات منهن في منطقة مونكلو وغيرها، وقد تم تدمير منزل تعيش فيه ثمانون امرأة منهن بسبب شكاوي الجيران. والتوافد الحالي والمتزايد للدومينيكانيات الى البلاد يعود إلى وجود نواد للجنس حتى في اصغر القرى الإسبانية، ويقدر عدد العاهرات في هذا البلد بحوالي خمسمائة ألف امرأة! وفي عام ١٩٩٢م تم الكشف عن عصابة ترغم الغواتيماليات على الدعارة في ملاهي برشلونة.

←

العولمة الغربية وسلبياتها

مسألة: إن من أهم ما يميز نظام العولمة الغربية: تحكيم النظام الاقتصادي الأمريكي الرأسمالي الغربي في العالم، وهذا النظام تحكمه سلبيات كثيرة أهمها

← وفي باريس يمكن مشاهدة العاهرات يذرعن شارع سان دنيس و المخنثين القادمين من جنوب أمريكا وهم متوزعون في غابة بولونيا، بينما أصبحت منطقة البيجال مملوءة بالسوداوات اكثر فاكثر. كما يقبض (مركز مكافحة الاتجار بالجنس البشري) في فرنسا كل عام على ١٥٠٠ شخص من المتورطين في هذه التجارة و٢٥٪ منهم من النساء، فان الدعارة بحد ذاتها في فرنسا غير ممنوعة، ولكن كل من يستغل أو يشغل امرأة لحسابه يلاحقه القانون ويتعرض للعقوبة. كما تشكل فرنسا أحيانا محطة ترانزيت لفتيات جنوب أمريكا وإسبانيا والبرتغال، حيث يدربن ويرسلن لاحقا إلى بلجيكا ولوكسمبورغ وهولندا، فغالبا ما يستعمل تجار النساء في غانا، فرنسا مركزا أوليا لنقل نسائهم إلى أوروبا.

أما سويسرا فتدعى (جنة فتيات الملاهي) التي تقدم رقص التعري... وهن غالبا آتيات من جمهورية الدومينيكان والبرازيل وتايلند، مع أن الأيدي العاملة الأجنبية غير مسموح لها بالدخول للبلاد إلا إذا كانت من أمريكا الشمالية أو كندا أو أوروبا، ولكن هنالك استثناء للعاملات في الكاباريهات وتعطيهن الدولة إذن العمل الصالح لمدة ثمانية اشهر في السنة، وإذا استمرت الواحدة منهن بالعمل مدة سنتين متواصلتين فإنها تحصل على إذن جديد لثمانية عشر شهرا.. وهنالك حوالي ٨٠٠ فتاة ملهى بشكل دائم في سويسرا، وبالإضافة إلى هؤلاء النسوة هناك الكثير من المقيمات بشكل غير شرعي ممن يعملن في تجارة الجنس المنظمة والتي تدر للدولة سنويا ما يقارب ٢ الى٣ مليون فرنك سويسري...

ان قمة الدعارة في اوروبا هي في ريبرباهن في هامبورغ، حيث يبلغ عدد التايلنديات العاملات في الكاباريهات وبيوت الهوى المئات.

وفي فرانكفورت تصارع منظمة آجسترا منذ عام ١٩٨٣ تجارة النساء، ويقع مكتبها في المنطقة التي تعد مملكة العاهرات، حيث تقف التايلنديات والكولومبيات على باب عمارة فيها مئات الشقق المخصصة (كبيوت هوى) لجلب الزبائن وهن يصفرن ويصطدن الرجال الذين يأتون ليختاروا إحداهن، ويتراوحون بين الشباب الصغار إلى رجال الأعمال. فان هناك في ألمانيا بحدود ٢٠٠ إلى ٤٠٠ ألف مومس.

كما قدرت الشرطة عدد بنات الليل في بلجيكا لعام ١٩٨٠م بأربعة عشر ألف امرأة!.

كالتالي:

١: يحكم هذا النظام قانون تضخيم الأرباح ولو على حساب أرواح جياع الملايين من الناس.

٢: ويحكمه أيضاً نزعة الشركات متعددة الجنسيات، ونزعة الشركات المحلية منها أيضاً.

وهنا وقبل الانتقال إلى المميزات الأخرى لا بأس بالإشارة إلى أنه لا يختلف كلا النظامين: الاشتراكي والرأسمالي، اختلافاً جوهرياً بالنسبة إلى مسألة تحكيم النظام الاقتصادي في العالم ومساوئه، وإن كان هناك اختلاف في بعض المسائل، فإن هذه الأنظمة تفضل المصلحة الشخصية سواء مصلحة الفرد أو الجهة الحاكمة على المصلحة العامة للعمال والمستخدمين وسائر الناس.

لكن يفترق النظام الاقتصادي الإسلامي عن هذين النظامين الاشتراكي والرأسمالي في مسألة عدم الإضرار بالآخرين وعدم المراباة وما أشبه، وهذه من مفاخر النظام الاقتصادي في الإسلام.

٣: ويحكم هذا النظام الجديد أو عولمة النظام الأمريكي أيضاً: العلمانية التي لا تخضع للشرائع الإلهية، ولا تلتزم بأحكام دينية، فالدراسات الاقتصادية أو التجارية، وكذلك الإحصائية والاجتماعية هي التي تحكم العولمة الغربية وترسم لها خطوطها العريضة والعامة حتى وان كان فيها ضرر على مجموعات كبيرة من الناس.

وبعبارة أخرى: إن نظريات العلماء وآراء المتخصصين الذين يبحثون على الربح الأكثر من أي طريق حصل، هو الذي يحكم النظام الجديد الغربي، وليس الفقهاء ومراجع الدين والشرائع السماوية.

وكيف كان: فيمكن القول بأن العولمة الغربية لم تأت بشيء جديد، إذ

الخطوط العريضة للاقتصاد العالمي الحديث، أو التجارة العالمية الجديدة، واضحة المعالم لدى الاقتصاديين المتخصصين منذ أمد بعيد، غير أنه ومن خلال الصراع الأمريكي مع أقطاب العالم في الآونة الأخيرة الدائر حول عولمة الاقتصاد، تبلور الاقتصاد الجديد أكثر من ذي قبل لدى الكثير من الكتّاب والصحفيين.

مثلاً: صراع أمريكا مع اليابان وذلك حول ميزان المدفوعات، وتصدير السلع، وما أشبه ذلك.

وصراعها مع أمريكا الجنوبية حول محاربة الكوكائين والهيروئين وتجار المخدرات وما أشبه ذلك.

وصراعها مع فرنسا حول الشرق الأوسط وأفريقيا والجزائر وحول الوضع في العراق، وغير ذلك.

وصراعها مع أوروبا حول الاستثمارات والمواد الغذائية وما أشبه ذلك.

وصراعها مع الصين حول التجارة الخارجية، وغير ذلك.

من نتائج العولمة الغربية

مسألة: إن من نتائج العولمة الغربية شيوع المحرمات، من تعاطي الخمرة، والسكر المتزايد، وانتشار أنواع المخدرات انتشاراً هائلاً، وازدياد أعداد المدمنين ازدياداً كبيراً، وكثرة استعمال السلاح، وقتل بعضهم البعض، وتردّي الأخلاق، وهبوط القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية، وسقوط كرامة الإنسان، وافتقاد عزه وشخصيته، وتفوق الماديات على القيم والمعنويات في كل الأمور، وهذا يوجب تبديل حياة المجتمع إلى حياة الغاب، وأمنه إلى الخوف، ودعته إلى القلق، وسكونه إلى الاضطراب، وسعادته إلى الشقاء، وجنته إلى الجحيم والنار، وهذا ما نجد مقدماته في مجتمعاتنا، وممهداته في أوساطنا، وآثاره في مناطقنا وبلادنا.

مضافاً إلى ذلك كله، مرافقة هذا الوضع المنذر بالدمار مع القوانين الظالمة والدساتير الجائرة التي أخذت تزداد وتتوسع في البلاد وبين العباد، ومع ما ذكره المحققون من النتائج السيئة للعولمة الغربية، وما هي من الواقع ببعيد، بل هي نتيجة تلك الأمور وآثارها التي تقتضيه القواعد العلمية والتجريبية لها، إذ التوغل في الماديات تسلب راحة الإنسان وتفقده سعادته، فاللازم السعي لنشر ثقافة العولمة الإسلامية التي تجمع بين الماديات والمعنويات، وبين سعادة الدنيا والآخرة، وتبتني على أسس وقواعد فطرية شرعية، مثل قانون ﴿**فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٩.

من سيئات العولمة الغربية

مسألة: هناك سيئات للعولمة الغربية ينبغي الالتفات إليها، فإن هناك تحت نظام العولمة الغربية في هذا اليوم، ما يقرب من ثلاثة مليارات ونصف المليار من سكان العالم لا يحصل إلا على ٦٪ فقط من الدخل العالمي، فيما يحصل المليارات ونصف المليار الآخر على ٩٤٪ من الدخل العالمي، أي: إنّ أغلبية سكان العالم يعيشون بأقل من دولارين في اليوم الواحد، فيما ينعم الأغنياء من سكان أمريكا وكندا وأوروبا الغربية واليابان واستراليا على الدخل الأول، والحياة الأكثر راحةً، كما ذكرت ذلك بعض الجرائد العربية[١].

هذا بالإضافة إلى أنّ ملياراً كاملاً من البشر، لا يحصلون في اليوم الواحد الاّ على دولار أو أقل من دولار، وبعضهم يموتون جوعاً، ففي تقرير رسمي:

إن أربعين ألفاً يموتون يومياً نتيجة الجوع والمرض.

وإن ما يقرب من مليار إنسان يعانون من سوء التغذية.

وإن حوالي مليار ونصف المليار إنسان من دون مياه صالحة للشرب.

وإن مليار إنسان عاطل عن العمل.

وإن ثلاثمائة وخمسين ألف طفل يموت يومياً في أنحاء العالم.

بينما يُقدر ما تسيطر عليه شركات السلاح وأسواق المخدرات من المال مبلغاً قدره ٩٠٪ من الاقتصاد العالمي.

وهذا التوزيع غير العادل الذي يكون على حساب الآخرين وسلب حقوقهم هو التوزيع الذي يخالفه الإسلام مخالفةً كبيرة، ويحاربه أشد محاربة،

(١) انظر: الرأي العام الكويتية.

حتى إنه ورد في حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة»[١].

وورد عنه صلى الله عليه وآله ايضاً: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من أفضل الأعمال عند الله إبراد الكباد الحارة، وإشباع الكباد الجائعة، والذي نفس محمد بيده لايؤمن بي عبد يبيت شبعاناً وأخوه أو قال جاره المسلم جائع»[٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ليس بالمؤمن الذي يشبع وجاره إلى جنبه جائع»[٤].

وفي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله عثمان بن حنيف: «أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد»[٥]

وعن فرات بن أحنف قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «من بات شبعان وبحضرته مؤمن جائع طاو قال الله عز وجل: يا ملائكتي أشهدكم على هذا العبد أنني أمرته فعصاني وأطاع غيري وكلته إلى عمله وعزتي وجلالي لا غفرت له أبداً»[٦].

إلى غير ذلك من الروايات التي تبين حق الجوار وتهدد كل من لا يهتم بالفقراء والجائعين بالعقاب والعذاب.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٦٨ باب حق الجوار ح١٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٢٩ ب٨٨ ح١٥٨٤٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٣٢٧ ب٤٤ ح٣٠٦٧٦.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٩ ب٧٤ ح٩٨٩٦.

(٥) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف وكان عامله على البصرة.

(٦) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٨٧ ب٢٣ ح١١.

العولمة الغربية ناقصة

مسألة: العولمة الغربية ناقصة وقد فقدت واقعيتها وتأثيرها المطلوب بسبب ذلك، فهي بالإضافة إلى ما فيها من سوءات وسيئات، لم تستوعب جميع الميادين، ومثلها لا يتمكن من الاستقامة فضلاً عن البقاء والدوام، وذلك لأن العولمة الغربية راحت تهتمّ بناحية الجسد فقط: عيناً وأُذناً، ولساناً وأنفاً، ويداً ورجلاً، وبطناً وفرجاً، وتعتني بالقضايا الخيالية والوهمية: من حب الجاه والمقام، والرئاسة والإمارة، وما أشبه ذلك، وتهمل ناحية الروح مطلقاً، فلا مكان فيها للاعتقاد بالله تعالى ورجاء ثوابه، كما لا مكان فيها لليوم الآخر وانتظار حسابه وجزائه، وكذا لا مكان فيها للفضائل الروحية، والمحاسن الخُلقية وما أشبه ذلك من قيم ومُثل.

وعليه: فالعولمة الغربية مولود ناقص، ومن نواقصها أنها تهتمّ فقط بالبلاد الغربية وعلى رأسها أمريكا، ولاتهتم بالعالم الثالث والدول الفقيرة اطلاقاً، بل تسعى للسيطرة عليهم وكسب الأرباح الأكثر عبرهم، ولذا نجد آلاف الناس يموتون جوعاً، وآلاف الناس لا يشبعون من الخبز، وآلاف الناس تطحنهم رحى الحروب، وتقضي على حياتهم حروب الإبادة الجماعية، كحرب الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك، والروس ضد مسلمي الشيشان، والصهاينة ضد مسلمي فلسطين، والأمريكان ضد مسلمي الأفغان، وغيرها من الحروب التي تلتهم حياة الإنسان المسلم بأسامي مختلفة، والسبب هي: المادية والنفعية التي تبتغيها الدول الغربية على الأغلب، حيث إنهم يصنعون السلاح المدمّر، ويبيعونه بأغلى الأثمان، ويسترجعون به ما دفعوه من ثمن البترول، ويختبرون قدرته

الأدائية على رؤوس المسلمين وشعوب العالم الثالث، ويسحقون عبره كرامة الإنسان وحقوقه.

وأمّا المنظمات الدولية: كمنظمة حقوق الإنسان، وهيئة الأمم المتحدة، وما أشبه ذلك، والقوانين التّي قنّنت فيها لمطالبة حقوق الإنسان وحمايته، فهي عادة لا تتجاوز عالم الألفاظ، إذ لا ضمان لها ولا لتطبيقها في عالم الواقع والمجال العملي الخارجي إلا نادراً، مضافاً إلى أنها تراعي عادة مصالح الدول الكبرى لا مصلحة الإنسان بما هو إنسان.

الحدّ من انتقال القوة العاملة

مسألة: من نواقص العولمة المعاصرة بعدما حققت العديد من جوانبها التطبيقية في مختلف المجالات، هو ما يتعلق بانتقال قوة العمل، والايدي العاملة، فإن المراكز الرأسمالية والمؤسسات المالية الدولية التابعة لها، بينما تراها تمارس مختلف أنواع الضغوط لتأمين حرية انتقال السلع والخدمات والرساميل، تراها في نفس الوقت تضع مختلف القيود والعراقيل لمنع انتقال الأيادي العاملة، وصدّ هجرة قوة العمل، من الدول النامية إلى الدول المتقدمة، مع العلم بان القرنين الماضيين: حصلت فيها الهجرة وانتقال الأيدي العاملة بصورة أكثر، وذلك للحرية المتوفرة آنذاك وعدم توفرها اليوم.

و من الواضح: إن هجرة الأوربيين إلى نيوزلندا واستراليا وإلى الأمريكيتين وجنوب أفريقيا، وإلى الكثير من البلدان النامية آنذاك، قد ساهمت في الحيلولة دون حدوث تغييرات اجتماعية كبيرة في الدول الأوروبية الرأسمالية، وذلك بسبب البطالة المتفشية فيها، وانتشار الفقر والأمية والبؤس والمرض في تلك المرحلة مساهمة كبيرة وفاعلة.

والإسلام لم يمنع العامل بل أي شخص من الهجرة والتنقل، والسفر والإقامة في أي بلد شاء، حيث خلق الأرض للإنسان بما هو هو مهما كان لونه وعرقه وقوميته ولسانه، قال تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾(١).

بل قال سبحانه: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۞ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ۞ وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٣) سورة النحل: ١٢-١٦.

(٤) سورة الحج: ٦٥.

الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال عزوجل في الهجرة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً﴾[4].

---

(١) سورة لقمان: ٢٠.

(٢) سورة الجاثية: ١٢-١٣.

(٣) سورة النساء: ٩٧.

(٤) سورة النساء: ١٠٠.

تأطير الطاقات المطلقة

مسألة: إننا مع التطور الكبير في العلم، وتقلّص عوامل المسافة والزمن، وضرورة امتلاكنا لمقدراتنا في المجالات الحيوية، وذلك حسب ما يأمر به الإسلام من العولمة الصحيحة، وقد بلغنا درجة لا يمكن معها التغافل أو التهرب من ضرورة إدارة كل ما هو في حيطتنا: من سلامة البيئة، ومن قوة التجارة، ومن نظم أنشطة الإنتاج والاستهلاك، وتأطيرها لصالح الإنسان وكرامته الإنسانية والإسلامية، وقد انطلقت طاقات المعرفة والعلم، وهدرت عجلات التصنيع والفن بمختلف أشكالها، وظهرت الحاجة الملحة لتأطير هذه الطاقات المنطلقة في إطار خدمة الإنسانية كلها وفى خدمة كل الأجيال الموجودة والقادمة، حتى لاتنتصر هذه الطاقات المادية على حساب هزيمة الإنسان والإنسانية نفسها، أو لحساب جيل حاضر على حساب الأجيال الأخرى القادمة مع تمادي الزمن.

ويظهر من ذلك كله أن الحاجة إلى النظرة العالمية ملحّة حتى ونحن نتصرف محلياً، وإن كان البعض يرى هذه المعادلة بالعكس أي: بأن يكون التفكير محلياً والتصرف عالمياً فإن المهم في كلتا الحالتين أن يكون البعد العالمي ماثلاً دائماً أمامنا، بعد أن تشابكت المصالح إلى حد بعيد، وتداخلت تداخلاً لا يمكن فرز بعضها عن بعض، نعم إن هذا الإطار العلمي والنظري للعولمة شيء، والعولمة الغربية التي ظهرت في الساحة وعرفناها حتى الآن على أرض الواقع وفي إطار العمل والتطبيق هي شيء آخر، فقد هيمنت الأسواق على عملية العولمة، وصادرت منافعها وخيراتها، مما أدى إلى أن تحتكر شعوب قليلة معيّنة وأقطار متعددة بعينها، فوائد العولمة ونتائجها الإيجابية، وتترك سلبياتها وأضرارها لشعوب كثيرة وأقطار أخرى تشكل غالبية الأقطار في العالم.

جوانب من العولمة

مسألة: لقد ظهر مما سبق أن العولمة هي اتجاه متفاقم نحو تخطي الحدود وتجاوزها.

وبعبارة أخرى العولمة تعني: التعامل دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية، أو بدولة معينة، أو الانتماء إلى وطن محدد، أو إلى جهة خاصة، ودون حاجة لإجراءات حكومية، أو تحريات قضائية.

ويظهر ذلك بشكل واضح في الشركات متعددة الجنسيات، وفي انتقال رأس المال الذي يبرز جلياً عبر استخدام تذاكر الائتمان، وامتلاك الأرباح من غير خسائر.

وللعولمة كما يقال جوانب ثلاثة كالتالي:

أولها: جانب مادي جاء نتيجة التقدم العلمي، والتطور الصناعي المدهش، وما ترتب عليه من تغيير كبير في وسائل النشر والإعلام، والاتصال والارتباط، والأطباق اللاقطة والمحطات الفضائية، التي تبث برامجها لكل أنحاء الكرة الأرضية، ولكل البشر على هذه الكرة الترابية، دون أن تحدها حدود، أو تحجّمها قيود، وهكذا في ثورة المعلوماتية المدهشة التي تجسدها شبكة الانترنيت في كل زوايا الأرض.

ومن المعلوم: أن هذا الجانب من العولمة ليس مطروحاً للجدل والمناقشة، ولا للقبول أو الرفض، إذ هو واقع خارجي وقد أصبح أحد ظواهر العصر الذي نعيشه، ولكن علينا أن نعرف كيف نتعامل معه، لاستيعاب الوضع ولنكون أكثر تأثيراً في عالمنا المعاصر الذي نعيش فيه، وعلينا أن نعرّف شعوبنا النافع منه والضار

تفادياً لأخطارها وتجنباً من مساوئها.

ثانيها: جانب قيمي جاء نتيجة الظاهرة التنافسية لنمط الإنتاج الرأسمالي، الذي فرضه اقتصاد السوق على العالم، وعزّزه باتفاقية التجارة العالمية: الغات المعروفة.

ولا يخفى أن هذا الجانب من العولمة يثير وبشدّة كثيراً من المخاوف والشكوك، وخاصة بعد أن جاءت جولة أورجواي وبكل قوة لتكون ضربة قاضية للدول النامية، حيث إن الدول الصناعية الكبرى قد فرضت وبعنف شروطها المجحفة والقاسية لتحرّر التجارة لصالحها وانتقال رؤوس الأموال.

ثالثها: جانب إعلامي وجاء نتيجة الطابع التوسعي لسياسة الغرب، فإنها سعياً لنشر هيمنتها على الدول النامية، وقبضتها على الأسواق العالمية تقوم الدول الغربية بالإعلام لصالح العولمة والإعلان عن محسّنات مختلقة لها، بينما واقع العولمة الغربية هو واقع الهيمنة وحقيقتها هي حقيقة السلطة والسيطرة، علماً بأن العولمة التي تكون في صالح الإنسانية من جميع الجهات هي عولمة الإسلام فحسب.

هذا ولا يخفى أن الجانب القيمي الذي جاء نتيجة الظاهرة التنافسية لنمط الإنتاج الرأسمالي من العولمة هو الذي يجعل من العولمة مسألة خلافية متنازع فيها، وهو الذي يستدعي توضيح وبيان أكثر للعولمة في أبعادها في حقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والمدنية والثقافية.

العولمة وموقف المجتمعات منها

مسألة: إن موقف المجتمعات من العولمة موقف مختلف وغير متحد، فإن هناك معركة كبرى تدور في المجتمعات حول العولمة سياسية واقتصادية، وثقافية وفكرية، وغير ذلك.

أجل إن كل جديد يتحقق في العالم الخارجي، تنقسم المجتمعات البشرية في موقفهم تجاهه إلى أقسام تالية:

فإن هناك من المجتمعات ما ترفض كل جديد ـ ومنها: العولمة ـ رفضاً تاماً، وهي مجتمعات تقف ضد التيار، وعكس مسار التاريخ، ولكنها تنكفئ وتذوب عادة ولا يكتب لها النجاح.

وإن هناك مجتمعات على العكس منها، وهي مجتمعات استسلامية تقبل كل جديد ومنها العولمة من دون قيد وشرط، معتبرة أن العولمة هي لغة العصر القادم، ولا محيص منها، متغافلة عن السلبيات الخطيرة التي تتواجد في بعض جوانب العولمة.

وإن هناك مجتمعات وسط بين الاتجاهين، وهي مجتمعات واعية تحاول فهم القوانين والمعادلات الحاكمة للعولمة، وتعترف أولاً وقبل كل شيء بأن العولمة حدث تاريخي خارجي، وتدرك مع ذلك بأنه من غير الصحيح أن تستسلم لكل ما جاءت به العولمة من المفاهيم والقيم التي تقوم عليها في الوقت الحاضر، والتي تهدف في الواقع إلى استرجاع نظام الهيمنة الاستبدادية القديم، وعرضها بأزياء وصور حديثة وجديدة.

وهذه الاتجاهات الثلاثة ظهرت على الساحة في كل من بلاد أوروبا وفرنسا

بصورة عامة، وبدت واضحة وبصورة خاصة من موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي الرافض للعولمة وذلك بحسب بيانه الرسمي الصادر قبل عدة أعوام، وقد كان البيان الصادر تحت عنوان: (العولمة وأوروبا وفرنسا) وهذا البيان يتضمن أعنف نقد، وأقسى لوم على العولمة الغربية الأمريكية.

مضافاً إلى كل ذلك فقد بدأت حركات فكرية جديدة تتصاعد داخل أمريكا نفسها ضد العولمة، وهذه الحركات لم تكتف بالنقد التفصيلي للعولمة وجوانبها الاقتصادية والسياسية، والفكرية والثقافية، بل أنها ذهبت إلى أبعد من ذلك، إنها تحاول إراءة بديل للعولمة الأمريكية والترويج له.

هذا وقد تعرض لبيان هذه الحركات الفكرية ونشاطاتها في أمريكا، عدة كتب انتشرت في الأسواق تحتوي على عشرات البحوث التحقيقية والدراسات المسهبة والمعمقة في هذا الموضوع(١).

(١) منها كتاب: (الاقتصاد الكوني نحو تحول إلى المحلية) وهو يحتوى على ما يقرب من خمسين بحثا في الموضوع.

العولمة وحقوق الإنسان الثقافية

مسألة: إن حقوق الإنسان الثقافية، بالنسبة إلى آثار العولمة وتأثيراتها عليها تكون أكثر تعقيداً وأكبر تصعيداً من المجالات الأخرى، فإن الجدل في هذه أي: في حقوق الإنسان الثقافية وآثار العولمة عليها، قائم على أشد مما هو في غيرها، فالقيم المتجذرة في نفس المجتمعات والمثل المترسخة في ضمير الشعوب هي التي تشكل رؤيتها وتحدد نظرتها للعالم، وهذا هو ما يتنافى مع آثار العولمة وأهدافها، ومن هنا تأتي أهمية الثقافة بالنسبة لقضية العولمة.

هذا ولا يخفى أن المعاهدات الدولية تؤكد على أن للإنسان الحق في التمسك بثقافته الخاصة، والتكلم بلغته الخاصة، والتجاهر بدينه الخاص، والإعلان عن مذهبه الخاص، يعني: أن تكون له خصوصيته الثقافية، وهي تستدعي التباين مع الخصوصيات الثقافية الأخرى، بسبب اختلاف اللغة، أو الدين، أو المذهب، أو السلالة، أو ما أشبه، وذلك في إطار الثقافة والفكر، وعلى مستوى الوطن والمنطقة، والتمدن والحضارة، وغير ذلك، مع أن العولمة تريد تعميم ثقافة واحدة على كل أهل المعمورة، وهذا مما يثير الخوف والقلق لدى الكثير، لما يرون في ذلك من تهديد للخصوصية، وخاصة من الذين يملكون إمكانيات كبيرة في الأمور الثقافية ويستطيعون عبرها تعميم ثقافتهم على العالم.

هيمنة الثقافة الأمريكية

مسألة: مما يلزم الانتباه له أن الغرب يسعى في نشر ثقافته عبر العولمة، فمثلاً عُرفت أمريكا بتفوقها على بقية الدول في نسبة ما تصدّره من مواد ثقافية فكرية، وترفيهية تنشيطية، من نشرات وكتب، ومسرحيات وأفلام، وبرامج راديو وتلفزيون، إلى حد أن صادراتها من هذه المواد تسبق جميع صادراتها بالنسبة إلى المجالات الأخرى، فقد ربح فيلم واحد من أفلامها مبلغاً قدره على ما قيل: أكثر من بليون دولار أمريكي، وهذا ما يدفع أمريكا أن تتعامل وبإصرار بالغ، مع السلع الثقافية معاملة تختلف عن بقية السلع الأخرى، يعني: إنها تعفيها من فرض أية قيود تمييزية عليها.

وهذا تماماً بالعكس من فرنسا ودول أخرى كفرنسا، فإنها تملك إمكانيات لا بأس بها في مجال الإعلام الثقافي والفكري، لكنها أضعف من إمكانيات أمريكا وعلى اثر ذلك أصبحت تلك الدول تعتبر العولمة الثقافية خطراً كبيراً يهدد هويتها الثقافية وينذرها بالذوبان والنسيان.

أما مشكلة العولمة الثقافية بالنسبة إلى العالم الثالث، فإنها أشد خطراً عليها من غيرها، إذ لأمريكا وكذلك للدول الصناعية الكبرى، من الإمكانيات والقدرات الثقافية ما لم يكن لدى العالم الثالث شيء منها، وهي ما جعلت دول العالم الثالث سريعة الانفعال وفى وضع المستسلم لها.

إحصائيات وأرقام:

لقد ذكرت بعض المنظمات الدولية، إحصائيات في مجال البرامج الثقافية وسيطرتها على الأسواق المحلية لبلدان العالم الثالث، فقالوا:

إن مصر تستورد لبرامج شبكاتها التلفزيونية: ثلث إجمالي البث.

إن تونس والجزائر تستورد نصف هذا الإجمالي المذكور من بثها التلفزيوني.

وان لبنان تستورد من البرامج الأجنبية ما يزيد على ذلك، حيث تتراوح نسبة ما تبثه في تلفزيونها بين ٦٠٪ إلى ٩٦٪ من مجموع البرامج الثقافية والفكرية فيها.

وإذا أحصينا ما يقارب من ٣٠٠ شركة إعلامية هي الأولى في العالم، نجد بينها ١٤٤ شركة أمريكية و٨٠ أوروبية و٤٩ يابانية، ومن الشركات ٧٥ الأولى في مجال نقل المعلومات إلى الجمهور هناك ٣٩ شركة أمريكية و٢٥ أوروبية غربية و٨ يابانية، وفي قطاع الخدمات المعلوماتية والاتصالات بعيدة المدى ومن بين الشركات ٨٨ الأولى نجد ٣٩ أمريكية و١٩ أوروبية غربية و٧ يابانية، وفي قطاع التجهيزات ومن ١٥٨ شركة هناك ٧٥ شركة أمريكية و٣٦ أوروبية غربية و٢٣ يابانية، ويوجد الباقي في استراليا وكندا وما أشبه.

ومن المعلوم: إن هذه التبعية الثقافية والإعلامية تثير مخاوف الكثيرين في منطقتنا، وذلك لأنهم يرونها تهدد هويتهم الثقافية التي هي حق محترم من حقوق الإنسان، وهو كذلك، والخوف منها في محله، ولابد من العمل على تفادي أخطارها.

والذي يزيد من هذه المخاوف هو: ظهور عدة نظريات غربية متسرّعة في أعقاب سقوط حائط برلين في ألمانيا، تؤكد تلك النظريات على انتشار الليبرالية الجديدة، وتفشّي الحضارة الغربية، وتطالب بوجوب تعميمها لتشمل العالم أجمع، وتغطي على كل الحضارات الموجودة فيها جمعاء.

وهذه النظريات وأشباهها، وإن لم تستند إلى تحليل موضوعي لكيفية النزاعات التي سوف تحدث تباعاً في القرن الجديد، إلاّ أنها أثارت في أوساط العالم الثالث وبين المسلمين خاصة الكثير من المخاوف، لأنها صدرت عن جهات معتمدة وذات نفوذ داخل الغرب، تعكس ما تنطوي عليه سياسة الهيمنة الاستعمارية من نوايا سيئة، ومن عداء شديد للإسلام والمسلمين بل للبشرية والإنسانية أجمعين.

التناقض بين القول والفعل

مسألة: إن هناك مشكلة واقعية حقيقية، باتت تواجه الانفتاح السياسي واحترام حقوق الإنسان في عصر العولمة وهي: أنّ النظام الدولي القائم حالياً ليس نظاماً منفتحاً خالياً من الاستبداد، إذ توجد فيه دولة عظمى واحدة ولم يكن في مقابلها دول عظمى أخرى، ومن الواضح أن الدولة العظمى تسعى سعياً لأن تفرض قوانينها ونمط استهلاكها وثقافتها على العالم أجمع، وهذا يوجب اختلال المعادلات الأخلاقية، وسيادة المعايير المزدوجة والانتقائية في مواجهة قضايا حقوق الإنسان، وتفاقم المشاكل الإنسانية القائمة في بلدان العالم الثالث والإسلامية بصورة خاصة على قدم وساق.

ومن هنا ترى أمريكا لم تحسن استخدام حق التدخل في مواجهة الانتهاكات المحلية لحقوق الإنسان، ولم ترفق في مسلكها كدولة عظمى، ففي نفس الوقت

الذي تصب أطنان المتفجرات على شعب أعزل، تراها تستخدم حق الفيتو في مجلس الأمن أكثر من مائة وخمسين مرة حتى الآن لحماية إسرائيل من أي قرار يدينها ويندّد بها، أو يوقع عليها عقوبة عارمة، نتيجة أعمالها الوحشية ومذابحها ضد الشعب الفلسطيني المسلم، من دير ياسين إلى مذبحة قانا، ومروراً بتهجير شعب فلسطين، وحرق قراه، واستمراراً باحتلال الأراضي الإسلامية، وانتهاءً بالتهديدات القاسية التي تفضح سياسة اليهود العنصرية، مثل: التهديد بقتل الأطفال وحرق التراب اللبناني بعد سرقة قسماً منه.

ولقد ظهرت نفس المشكلات الآنفة أي: مشكلة اختلال المعادلات الأخلاقية، ومعضلة الانتقائية والمعايير المزدوجة أيضاً في كل من البوسنة والصومال وبورندي والشيشان وأماكن أخرى كثيرة من العالم كأفغانستان وما شابهها.

ومن الواضح أن هذه المشاكل لم تكن في العولمة الإسلامية المبتنية على العدل والإنصاف، والقيم والأخلاق.

بين عالمية حقوق الإنسان والعولمة

مسألة: هل تختلف العالمية في مجال حقوق الإنسان عن العولمة؟

أجاب بعض الأخصائيين قائلين: إن العالمية في هذا المجال شيء مختلف عن العولمة تماماً، وذلك للفوارق التالية:

أولاً: إن العالمية في مجال حقوق الإنسان لا تعمل على إنهاء دور الدولة، ولا تسعى للتقليل من شأنها، بل العالمية هذه تضع على الدولة التزامات معينة، وهي تحتاج إلى وجود دولة لتنفيذ هذه الالتزامات.

وهذا يعني على العكس من العولمة التي تحد من دور الدولة وسلطاتها، كي يضعف تأثير الحدود السياسية والسيادة الوطنية.

ثانياً: إن العالمية في مجال حقوق الإنسان تدعو للانفتاح على الآخرين وتأمر بالأخذ والعطاء معهم، فإنه كلما يتم التعاهد أو التوافق بين المجتمع الدولي على أهداف محددة، أو مفاهيم معيّنة، مقابل التزامات يقبلها الجميع، تأمر بالمشاركة وتعاون الدول فيما بينها لتطبيقه.

وهذا أيضاً على العكس من العولمة التي تحاول تسييد أوضاع معينة على العالم أجمع، أي: إنها تعتمد على التحول من الخارج.

مثلاً: إن الاقتصاديات مما لا يمكن العمل من داخل الدولة على تغييرها، لذلك ترى العولمة أنه لابد من العمل من خلال المؤسسات الدولية والضغوط الخارجية من أجل تحويل هذه الاقتصاديات وإدماجها في النظام العالمي، وليس اعتماداً على التحول التدريجي الذاتي، وهذا هو اختراق صريح للآخر، وسلب فاضح لخصوصيته.

ثالثاً: إن العالمية في مجال حقوق الإنسان معناه: الالتزام بالمفاهيم التي أقرّها المجتمع الدولي إقراراً من خلال أكثر من مائة اتفاقية ومعاهدة، وإعلان رسمي، وبيان دولي، وعدّ ما جاء فيها من حقوق الإنسان بأنه كل لا يتجزأ ومجموعة لا تتبعّض.

وهذا أيضاً على العكس من العولمة التي تسعى في مجال حقوق الإنسان إلى تعميم مفهوم حقوق الإنسان في ثقافة الدولة الأقوى، والتي هي حالياً ثقافة أمريكا التي تزعم أنها رائدة الثقافة الفضلى المؤهلة للهيمنة على العالم كلّه، وعلى جميع الثقافات وبرغم من أصحابها.

ولكن العولمة والعالمية في الإسلام فتشتمل على النمو والازدهار في مختلف مجالات الحياة من دون تضرر أحد حيث تبتني على أسس إنسانية منها: قاعدة لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة الضمان، وقاعدة السلطنة[1].

---

(١) أي الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم.

بلاء التلوث والتضخم

مسألة: إن عمليات تلويث البيئة التي أقلقت الأوساط العلمية المسؤولة، ليست على الظاهر من نتائج العولمة في نفسها، وإنما هي نتيجة عارضة من سوء الاحتراز القانوني والصناعي الذي يشجع على انتهاكه مادية العولمة الغربية، وذلك لأننا نجد أن كل المصانع سواء كانت في العراق أو الهند أم في بريطانيا أو أمريكا، فإنها جميعاً تساعد إلى قدر مّا في التلوث البيئي.

وكذلك يكون حكم تصدير الصناعات الأكثر تلويثاً للبيئة، فإنّها أيضاً ليست على الظاهر من نتائج العولمة في حدّ ذاتها، وإنما هي نتيجة حاصلة من جشع التجار، وطمع الشركات التي تشدّده مادية العولمة الغربية، ومن ضعف قانون الرقابة الصناعية والتجارية المفروضة على الصناعة والتجارة من جهة العولمة الغربية، وأما في الإسلام فقد شدد الرقابة عليهما بواسطة معنويات عولمته العادلة.

أما التضخم الاقتصادي والنقدي فإن نسبة مئوية منه يكون على الظاهر من نتائج نمو متطلبات الإنسان وتوسعها بصورة عامة، وهذا النمو والتوسع ليس في نفسه من مختصات عولمة دون أخرى، كما إنه ليس في حد ذاته من خصائص مجتمع دون آخر، وذلك لأن زيادة متطلبات الفرد أينما كان مسكنه وموطنه ومهما كان صنفه وجنسه، هي إحدى أسباب التضخم من غير أن يقتصر على عولمة دون أخرى، ولكن المادية الصرفة للعولمة الغربية تساعد على تشديده، بينما المعنويات الموجودة في العولمة الإسلامية تحدّ منه وتقلصه إلى أدنى درجاتها الممكنة.

وأما البطالة في المجتمع الإسلامي، أو البطالة عموماً في كل المجتمعات،

فجزء منها قد ترتبط بالتطور السريع للآلة ولكن معظم البطالة نتيجة القوانين الكابتة للأنظمة الغربية والشرقية التي أخذت المجتمعات تطبقها، وهي غير الموجودة في الإسلام، فإن حرية العمل في الإسلام أكثر بكثير مما هو في غير الإسلام.

هذا ولا يخفى أن تعريف البطالة يختلف في المجتمع الإسلامي عنه في المجتمع الغربي، فربة البيت ـ مثلاً ـ قد يعتبرها النظام الغربي عاطلة عن العمل، بينما في النظام الإسلامي لا يعتبر ربة البيت عاطلة عن العمل، بل إن عملها هو: إدارة البيت، وتربية الأبناء وإسعاد الزوج، وهذا من أفضل الأعمال وأجمل المشاغل اللائق بحالها الذي يمكن للمرأة أن تعمله أو تشتغل به، مع إمكان أن تعمل خارج البيت أيضاً مراعية للموازين الشرعية.

هذا وقد أخذ بعض الكتّاب بنقد العولمة الحديثة، ونسبوا مشاكل الإنتاج والتصنيع وظهور الآلة الحديثة، والتلوث البيئي المدمّر والبطالة الهادمة، إلى أنه جزء من إفرازات العولمة الحديثة وذلك من دون الالتفات إلى أن هذه المشاكل في حدّ ذاتها كانت موجودة قبل العولمة بزمن طويل، وإن أسبابها الاقتصادية أو القانونية أو الحكومية معروفة سلفاً كما أوضحنا، فإن نسبة مئوية مرتفعة منها، ناشئة من القوانين الوضعية الكابتة التي قننها الغرب، وسارت عليها كافة حكومات العالم، والتي هي على خلاف قوانين الإسلام التي تفسح المجال لحرية العمل والتجارة بالشكل المفيد للمنتج والمستهلك، فإن نظام اقتصاده قائم على الأخلاق والعقل، والقسط والعدل.

العولمة وحقوق الإنسان الاقتصادية

مسألة: لقد قال الكثير من خبراء الاقتصاد مبشرين: بأن في ظل العولمة الجديدة، وتحرير قوى التنافس والتسابق، سيتم توجيه الموارد البشرية والمادية إلى المواقع الإنتاجية، أي: إلى ما هو معروف بالاتجاه الكفؤ للاقتصاد، ثم يترتب على ذلك تزايد مستمر في حركة الإنتاج وعلى الصعيد الدولي والعالمي بما يلبي حاجيات البشر بشكل أفضل وصورة أجمل.

هذا هو ما قاله خبراء الاقتصاد والعولمة الاقتصادية، لكن الذي حدث في ظل العولمة الغربية خارجاً هو عكس ذلك، فقد اتجه العالم نحو استقطاب شديد في الفقر المدقع، الذي اتسعت دائرته بصورة رهيبة، وراحت تلتهم بلهواتها الكثير من سكان المعمورة، فقد أصبح اليوم يعاني من الجوع ويحنّ للقمة الخبز ما يقرب من بليون إنسان، وأصبح بليونان آخران من الناس يعانون من سوء التغذية ويئنون من آلامها وآثارها.

هذا وقد اتجه القسم الآخر من العالم اليوم إلى تركيز شديد في الثروة وتكديس أعمى للأموال، وذلك على مستوى الدول ومستوى الأفراد معاً، وداخل الدولة الواحدة أيضاً، فإن ما يقرب من خُمس سكان العالم الذين يعيشون في أعلى البلدان دخلاً، وأكثرهم مورداً، يحصلون على ما يلي:

٦٨٪ من الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

٨٢٪ من صادرات العالم.

٨٦٪ من الناتج الإجمالي.

٧٤٪ من خطوط الهاتف في العالم.

بينما ما يقرب من خُمس السكان الذين يعيشون في أشد البلدان فقراً وأخفضهم دخلاً يحصلون على ١٪ فقط من الناتج الإجمالي العالمي.

هذا الفرق الطبقي الكبير يرجع لعدة عوامل أهمها هو ما يلي:

العامل الأول:

اندراج العولمة الغربية تحت هيمنة الأسواق وسيطرة السوق على عملية العولمة، واستغلالها لزيادة الربح مهما كان مصدره، من غير احتراز لما يعكسه ذلك من آثار جانبية على حقوق الإنسان وكرامته.

و في هذا المجال صدر تقرير التنمية البشرية المنتشر قبل عامين يقول: (إن الآثار الجائرة المترتبة على العولمة، التي توجهها الأسواق ويوجهها تحقيق الربح، أوسع وأعمق من البيانات المذكورة أعلاه والإحصاءات المزبورة آنفاً حيث إنها تمس جميع جوانب حياة الإنسان وتخدش كرامته).

هذا ويضيف التقرير قائلاً: (إن الرعاية التي تمثل قلب التنمية البشرية غير المرئي، مهددة بالإحباط والانهيار، وذلك لأن السوق العالمية التنافسية الموجودة الآن تفرض ضغوطاً على ما يلزم عمال الرعاية من وقت وموارد وحوافز، وهي أعمال بدونها لاينتعش الأفراد، ومن الممكن بل المحتّم أن ينهار التماسك الاجتماعي بانهيار الرعاية المطلوبة).

ثم إنّه مما لا شك فيه أن سوف تؤثر هذه الأوضاع المزرية، على تراكم القدرات الإنسانية للمجتمع وتكدسها التي تعتبر الآن أهم للتنمية من تراكم رأس المال وتكدّسه.

العامل الثاني:

سيطرة التطور التقني والفني على مجالات العمل والعمالة، وظهور الآلات المتطورة على الساحة، الموفّرة للوقت والجهد الإنساني، الأمر الذي دعا المشاريع العملاقة التي تطبق أساليب العمل الفني والتقنيات إلى إلغاء الوظائف أكثر من إيجادها، وإلى إجراء عمليات تصفية عمالية ـ إن صح التعبير ـ وذلك باستمرار على نطاق واسع وفي مختلف الشركات العملاقة، ومعلوم أن هكذا تصفيات تؤدي إلى إلغاء كثير من الوظائف، وإلى خفض مدهش في عنصر العمل وتقليص الأيادي العاملة.

مثلاً في أمريكا وقبل خمسة أعوام صدر عن منظمة العمل الدولية تقرير سنوي عن العمالة لعام واحد يقول: تم القضاء بالفعل على ما يقرب من مليوني وظيفة في قطاع الصناعات التحويلية، بينما كان قبل عشرين عاماً تقريباً يعمل بها مائة وعشرون ألف عامل، ولكن انخفض عددهم بعد عشر سنوات إلى عشرين ألف عامل فقط، مع إنهم كانوا ينتجون نفس القدر من المنتجات بلا زيادة ولا نقيصة.

ومن المعلوم: إن هذا التخفيض إذا لم يوفر أعمالا بديلة سوف يؤدي إلى نتائج غير محمودة، مثل حصول جيش من العاطلين، ومثل تخفيض أجور ومرتبات العمال والموظفين، ومثل تقلص الكثير من المزايا والحقوق التي كانوا يحصلون عليها من قبل، وغير ذلك.

العامل الثالث:

تضخم الأرباح لصالح أفراد معدودين ، فإن الأرباح الحاصلة عن التقدم التقني الفني ، كان في السابق يتقاسمها جميع العاملين في الاقتصاد القومي ، مع اختلاف النسبة فيما بينهم ، بينما الأرباح الحاصلة عن الثورة العلمية والقفزة الصناعية اليوم يتقاسمها عدد قليل جداً من الأفراد ، وهم رجال الإدارة العليا ، وحملة الأسهم ، وعمّال المعرفة والتقنيات فقط .

ومن الطبيعي حينئذ أن ينتج ذلك زيادة مستمرة في طبقات ما تحت خط الفقر ، وتهميش هذه الطبقات ، وتركيز الثروة في أيدي طبقة قليلة من الناس .

ومن هنا اتضح أنه إذا كانت حقوق الإنسان السياسية والمدنية قد استفادت نسبياً من عصر العولمة الغربية ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ فإن حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية لم تأخذ نفس القدر من الاهتمام ، بل أصبحت مهضومة بين عجلات الثروة والاقتصاد .

نعم إن من حق الإنسان أن يتخلص من الفقر ، ويتنعم بما أنعم الله تعالى عليه في الحياة ، ويعيش وسط مجتمع متوازن ، لا مجتمع طبقي متضارب ، وفي أجواء سليمة يسودها العدل والقسط ، لا أجواء سقيمة يتراقص فيها شبح الظلم والجور ، ولذلك سوف تظل العدالة الاجتماعية وتوازن المجتمع قيمة من القيم ، التي ينبغي للمجتمعات الدولية الاعتصام بها ، فتوازن المجتمع والعدالة الاجتماعية أمر ضروري لإيجاد الاستقرار الحقيقي وإرساء الأمن ، وهو أيضاً شرط أساسي لإقامة مجتمع متوازن ومتعادل .

وهذا كله متوفر في العولمة الإسلامية .

لا لملكية الدولة

مسألة: إن هناك شبهة اقتصادية تقول: إن كل تغيير في شكل ملكية وسائل الإنتاج لصالح الملكية الخاصة، تسبب زيادة البطالة، وهذا ليس أكثر من شبهة، إذ هو أمر غير ثابت، بل هو أمر غير صحيح، وذلك لأنه لو كان كذلك لما فشل النظام الاشتراكي والاقتصاد الشيوعي وأدّى إلى سقوط الاتحاد السوفيتي العملاق، الذي كان قد تربّع على ملكية الدولة والقطاع العام، وألغى الملكية الشخصية والقطاع الخاص، فإن الخبراء السياسيين والاقتصاديين يؤكدون على أن من أهم عوامل سقوط الاتحاد السوفيتي وفشله في كل المجالات هو تغيير الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج إلى صالح الملكية العامة، وكان فشل الاقتصاد الشيوعي والنظام الاشتراكي، وسقوط الاتحاد السوفيتي، تجربة ميدانية حيّة اتضح من خلالها حكمة الإسلام في تقريره الملكية الشخصية، واحترامه لها أيما احترام.

إذن: فلو كان نظام الملكية الشخصية والقطاع الخاص مما يزيد في البطالة وضعف الإنتاج وقلة الإبداع، لأنكره الإسلام ولم يقرّه، ولتوجّه الاقتصاد الإسلامي إلى تشجيع القطاع العام وملكية الدولة ـ كما يسمى في العرف الحديث ـ بدلاً من التأكيد على الحرية الاقتصادية والتجارية، واحترام الملكية الفردية والقطاع الخاص.

ومن جانب آخر نجد أن أي تغيير في ملكية وسائل الإنتاج من القطاع الخاص والملكية الشخصية، إلى القطاع العام وملكية الدولة، سيغير من قوى العمل ويؤثر في أساليب الإنتاج تأثيرا سلبيا لا محالة، علماً بأن قانون التغيير هذا لا يختص

بالعولمة بقدر ما يختص بالظروف المحلية، والتغيرات الثقافية والإدارية، والسياسية والاجتماعية المرافقة له، بل إنا نجد أن ارتباط الاقتصاد الإسلامي بالسوق العالمية، أو بأي نوع من أنواع الاقتصادات الأخرى، سيوجب النمو والازدهار وعدم البطالة.

كما إن الدعم الحركي للسوق، مع قطع النظر عن الدعم المالي والنقدي، أو السلعي والفني، الذي يفرضه السوق المتحرك للعناصر الاقتصادية المرتبطة به، فإن الدعم هذا يعيد للسوق حيويته من جديد، وهو الذي رأيناه قد حدث بالفعل عندما انهار اقتصاد كل من الدول الثلاث: كوريا وماليزيا وإندونيسيا، فإن اليابان وكذلك أوروبا دعمتها بسرعة، فاستعادت تلك الأسواق حركتها ونشاطها ووقف اقتصادها للمرة الثانية منتصباً على قدميه.

التخلف الاقتصادي لماذا؟

مسألة: إن التخلف الاقتصادي هو بالدرجة الأولى نتيجة الإعراض عن منهج السماء في الاقتصاد، ومنه يعرف أن ما يقال عن العولمة: بأنها تسبب التخلف الاقتصادي في المجتمع والأمة، فليس هو بصحيح، وان كانت العولمة لاتخلو من تأثير لها فيه، وذلك لأن حلقات الترابط بين صناعة الحديد مثلاً وصناعة النفط لو وجدا معاً في بلد من البلدان فإنها ترتبط بالسوق العالمية، ولا تقتصر على الدول الإسلامية وغيرها من الدول الأخرى.

بل يمكن القول: بأن التخلف الاقتصادي المشهود ليس هو بعد الإعراض عن منهج السماء إلاّ نتيجة صراع الدول الصناعية الكبرى لاحتواء الأسواق العالمية، وذلك قبل أن توجد العولمة، فإنها حصيلة المؤتمرات الثنائية والعامة، والمؤسسات التجارية المتولدة من تلك المؤتمرات، مثل المنظمة العالمية للتجارة، وغيرها من المنظمات الاقتصادية الأخرى وذلك مع قطع النظر عن الأبعاد الإنسانية والأخلاقية فيها.

كما انه يمكن أن ينسب أي تخلف اقتصادي ملموس في الأوساط العالمية مضافا إلى ما ذكر من: الإعراض عن منهج السماء، وصراع الدول لاحتواء الأسواق، إلى سوء الإدارة الاقتصادية وترديّها، أو فقدان المواد الأولية وقلتها، إذ هي من مقومات حيوية الاقتصاد، ونموّه وازدهاره كما هو واضح.

أسباب و مسبَبات

مسألة: هناك شبهة اقتصادية أخرى تقول: إن العولمة تكون سبباً في تصدير الصناعات الأكثر تلويثاً للبيئة إلى البلدان النامية، فهو - كما سبقت الإشارة إليه - أمر يرتبط بفقدان الرقابة الصناعية الصحيحة، وضعف القانون الصناعي الدولي وعدم اشتماله إلى مبادئ إسلامية إنسانية مثل (مبدأ لا ضرر ولا ضرار)، ولا ربط له بالعولمة في الجملة، فإن تلك الدول الداعية للعولمة أيضاً لا تخلو من تلوث بنفسها.

مثلاً: جنون البقر في أوروبا الذي أدى إلى الخلل الاقتصادي حيث تم إتلاف الملايين من البقر المحتمل إصابته بهذا المرض.

ومثل: تلوث الدجاج في هونغ كونغ الذي أدى أيضاً إلى إتلاف الملايين من الدجاج المصاب وقد تم إتلافها بأمر من الرقابة الصناعية والإنتاجية في كل من البلدين.

وعليه: فإن التلوث ذاته هو أحد إفرازات التطور الصناعي في كل بلد من البلدان، ولايتوقف على العولمة الحديثة، أو العولمة الاقتصادية، وان كان لا يبعد تأثير سقم العولمة كالعولمة الغربية، وصحتها كالعولمة الإسلامية، في ازدياد حجم التلوث وقلته.

تراجع أهمية النفط

ومن الشبهات الأخرى: تراجع أهمية النفط وهبوط أسعاره، فهل هذا نتيجة العولمة الاقتصادية؟

إن تراجع أهمية النفط الإسلامي وهبوط أسعاره هو أمر غير خاضع ١٠٠٪

للعولمة، وإنما هو خاضع بعض الشيء لقانون العرض والطلب ولمؤامرات عالمية ضد البلاد الإسلامية، ومن الواضح لدى الجميع: إن العرض كان ولا يزال أكثر بكثير من الطلب الموجود على الساحة العالمية، وتبعاً لكثرة العرض المؤدية إلى تراجع أهمية النفط الإسلامي، تراجع سعر النفط وتدني قيمته أيضاً، كما أشارت إلى ذلك منظمة الأوبك، التي هي أكبر مؤسسة نفطية تضم الدول الإسلامية وغيرها بما فيها الدول الداعية للعولمة، حيث قد اعترضت على تدني سعر النفط إلى مستويات بسيطة، واعترفت بأنه لم يعد للنفط أي سلطة نافذة كالسابق، وذلك منذ سنين حرب الخليج الأولى، يعني: قبل مجيء العولمة إلى الساحة، واطرداها على الألسن.

كما ينسب هذا التراجع في الأهمية والقيمة من جانب آخر إلى توفر وسائل الطاقة البديلة للنفط في العالم، كالطاقة المستفادة من الشمس أو الماء، أو ما أشبه ذلك.

ارتفاع فواتير الغذاء وما أشبه

ومن الشبهات المطروحة أيضاً ما يشاهد من ارتفاع فواتير الغذاء والمواد الأولية والصناعات الثقيلة، لكنه أيضاً لا يرجع كلّه إلى العولمة، وذلك لأن هذا الارتفاع إنما هو بإزاء ارتفاع الدخل الفردي، وما ذلك إلاّ ضريبة من ضرائب التطور، وحاجة من حاجيات الدولة للنمو الصناعي والتقني، والتي تمثل بدورها حاجة الإنسان في تلك الدولة التي يعيش فيها.

هذا ولا يخفى: إن فواتير الغذاء مرتفعة أساساً في دول العولمة نفسها أيضاً وذلك من قبل مجيء العولمة.

وعليه: فإن الدعوة لأي وحدة اقتصادية، لا يمكن أن تقوم إلاّ إذا توازن الدخل القومي مع مستويات المعيشة والمصروف اليومي، فعدم التوازن المخل

بالحياة اليومية، والمشاكل الناجمة عنه، إنما ظهرت من الإعراض عن ذكر الله تعالى، ومن عدم تطبيق قوانين السماء في الاقتصاد، قال سبحانه: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً**﴾[1].

ولا بأس بالإشارة هنا إلى أن الشركات العملاقة متعددة الجنسيات ودول العولمة نفسها، تنسب ارتفاع الفواتير هذه إلى ارتفاع سعر النفط، المتعمد من قبل منظمة الأوبك، وقد حدث هذا الارتفاع لأول مرّة قبل ما يقرب من ثلاثين عاماً، وذلك عندما تمّ رفع سعر البرميل الواحد إلى ضعفين مرة واحدة، ولكن هذه النسبة غير صحيحة، فإن النفط الخام لا يباع اليوم بقيمته الواقعية بل هو دون ذلك بكثير مقابل التضخم الموجود، والارتفاع الملحوظ.

---

(١) سورة طه: ١٢٤.

العولمة الاقتصادية والخوف منها

مسألة: ليست العولمة الاقتصادية الغربية وتبعاتها السيئة أصبحت مخيفة للمسلمين فقط، بل حيث إنّ الطبيعة الماديّة البحتة، المنطوية عليها تيار العولمة الاقتصادية كثيرة المخاوف، أخذ الخوف منها يتسرب في أوساط المثقفين والمفكرين المستقبليين حتى من نفس أمريكا أيضاً.

ومن الواضح إن الظالم يصبح ضحيّة لطيشه على طول المدة، إذ لا شك في أن هذه القوّة بهذا الشكل تدمّر القيم الإنسانية، والمثل الأخلاقية، وتحيي الأنانيات والعداوات، وتؤدي إلى التنكر وهزيمة الذات أمام القوة التي يطلقها هذا التيّار.

وقد ظهر للعيان كيف أنّ هذا التيار المعارض أخذ ينمو حتى في داخل أمريكا وأوروبا واليابان، وهو يتربص بالعولمة الاقتصادية الغربية الفرصة المناسبة للقضاء عليها.

نعم في الحديث الشريف: «يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم»[1]، كما قرأنا ذلك في التاريخ البعيد، ورأيناه في العهد القريب.

ومما رأيناه في عصرنا القريب: تحطم الاتحاد السوفيتي وسقوطه مع أنها كانت دولة كبرى، وقوّة عظمى، وهذا هو نتيجة الظلم ومخالفة الفطرة الإنسانية.

ومما قرأناه في التاريخ البعيد: أنه كيف خسف الله بقارون وأمواله، وأغرق

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم: ٢٤١.

فرعون ورجاله؟ وكيف أن بني أُميّة أُبيدوا وقُتلوا؟ وكيف نُبشت قبورهم وأحرقت عظامهم وذري رمادها في الهواء؟ وكذلك يكون مصير الظالمين.

من تبعات العولمة الاقتصادية الغربية

مسألة: لقد أنتجت العولمة الغربية محيطاً خانقاً وبيئة ضاغطة، على إثر السياسات المتخذة والبرامج المفروضة من قبل ما يسمونه بمؤسسات العولمة الدولية، مثل المنظمة العالمية للتجارة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومؤسسات مالية دولية أخرى، كهيئة المعونة الأمريكية وغيرها مما أصبحت مسؤولية الدولة في البلدان الإسلامية مجرد التطبيق الحرفي لما تفرضه تلك المؤسسات، وتتطلبه الشركات متعددة الجنسيات حتى تستثمر في البلدان الإسلامية.

إن الدولة في بلدان العالم الثالث أصبحت تعمل اليوم مجرد إدارة للأزمة الاقتصادية، لأن إدارة الأزمة الاقتصادية في منطق الرأسمالية، يعني: تجنب تصاعد تراكم الفائض المتنامي للرأسمال غير المستثمر، أو ما يمكن استثماره لتوسعة النظام الإنتاجي، مما يكشف عن أن سياسات العولمة الاقتصادية: من تحرير التبادل التجاري، والتدفقات العالمية لرأس المال، والنسب العالية للفوائد، وتنامي الديون الخارجية، ليست إلا أموراً ابتكرها النظام الرأسمالي العالمي، لصيانة هذا النظام من الفشل حتى وإن كان ذلك على حساب البلدان النامية وحرمان شعوبها الفقيرة.

ولا بأس هنا بذكر أهم التبعات التي تحصل عليها البلدان الاسلامية من وراء العولمة كما ذكرها بعض الخبراء وهى كما يلي:

التبعة الأولى:

إن العولمة الغربية تغير ثقافة الاستهلاك وتبدل نمطها في البلدان الإسلامية إلى نمط الاستهلاك في البلدان الغربية، وإلى كثرة البذخ غير اللازم، وهو يؤدي إلى استنزاف الموارد المالية في البلدان الإسلامية، مضافاً إلى تزييف وجهة الطلب وخاصة عند الطبقات الغنية، التي تتميز عن غيرها من طبقات المجتمع بهوايتها لاقتناء كل ما هو مستورد، ورغبتها في جلب كل ما هو غالي الثمن، وهذه الصفة عند هذه الفئة الاجتماعية، شائعة بين الرجال والنساء، ورائجة بين الصغار والكبار، بلا فرق بين شراء آخر الأزياء من الملابس المصنوعة في الغرب، وبين اقتناء أحدث أنواع السيارات، وأجهزة الاتصال، وأجهزة الحاسوب، وأدوات التسلية، مضافاً إلى تزيين أركان المنزل وأرجاء البيت بالتحفيات الكمالية الغالية الثمن، واقتناء كل فرد من أفراد الأسرة سيارة وجهاز حاسوب وجهاز تلفزيون وهاتف وأجهزة تسلية أخرى من دون حاجة إليها وبلا أي مبرر.

التبعة الثانية:

إن العولمة الغربية تسبب تضاؤل أهمية النفط الإسلامي، كما نراه اليوم متضائلاً ويباع دون ثمنه الواقعي، ثم يسترجعون هذا القليل ثمناً للأسلحة التي تباع على المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً، مضافاً إلى محاولتهم اكتشاف بدائل للنفط بسبب التقدم العلمي والتطور الصناعي، وقد أشرنا إلى جوانب من البحث في كتاب (ماذا بعد النفط؟).

التبعة الثالثة:

إن العولمة الغربية تؤدي إلى ركود الصناعات التحويلية والتبديلية في البلدان الإسلامية، وذلك لاعتمادها على السياسات الحمائية لفترة طويلة من الزمن، فتفتقد بسببه القدرة على المنافسة.

التبعة الرابعة:

إن العولمة الغربية تنتج ارتفاع فاتورة الغذاء المستورد للبلدان الاسلامية، وذلك لتحرير تجارة المواد الغذائية من سياسات الدعم للصادرات في دول المركز.

التبعة الخامسة:

إن العولمة الغربية تسبّب تلوث البيئة في البلدان الإسلامية، وذلك بتصدير الصناعات الأكثر تلويثاً للبيئة من المركز إلى بلدان العالم الثالث، وبتصدير الصناعات الطالبة كثافة عالية في اليد العاملة مكان الكثافة العالية لرأس المال.

التبعة السادسة:

إن العولمة تسبب فقدان الترابط بين قطاعات الاقتصاد الوطني، وهو يؤدي إلى التخلف الاقتصادي في البلدان الإسلامية.

مثلاً: يصبح ارتباط قطاع الفحم الحجري في بلد ما بالمركز، أقوى من ارتباطه بقطاع النفط في نفس البلد، وهو نفسه يكون ارتباطه بالسوق العالمية للنفط بالمراكز أكثر من ارتباطه بقطاع الزراعة المحلي في البلد ذاته، وهكذا في غيرها.

التبعة السابعة:

إن العولمة تسبب في بعض البلدان الإسلامية كثرة البطالة وتزايدها، لأن تغيير ملكية وسائل الإنتاج إلى الملكية الخاصة على الطريقة الغربية، ينتج عدم توازن العرض والطلب، بازدياد الأول وقلة الثاني.

التبعة الثامنة:

إن العولمة تقلب قسما كبيراً من المنتجين المباشرين في البلدان الإسلامية إلى العامل المأجور وبعبارة واضحة تجعل دخلهم يعتمد على السوق فقط، من دون اتخاذ الإجراءات التأمينية العرفية، والاجتماعية القانونية، التي تضمن للفرد حقّاً مالياً في دخل ما، وذلك بغض النظر عن اعتبارات السوق وتقلباتها.

التبعة التاسعة:

من الواضح إن تزايد عدد السكان سريع في البلدان الإسلامية وذلك لتحريض نبي الإسلام ﷺ على كثرة التناسل والتوالد، وهو من أهم أسباب قوة الأمة الإسلامية، وقد أكد الإسلام أيضاً على الاهتمام بتربية الناشئة وتثقيفهم بالثقافة القرآنية الغنية، ولكنها مفقودة اليوم بين المسلمين فيلزم إرجاعها، وفي نظام العولمة الغربية يظل هذا الحجم الكبير من الكتل البشرية يعمل ويكدح، وينتج ويستهلك، لكن في ظل شروط رأسمالية كلاسيكية أو شبه كلاسيكية محروماً من المزايا الإسلامية التي أمر الإسلام بها لتضمين سعادته وترفيه عيشه.

التبعة العاشرة:

من المؤسف أن أنماط الإنتاج في البلدان الإسلامية المعاصرة لم تكن وفق الاقتصاد الإسلامي، وليس لها نمط موحد يعبّر عن الاقتصاد الذي جاء به القرآن الكريم والروايات الشريفة الذي هو أفضل اقتصاد عرفه العالم، حيث إنه يجمع بين النمو والازدهار وبين العدل والقسط، بل لها أنماط متعددة، مثل نمط الإنتاج الرأسمالي، ونمط الإنتاج ما قبل الرأسمالي ونمط الإنتاج غير الرأسمالي، وفي بعضها نمط الإنتاج شبه الاشتراكي، أو شبه الشيوعي، فإن العولمة الاقتصادية الغربية تهدف إلى تصفية كل أنماط الإنتاج غير الرأسمالية، وتصفية جميع شروطها، حتى يسود نمط الإنتاج الرأسمالي الغربي وحده، وتسود شروطه وحدها وإن كان على حساب الآخرين.

التسلل من نقاط الضعف

مسألة: يلزم معرفة نقاط ضعف المستعمرين، فمثلاً إن سيطرة أمريكا على العالم في نظامها الجديد، وموقعها القوي في الاقتصاد العالمي ليس مطلقاً، بل هناك نقاط ضعف يمكن التسلل منه ومواجهتها بحكمة، وذلك لأن الاقتصاد العالمي متعدد الأقطاب.

مثلاً: إن مجمل اقتصاد أوروبا الموحدة ـ على ما مر ـ أضخم من الاقتصاد الأمريكي، وشبه ذلك يكون اقتصاد منطقة شرق وجنوب شرق آسيا بصورة عامة، مضافاً الى أن مستقبل الاقتصاد الأمريكي غير مضمون، وذلك لأنه مازال يواجه مشاكل قاسية وصعبة قد تهدد نموه وازدهاره في المستقبل، ويمكن أن نعد من

جملة تلك المشاكل: العجز في الميزان التجاري، وخصوصاً بالنسبة الى بلدان شرق آسيا الفائق على مائة وستين مليار دولار في السنة.

وكذلك المعاناة من ديون دولية متراكمة تزيد الألف مليار دولار.

وهناك مشاكل أخرى عديدة تنذر سلامة الاقتصاد الامريكي بالخطر، ومن أهمها: تصادم النظام الرأسمالي الموجود في الغرب مع الفطرة السليمة، والعقلانية الانسانية، لأنها تسخّر الإنسان في خدمتها، بينما النظام الاقتصادي الإسلامي يسخّر كل شيء لخدمة الإنسان مع الحفاظ على الملكية الفردية.

إن العجز في الميزان التجاري الأمريكي، كان من أسباب نمو الاقتصاد الصيني وازدهاره، كما وأدى إلى توسع الاستثمارات الأجنبية في أمريكا من قبيل الصين واليابان، وقد غزت بضائعهما الأسواق الأمريكية، وكذلك أدى الى شراء اليابان كثيراً من المؤسسات الصناعية والاقتصادية والخدماتية، والعقارات وغيرها من قطاعات الاقتصاد الأمريكي، مضافاً إلى ما كان لليابان من مبالغ كبيرة تتألف من ملايين الدولارات على أمريكا، وديون خارجية أخرى يتجاوز مجموعها عن ألف مليار دولار، كانت أمريكا مدينة بها لدول أخرى إضافة إلى اليابان، وكل هذه المشاكل الاقتصادية الصعبة تشكل خطراً مستقبلياً على سلامة الاقتصاد الأمريكي، فإنه وإن كان لأمريكا إمكان تحمل هذه الديون الباهضة نظراً إلى إجمالي الناتج القومي الأمريكي، الذي يقرب من أربعة آلاف مليون دولار، إلا أن هذه الديون وتلك المشاكل الخانقة سوف تبقى عائقاً للنمو السريع والازدهار القريب.

ومن هذا وأمثاله يظهر أن السيطرة الأمريكية على النظام الجديد، وموقعها البارز في الاقتصاد العالمي ليست حتمية غير قابلة للنفوذ، فيمكن مقابلته بالأساليب الصحيحة.

أمريكا ومقاليد العولمة الجديدة

مسألة: يلزم أن تعي الأمة الإسلامية ما يدور حولها حتى لا تهجم عليها البوابس، ففي الحديث الشريف: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[١].

وفي هذا الزمان أضحت مقاليد أبواب العولمة وأدواتها الرئيسية بيد الغرب وأمريكا بالذات، وهذه الأدوات والمقاليد تتخذ وسيلة لبلوغ الأهداف، وحيث إن منطق الاستعمار: الهدف يبرر الوسيلة، فلا تورع عن أن تكون الوسيلة غير إنسانية ولا أخلاقية، ومن هذا المنطلق فإن الأدوات قد تكون عسكرية وسياسية تارة، واقتصادية وتقنية تارةً أخرى، وفكرية وثقافية ثالثة، بل وقد تكون عبارة عن مراكز البحث والتحقيق أحياناً، وربما مراكز الخدمات الاجتماعية، فإن معظم مراكز البحث تكون مركزة وموجهة إلى بحث الأفضل، واختيار الأمثل، في هذا الاتجاه، ولا يخفى ما لهذا من الآثار الكبيرة، والنتائج المهمة.

لكني مع ذلك أشكك في بقاء هذا النظام لمدة طويلة ولو نسبيا، وقد ذكرت هذا المعنى في كتاب أسميته: (الغرب يتغير) وذكرت فيه: بأن كل شيء يكون خلاف الفطرة والعقلانية لا ينتهي إلى نتيجة محمودة، وأن الخزي والزوال في انتظاره، رغم ما يكون له من جولة، كما في الحديث الشريف: «للحق دولة وللباطل جولة».

وقد ذكرت في كتاب سابق[٢] كتبته حول مصير الاتحاد السوفيتي ونظامه الشيوعي الاشتراكي الذي هو خلاف الفطرة والعقلانية وقلت فيه آنذاك: بأنه في

(١) الكافي: ج١ ص٢٦ كتاب العقل والجهل ح٢٩.

(٢) هو كتاب: (ماركس ينهزم).

طريقه إلى الخزي العاجل والسقوط القريب.

وكان كذلك، لأن الولادة كانت ولادة على خلاف الفطرة والعقلانية، وكلما كان الشيء كذلك فإن الموت المحتوم بانتظاره، وإن مصيره إلى الزوال، ولا يبقى منه إلا الذكر السيئ طوال التاريخ، كما بقي الذكر السيئ للحجاج والسفاح، ومعاوية ويزيد، وابن مرجانة وبني مروان، على طول التاريخ، وذلك منذ ألف وأربعمائة سنة وحتى هذا اليوم، وإلى ملايين الأعوام والسنين، وسينتهي مصيرهم في يوم القيامة إلى ﴿**نار الله الموقدة ۞ التي تطلع على الأفئدة**﴾[1] نعوذ بالله منها.

(١) سورة الهمزة: ٦-٧.

العولمة الغربية ليست قدراً محتوماً

مسألة: إن العولمة الغربية رغم طابعها الكوني وما توظّفه من طاقات وتوسعها المستمر، ليست قدراً محتوماً تُحدّد مصير العالم الثالث، أو مصير المسلمين فيما يجري سلفاً، بل إن هذا المصير مرتبط إلى حدّ كبير بما سنعمل نحن المسلمين، وكيف سنواجه التحديّات، ولا يفيدنا تجاهل ما يجري حولنا، أو الاكتفاء برفضه فقط، بل علينا أن نتمسك بالعولمة الإسلامية ومقوماتها ابتداءً من الإعلام وانتهاءً بالعمل الخارجي فنحافظ على قيمنا ومبادئنا ويمكننا هداية الآخرين إلى ذلك أيضاً.

مضافاً إلى أنه ليس الأمر في مستقبل العولمة رجماً بالغيب، ولا قدراً حتمياً لا نتمكن من تغييره أو زيادته أو نقيصته، فلابد من محاولة فهم واقع العولمة الراهن، ورصد اتجاهات تطورها المعاصر، لنستطيع بعد ذلك تتبع الاتجاهات الأكبر احتمالاً للتحكم في مستقبلها، وذلك بقدر جدّنا وجهدنا، وبقدر سعينا ومتابعتنا، لكنّ ذلك يحتاج إلى الوعي والإعلام في كيفية التعامل مع العولمة.

مثلاً المرأة المسلمة عليها أن تثقف نفسها وتتطور علمياً وعملياً وتصدياً مع المحافظة على كرامتها وعزها وشرفها فلا تتبع الأسلوب الغربي الذي نال من كرامتها. كما عليها أن تسعى في هداية المرأة الغربية إلى خيرها وصلاحها.

نعم السفر بوسائل النقل الحديثة، والاستضاءة بالمصباح الكهربائي، والاستفادة من الأجهزة الكهربائية وما أشبه ذلك، فلا بأس به - إلا إذا اقتضى الأمر في الإنقاذ إلى نبذها كما فعل غاندي بالبضائع الأجنبية، على ما ذكرناه في (الفقه: طريق النجاة) - لكن ذلك ليس هو معنى العولمة المطلقة، بل معنى ذلك

هو: الأخذ بقدر الاحتياج منها والاستفادة من صالحها ونبذ طالحها وفاسدها.

وأما بالنسبة إلى تناول ما هو محظور في ديننا مما يصاحب العولمة، فيجب علينا الامتناع منه، والإمساك عنه، ومناهضته بشكل يؤدي إلى هداية متناوليها إلى الصواب، وترك ما اعتادوا على تناوله من المضرّات.

وهكذا بالنسبة إلى المحرمات الأخلاقية والمفاسد الاجتماعية كالزنا واللواط والمساحقة والاستمناء ونوادي العراة وما أشبه مما تترتب على العولمة الغربية، فاللازم اجتنابها والسعي لإنقاذ الآخرين من مساوئها.

والخلاصة: إنه يجب علينا الأخذ بمحاسن العولمة المعاصرة إن كانت فيها محاسن، وترك بل ومناهضة ما هو سيئ فيها، ومن المعلوم: أن اكثر مكوّنات العولمة ارتباطاً بالبنية التكوينية لعالمنا المعاصر، هو: ذاك التقدّم المتسارع في تقوية المعلومات، التي شكلت برمّتها حجم التدفق الاستثماري للسوق المحلية، ومن الواضح: أن الإنسان إذا لم يشتر من السوق لا يكون للسوق محل في تلك البلاد، ومعه فلا يكون العالم رهينة في قبضة جماعة من كبار المضاربين والسياسيين الذين يتاجرون بالعملات والأوراق المالية، وبالسياسة الخاصة، حتى توجب اندراجنا تحت المظلة الغربية مثلاً.

ويلزم لتصدي مثل هذه الأمور: أن تتمتع بلادنا بالحرية السياسية والتعددية الحزبية والمؤسسات الدستورية وشورى الفقهاء المراجع واتخاذ سياسة السلم واللاعنف وما أشبه من مقومات التقدم والبناء.

العولمة ونجاة الغرب

مسألة: يجب السعي لنجاة الغرب من مساوئ العولمة الغربية التي سببت ضرر الإنسان الغربي أيضاً، فإن على الإنسان مسؤولية هداية أخيه الإنسان وإرشاده إلى الخير والصلاح وسعادة الدنيا والآخرة، علماً بأن الغرب ليس بأجمعه عدواً للإسلام والمسلمين بل هم أعداء لما زعموه من الإسلام، فإذا عرفوا حقيقة الإسلام وسماحته وشموليته ومطابقته للفطرة الإنسانية لأقبلوا عليه ودخلوا في دين الله أفواجاً، وقد ذكرنا في كتاب (كيف يمكن نجاة الغرب؟)[١]:

إن الغربيين أناس قابلون للهداية، فإنهم بشر والبشر بفطرته يحب الخير لنفسه ولغيره، ووجود ظواهر التعصب فيهم لا يدل على أنهم متعصبون..

ودليل عدم تعصبهم قبولهم للمسيحيّة، مع أن المسيح عليه السلام كان شرقياً وليس غربياً[٢]، فاللازم اهتمام المسلمين سواء في بلاد الغرب وما والاها أو في غيرها من سائر البلاد غير الإسلامية أن يدخلوهم في الإسلام وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، واللازم أن يكون هذا الاهتمام قربة إلى الله تعالى لإنقاذ البشرية من ويلاتها.

وقد كان تنحي الغرب عن المسيحية إلى المادية الغارقة في الظلمات بسبب إفراط الكنيسة ومحاكم التفتيش وما إلى ذلك في القرون الوسطى، والإفراط عادة ينتهي إلى التفريط وبالعكس، ولذا فإنه يسهل دخولهم في الإسلام، فإن الإسلام

---

(١) يقع الكتاب في ٤٨ صفحة من الحجم المتوسط، من اصدارات مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للتحقيق والنشر، بيروت لبنان عام ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) أي إنه عليه السلام كان من الشرق وإلاّ فهو من الأنبياء أولي العزم الذين بعثوا لجميع العالم.

بذاته ناجح لأنه دين الفطرة ولا يحتاج إلى مؤونة زائدة لإثبات حقانيته، وهذا من أهم ما يوجب هداية الغرب إلى الإسلام.

فاللازم الاهتمام الكافي لبيان أن الإسلام دين ودنيا، ويهتم بأمور الدنيا كما يهتم بالآخرة ويضمن سعادة كليهما، وان الذي لا يتبع الإسلام بكامله يبتلى بما أنذر به القرآن الحكيم: من خراب الدنيا ـ كما نشاهده الآن في أرقى حضارات الغرب[1] ـ وعذاب الآخرة كما في القرآن الحكيم، قال تعالى: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى**﴾[2].

وقد ذكرنا في كتاب (الغرب يتغيّر) تفصيلاً حول اضطراب المناهج الغربية الموجبة لاضطراب الإنسان الغربي بنفسه، فكيف بالإنسان المستعمر تحت نفوذه؟

فبيان كل ذلك من ناحية، وبيان المنهج الإسلامي الصحيح من ناحية أخرى يوجب توسيع دائرة الإسلام وكثرة الإقبال عليه.

---

(١) فهناك مشاكل كثيرة من الفساد الأخلاقي والعنف والجرائم والإيدز والمخدرات وما أشبه، فمثلاً:
أكثر من ٢١٠ آلاف أمريكي قتلوا في حوادث عنف داخلية خلال العقد الأخير، بينما هناك ١٧ مليون مواطن كانوا ضحية لجرائم العنف في الفترة ذاتها.
والإحصاءات تدل على تزايد العنف بين الشباب وفي المناطق الفقيرة وقد جاء في تقرير أن ١٣٥ ألف مسدس تجلب إلى المدارس الأمريكية كل يوم، وأن ٢و٤ مليون طالب مدرسة يسرق منه شيء، بينما ٢٨٢ ألفاً منهم يتعرض للاعتداء الجسدي كل شهر، كما يتعرض ٥٢٠٠ مدرس للضرب في الشهر أيضاً، وألف منهم يحتاجون إلى العلاج الطبي، و٤٠٪ من الجرائم المرتبطة بالقتل تتصل بالمخدرات.
بالإضافة إلى أن التفكك الأسري والاجتماعي من أهم عوامل العنف هناك وكذلك مشاهدة العنف في وسائل الإعلام، فإنه مع نهاية المرحلة الابتدائية يكون الصبية الأمريكيون قد شهدوا حوالي ٨ آلاف من مشاهد القتل وما يزيد على مائة ألف من أعمال العنف الأخرى حيث ان الأطفال الأمريكيين يقضون من الوقت في مشاهدة التلفزيون سنوياً أكثر من وقت حضورهم للمدرسة.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

الغرب نحو التغيير

لعل ظواهر الأحداث تدل على أن الغرب أعم من أمريكا وأوروبا، في حال تغير سريع، ربما لا تمر عشر سنوات إلا ويحصل التغيير.

وأمام الغرب تغيران:

الأول: التغير نحو الإسلام، وذلك إذا أحسن المسلمون التصرف وتمكنوا من تعريف الإسلام إلى الغرب بالكيفية التي طبقها رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: التغير نحو الإصلاح النسبي، ومن الطبيعي أن يكون الإصلاح لصالح الإسلام أيضاً، فإن كل إصلاح وخير قد أمر به الإسلام.

وعقلاء الغرب منزعجون جداً من السلبيات التي أدت إليها الحضارة الغربية، وهم يفكرون في العلاج الجدي لها، ومن مظاهر تلك السلبيات أمور:

الأول: الفراغ الروحي، فإن المادة لا تملأ الروح، كما أن الكنيسة الخاوية عن المعنويات اللازمة لا تتمكن من أن تسد هذا الفراغ الحاصل، وقد قالوا: فاقد الشيء لا يعطيه.

الثاني: الفوضى في أمور الجنس، فإن ذلك يوجب انزعاجاً للأعزب والمعيل، وللمتدين وغير المتدين، حيث يحرم الإنسان من دفء العائلة ويصرفه عن تربية الأجيال الصالحة، مضافاً إلى ما يسببه من الأمراض الجسدية والنفسية كالقلق والكآبة وما إلى ذلك.

ومن المعلوم أن قانوناً يبيح السفور والبغاء واللواط والأخلاء والخليلات يوجب سقوط كرامة المرأة، وخروج الأسرة عن الدفء والحرارة الزوجية

والعائلية إلى البرودة وجعل العوانس بالملايين[1] . .

الثالث: التضخم والروتين الإداري على حساب حرمان الناس، فإن كل موظف يقلل من حريات الناس بقدره، نعم بعض الموظفين ممن يحتاج إليهم، ولكن البعض الآخر وهم الأكثر الأكثر في نظام الغرب الحالي، يوجب خنق الحياة، فزيادة الموظفين إلى حيث واحد لكل خمسة عشر، توجب كبت الحريات وإهدار الأموال والأوقات، وكثرة الرشاوى وتأخير العمران كما هو واضح، ومن هنا تريد الشعوب التخلص من هذا التضخم إلى المقدار الضروري فحسب.

الرابع: انعدام الصحة وتفشي الأمراض بصورة مدهشة، مما لم يكن له نظير في تاريخ العالم الإنساني، ولا شك أن هذه الأمراض هي وليدة الحضارة المنحرفة، ولا فرق في انعدام الصحة الجسدية والنفسية، مما هي نتيجة القلق

---

(١) ففي بعض الإحصاءات: إن ألف طفل يستغلون جنسياً في ألمانيا سنوياً، ومليون طفل في العالم يمارسون الدعارة حالياً.

ويقول تقرير صادر عن الأمم المتحدة: إن ٤ ملايين شخص يتم تهريبهم في كل سنة من بلادهم، وان هؤلاء يرغمون سواء عن طريق الخديعة أو العنف، على ممارسة كل أنواع الخدمات وان من بين هؤلاء حوالي ٥٠٠ ألف امرأة يتم تهريبهن إلى أوروبا الغربية وحدها سنويا.

وأما الإيدز فداء العصر، وهو يعد أخطر عدوى فيروسية في تاريخ البشرية قاطبة، حيث يصيب هذا المرض الفتاك حالياً ما لا يقل عن ٣٠ مليون شخص عبر العالم، أبرزهم في دول أفريقيا السوداء والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وآسيا.

وفي استفتاء شمل ٥٠٠ امرأة بريطانية تبيّن أن نصف البريطانيات اعترفن بعلاقات مع الرجال خارج حياتهن الزوجية، وغالبيتهن كشفن أنهن غير نادمات على ذلك!، الاستفتاء الذي أعلن عنه في حفلة توزيع جوائز (امرأة العالم) في لندن شمل نساء يمارسن السياسة والصحافة والرياضة والتجارة والإدارة والطب والمحاماة والمقاولة والجمعيات الخيرية، وكشف الاستفتاء أن ٤٢٪ اعترفن بالزنا وأعمارهن بين ٥١ و ٦٤ سنة، و ٣٩٪ مطلقات، و٦٠٪ لديهن أولاد، الثلثان منهن اعترفن بأنهن لسن أمهات جيدات لأسباب عدة منها: غياب الوقت الكافي للجلوس مع العائلة، والأنانية، والتعب في العمل الذي ينعكس سلبا على البيت، وفقدان الوقت لبحث قضايا مهمة مع الأزواج.

والجشع وحب السيطرة، وما أشبه.

الخامس: الاستعمار، حيث له ضرران:

ألف: إنه مخالف للفطرة، فإن الإنسان السليم النفس ـ وهم أغلبية الناس حيث ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾[1] ـ لا يرضى بأن يستعمر غيره مهما كان المبرر، ولذا نرى شعوب تلك البلاد ـ على الأغلب الأغلب ـ ضد استعمار حكوماتهم لبلاد العالم الثالث وغيرها.

ب: إن الحكام لا يمكنهم عادة المحافظة على طبيعتين مختلفتين: طبيعة الاستيلاء في الخارج، وطبيعة الأخوة والخدمة الإنسانية في الداخل، ولذا سرى استعمارهم الخارجي إلى استعمارهم لداخل بلادهم بنسبة أو أخرى، وهذا مما لا ترضى به شعوبهم.

السادس: الغرور الذي أوجب لبعض الغربيين أن يخطط لتحطيم الإنسان الذي لا يكون من عرقه وقومه ودينه وجنسه ووطنه، بينما المعيار في الإسلام هو الإنسان بما هو إنسان، وقد أراد الإسلام الارتفاع والتعالي ومكارم الأخلاق لجميع الناس.

لذا أخذ علماء الغرب يفكرون في نجاة البشر من هذه المآسي.

إن تغيير الغرب نحو الأفضل يمكن عبر العولمة الإسلامية والتعرف على المناهج الفطرية السليمة التي جاء بها الإسلام وبينها رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ.

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

المنظمة العالمية الإسلامية

ومن الضروري أيضاً لنجاة الغرب تشكيل منظمة عالمية إسلامية تختص بهذا الأمر، فان الفرد بمفرده لا يتمكن من الوصول إلى الهدف المطلوب، والحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وإن كانت كثيرة لكنها لا ترتبط بعضها ببعض.

وهذه المنظمة العالمية الإسلامية إذا أرادت نجاة الغرب فهي بحاجة إلى أمور كثيرة، من أهمها: اللاعنف، فإن من الضروري على الحركة العالمية التي تريد نجاة الغرب، سلوك طريق اللاعنف.

قال سبحانه: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾[1]، فإنه وإن كان ظاهراً في المسلمين، إلاّ أن العلّة عامة، فتشمل حتى غير المسلمين بعدم ممارسة العنف معهم وذلك في طريق الهداية والتبليغ.

وأما قوله تعالى: ﴿**أشداء على الكفار**﴾[2] يراد به في حال الحرب وما أشبه، وإلاّ فالنبي ﷺ لم يكن عنيفاً حتى مع غير المسلمين أيضاً في الحالات العادية، كما يدل على ذلك سيرته العطرة وسيرة الأئمة المعصومين ﷺ.

واللازم في نجاة الغرب عدم محاربة الكنائس وإن حاربت الحركة، وذلك لعدم الانشغال بالجزئيات فان المهم الوصول إلى النتائج المرضية لا ما هو حقي وما هو حقك في الأمور العادية كما في مقام التخاصم.

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

وحركة اللاعنف وإن كانت صعبةً جداً على النفس لكنها مثمرة جداً في الوصول إلى الهدف وهو نجاة الغرب، والعاقل يقدّم الصعوبة على الفشل والأهم والمهم.

واللاعنف ليس في بعد السلاح فقط، بل يشمل حتى الكلمة والنظرة والإهانة وغيرها، كما يشمل وسائل الإعلام كالصحف والمجلات وما أشبه، فيجب أن تكون عفيفة غير عنيفة وإن عمل الطرف بأشد العنف، قال تعالى: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ۝ وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلّقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾**[1].

---

(١) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

الخدمات الإنسانية

من أهم ما يلزم على الحركة التي تريد نجاة الغرب: تقديم الخدمات الإنسانية للغربيين، بأن يهتم المسلمون بخدمة الإنسان بما هو إنسان، مؤمناً أو غير مؤمن، مسالماً أو غير مسالم..

فان الخدمة أهم ما يقرب القلوب ويخضع الأرواح.

سواء كانت خدمات صحيّة، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية كفتح المصارف وصناديق الإقراض الخيري وإيجاد فرص العمل للعاطلين، أو تزويج الشباب والفتيات، أو إنعاش الفقراء، أو غير ذلك مما هو كثير..

وقد ورد في الحديث: إن رسول الله ﷺ أعطى الماء لكفار بدر[١]، كما أعطى لأهل مكة المال الكثير في حال محاربتهم له[٢].

كما أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أعطى الماء لمعاوية وأصحابه وهو في محاربته[٣].

والإمام الحسين عليه السلام أعطى الماء للذين جاءوا لقتاله[٤] وأخيراً قتلوه.

إلى غير ذلك من القصص الواردة بهذا الشأن.

وهذا هو شأن الله سبحانه وأنبيائه وأوليائه مع أعدائهم، وقد ورد في

(١) راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج١ ص٢١٠ للإمام المؤلف (قدس سره الشريف).

(٢) راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج٢ ص١١٤.

(٣) وذلك في حرب صفين، راجع بحار الأنوار ج٤١ ص١٤٦، وكتاب (الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام) ص١١، للإمام المؤلف.

(٤) حيث أعطى عليه السلام الماء للحر بن يزيد الرياحي وجنده، حتى رشفوا الخيل ترشيفا، وذلك قبل نزولهم بكربلاء، راجع تاريخ الطبري ج٤ ص٢٩٦.

الحديث: «تخلقّوا بأخلاق الله»[1].

واللازم في ذلك ملاحظة جميع الجوانب حتى لا يكون إفراط من جهة ولاتفريط من جهة أخرى.

وقد يزعم زاعم أن الغرب اكتفى من هذه الجهة الخدماتية، فهو لا يحتاج إلى خدماتنا، ولكن بعد دراسة الغرب نرى كثرة احتياجاته إلى بعض الخدمات الإنسانية.. فالإنسان هو الإنسان سواء كان في الغرب أو الشرق، حوله حشد من الحاجات، وتحيط به المشاكل مهما كان مرفهاً ومنعّماً.

كما أن الإنسان بشكل عام يحب المخدوم الذي ينفعه ويخدمه مهما كان بينه وبين المخدوم بون أو شحناء، قال الإمام علي عليه السلام: «الإنسان عبد الإحسان»[2].

وقال عليه السلام: «الإحسان يستعبد الإنسان»[3].

وقال عليه السلام: «إنهم - أي الناس - صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[4].

وقال صلى الله عليه وآله: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[5].

فإن مثل هذه الخدمات تقرب غير المؤمنين إلى الإيمان، وغير الصالحين إلى الصلاح، والله سبحانه المسدّد المستعان.

---

(١) بحار الأنوار ج٥٨ ص١٢٩ ب٤٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٨٥ ق٥ ب٤ ف٢ ح٨٧٧١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٨٥ ق٥ ب٤ ف٢ ح٨٧٧٢.

(٤) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى الأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٨١ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٨٢٦. وص٤١٩ ح٥٩١٧.



فصل: الاستنتاجات

الاستنتاجات

وأخيراً يمكن تلخيص ما ذكر بشكل موجز المسائل التالية:

المسألة الأولى

مسألة: إن العولمة الغربية بهذا الشكل لا تكون بصالح البشر حقيقة، حيث لم يكن الإنسان بما هو إنسان المحور فيها، نعم العولمة الإسلامية هي التي تكون بصالحه تماماً حيث إنها تتميز بميزة تقديم حقوق الإنسان عليها وجعلها المؤشر الرئيسي لتوجيه مسار العولمة، فإنها وحدها التي تجمع بين النمو والازدهار، والعدل والأخلاق.

ولا يخفى أن اخطر ما يواجه البشرية في مجال العولمة هو تجريد العولمة من المعنويات، والنظر إليها بعين واحدة، على أنها عولمة اقتصادية لكسب الأرباح المادية فقط دون بعدها المعنوي والإنساني.

ففي بعض التقارير: أن ثروة ثلاثة أغنياء أمريكيين تعادل أو تزيد ثروات ٤٨ دولة من دول العالم الفقيرة، وأن ٢٥٥ ثرياً في العالم يمتلكون ألف مليار دولار، وأن ٤٨ شخصاً أمريكياً تزيد ثروتهم على ثروة الصين التي يصل عدد سكانها إلى ١,٣ مليار نسمة، وأن أربعين مليار دولار فقط ـ أي ما يوازي ٤٪ من ثروات الـ ٢٢٥ شخصاً ـ كافية لكي تؤمن لكل سكان المعمورة الخدمات الاجتماعية الأساسية التي يحتاجون إليها، أي الغذاء والصحة والمياه والتعليم.

وعليه: فلا يمكن قبول فكرة هيمنة الأسواق بصورة مطلقة على عملية العولمة، ليكون الربح وحده هو أساسها في غياب من الاعتبارات الإنسانية وحقوق الإنسان وكرامته.

وكذلك لا يمكن أيضاً قبول فكرة استخدام علاقات القوة السياسية لفتح الأسواق العالمية قسراً وغزوها قهراً من دون مراعاة القوانين الإنسانية الإسلامية كقانون لا ضرر وما أشبه.

مثلاً: نرى المستعمرين من الغربيين يدعمون الزراعة في بلادهم وبشكل جامع وصورة تامة، ولكنهم لا يترددون في تحطيم زراعة الدول الأخرى وتدميرها بالكامل، وذلك من خلال ضغط السوق المفتوحة وغيره، مما يزيد من تبعية هذه الدول، ويؤثر بالتالي على حقوق هذه الشعوب، ويزيد في معاناتها من الفقر والحرمان، والجهل والأمية.

المسألة الثانية

مسألة: إن تجاهل آليات السوق أو القفز فوقها ليس بصحيح وغير ممكن، إذ تصور أن قوى السوق أو العلم والتقنيات هي التي ستوفّر لنا بطبيعتها التوازنات التي لا نستطيع نحن من تحقيقها، تصور غير صائب، وذلك لأن السوق والعلم والتقنيات وإن كان لها وبكل تأكيد قوة عظيمة وتأثيرات كبيرة لا يمكن إنكارها، إلا أن علينا أن نعرف أنها مجرد أدوات، وأنها فقط وسيلة وليست غاية وهدفاً في حد ذاتها، كما أصبح النظر إليها الآن كذلك، وذلك بعد أن فرضها أصحابها بقسر على المجتمعات البشرية، وتسببت في خلق مشاكل عاتية، وأزمات قاسية، لا يعرف أحد لها مخرجاً ولا منجى منها إلى هذا اليوم، وهي كثيرة نشير إلى بعض منها:

الهوة الطبقية التي تتجذر يوماً بعد يوم بين الأغنياء والفقراء على مستوى المجتمعات والدول.

الحروب الدامية من أجل التحكم في مصائر الشعوب، ومصادر الطاقة، ومياه الشرب الشحيحة.

فقدان ثقافة التعددية الداعية للتفاهم والتقارب، وتشجيع حس الأنانية المؤدية إلى التشتت والتفرق.

المنظمات الإرهابية وعصابات المافيا، والربط بين تجارة المخدرات، وظاهرة العنف والإرهاب وما إلى ذلك.

المسألة الثالثة

مسألة: إن العالم اليوم أصبح بحاجة ملحّة إلى مشروع عالمي تلتقي عنده شعوب الأرض وتجتمع عليه، مشروع يوحّد كل هذه الشعوب، ويسمح لها في نفس الوقت بالتمايز الذي يحفظ عبره الهوية وأصالة كل شعب لنفسه.

وينبغي لهذا المشروع أن يقوم على أساس المساواة ومن دون أي تبعيض، حتى يستطيع أن يبلغ هدفه الأساسي الذي هو تحقيق السلام والتقدم للبشرية كلها، وتوفير إدارة جيدة لشؤونها المشتركة جميعها.

هذا ويعتقد البعض أنه ليس هناك مبادئ أساسية يمكن أن يرتكز عليها هذا المشروع، أفضل من المبادئ التي ارتكز عليها قيام الأمم المتحدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وذلك عندما كانت مخاطر الحرب قائمة في الأذهان وماثلة أمام العالم، ويقصد أولئك البعض بتلك المبادئ: ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ويقول: بأنه ما أحوجنا اليوم للتمسك بتلك المبادئ الواردة في هذه المعاهدات والمواثيق، والإخلاص لها والإذعان بها من جديد حتى

نستطيع من إنقاذ عالمنا.

ولكن غفل هذا البعض عن أن النظام الأفضل، الذي يمكن أن يتركز عليه هذا المشروع، والذي أخذ من نوره أيضاً ميثاق الأمم المتحدة هو: ما جاء به الإسلام العظيم، وبلّغ له الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام، فإنه النظام الشامل والكامل، الذي يستطيع أن يلبي حاجيات الإنسان، ويحترم حقوقه المشروعة، وينشر العدل والقسط في العالم.

كما إن منظمة الأمم المتحدة وكذلك آلياتها وأدواتها، هي اليوم بحاجة إلى إصلاح جذري، ليستطيع من مواجهة العالم المتغير الجديد، فلم يعد شكلها الهرمي القديم، الذي قامت عليه الأمم المتحدة، والذي كان يعتمد على تركيز كل السلطات صاحبة القرار في مجلس الأمن، يصلح اليوم لعالم شديد التمسك بالمباشرة في اتخاذ القرار، أو على الأقل بالمشاركة، فقد أصبح من الضروري اليوم أن تتخذ القرارات قريباً من القاعدة، حتى تكون أقرب إلى الواقع، وأجدر بالتطبيق في الخارج، فإنه كم من قرارات اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة وبقيت مجرد حبر على ورق! وكم عجز مجلس الأمن صاحب السلطة العليا عن اتخاذ مجرد قرار لمواجهة أكبر الكوارث وأعظم الحوادث؟.

مصير العولمتين: الشرقية والغربية

مسألة: إن المسلمين كما رفضوا العولمة الشرقية الشيوعية، وحاربوها حتى أسقطت، كذلك اليوم هم بالنسبة إلى العولمة الغربية الرأسمالية، فإن في نظرهم بل نظر كل أصحاب العقول السليمة والوجدان الحر، وجميع ذوي الضمائر الحية، أن العولمة الغربية الرأسمالية بهذا الشكل الموجود هي كالعولمة الشرقية الشيوعية في أنها لم تؤسّس على أسس عقلية ومنطقية، ولا على قواعد إنسانية وأخلاقية، وكلما كان شيء كذلك لم يكتب له البقاء والخلود، وإنما يسجّل لنفسه الزوال والسقوط، كما سجلت العولمة الشرقية الشيوعية لنفسها ذلك بعد أن فسدت وأفسدت كل شيء ثم زالت إلى غير رجعة.

وكذلك سوف يكون وعن قريب مصير العولمة الغربية الرأسمالية، حيث إنها لم تكن مبنيّة على أُسس إنسانية أخلاقية، ولا على قواعد منطقية عقلانية، وإنّما على أُسس مادية جافة، وقواعد اقتصادية بحتة، لاتعرف للمُثل قيمة، ولا للقيم قدراً، ولا تعير للإنسانية وزناً، ولا للأخلاق وقراً، ولذلك فسدت وأفسدت.

فإنّه كلما يكون السباق والتنافس بين الإنسان والإنسان من أجل الغلبة والسيطرة، ومن أجل الثروة ومصادر الطاقة، ومن أجل التسويق والأرباح، لا يكون هذا السباق سباقاً إنسانياً، ولا ذلك التنافس تنافساً عادلاً وبنّاءً، وكلما كان الشيء كذلك كان مهدداً بالفناء والزوال، لأنّه يحمل في جنباته وبين طياته عوامل الفناء والزوال، فتساهم هذه العوامل يوماً على أفول نجم أوروبا، وسقوط قوة أمريكا على السواء، مثل ما ساهمت تلك العوامل في القضاء على بنية الاتحاد

السوفيتي، وسقوط المعسكر الشيوعي، واندراس آثارها ومعالمها.

والأمر الذي يبقى هو الإسلام، الذي يجمع بين النمو والازدهار، والعدل والأخلاق، وسعادة الدنيا والآخرة، ويدعو للسباق إلى الفضيلة والتقوى، والتنافس على كل ما يكسب الثواب والجنة من عمل الخير والإحسان، والسماحة والسخاء، والجود والكرم، ولذلك صرّح بعض المحققين من علماء الغرب الأوروبيين والأمريكيين في كتبهم: بأنه سوف لا يمر علينا سوى فترة غير طويلة حتى يحكم الإسلام العالم كله، وينشر عليه رحمته وعدله، وخيره وبركاته، وقد أخبر بذلك القرآن الحكيم من قبل وذلك حيث قال سبحانه: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون**﴾[1].

(١) سورة التوبة: ٣٣. سورة الصف: ٩.

العولمة بين مفترق الطرق

مسألة: إننا في الواقع الخارجي اليوم أمام مفترق طرق، فإما أن تكون العولمة المطروحة على الساحة العالمية هي الإنقاذ الحقيقي للبشرية وذلك بأن نأخذ بعدها الإنساني والمعنوي فتكون بالفعل لصالح البشرية، وهذا لا يتحقق إلاّ في ظل العولمة الإسلامية الحكيمة، التي تجمع بين العدل والأخلاق والنمو والازدهار.

وأما أن تتجرد العولمة من هذا البعد الإنساني والمعنوي، وتستمر هيمنة الأسواق وسياسة الربح وحدها وتبقى هي المحرك الوحيد للعولمة، فتصبح العولمة بذلك مرحلة جديدة من مراحل الهيمنة والاستعمار الجديد كما عليه العولمة الغربية اليوم.

وعليه: فإن التغيير ممكن لصالح البعد الإنساني عبر العولمة الإسلامية، مضافاً إلى أن العولمة ليست قدراً تتحكم فيه دولة واحدة، أو يستبد به عدد قليل من الدول، وإنما للجميع المشاركة فيه، والعمل على تهذيبه وتعديله، وهذا الإسلام الحكيم، وكتابه السماوي، ودستوره الخالد، وعولمته الحكيمة التي تضمن سعادة الدنيا والآخرة، خير عولمة تستطيع قيادة الشعوب إلى ساحل الأمن والأمان، وشاطئ السعادة والسلام، فإلى العمل جميعاً من أجل تطبيقها وتعميمها إن شاء الله تعالى.

خاتمة

كانت هذه نماذج من المسائل الشرعية في العولمة الاقتصادية، والسياسية، والمدنية، والاجتماعية، والثقافية التي جاء بها الإسلام، وهي كما عرفت صريحة في تمحورها حول احترام حقوق الإنسان وإكرامه، وتبجيله وإعزازه، وتسخير كل شيء في الكون له، وصبّها في صالحه وصلاحه، والتي تجمع كل مقومات السعادة والهناء له، وتشمل جميع مؤهلات الرقي والتقدم لحياته، وبكلمة واحدة: إنهما تجمع بين النمو والازدهار، والعدل والأخلاق فينبغي للجميع، وخاصة أصحاب الخبرات والثقافات العالية العمل من أجل تطبيق ما جاء به الإسلام ليسعد الجميع ويهنأ بالحياة والعولمة الصحيحة إن شاء الله تعالى.

وهذا آخر ما أردنا بيانه في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

الفهرس

التراث الحضاري للمرجع الديني الأعلى الإمام المظلوم الشيرازي قدس سره

Alshirazi.com

موقع المعصومين الأربعة عشر عليهم الصلاة والسلام

14masom.com

الوكالة الشيعية للأنباء

Ebaa.net



هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

بيروت - الكويت

المؤسسات التابعة للهيئة



مجلة المنبر
فكرية ثقافية شهرية



مركز نور محمد
صلى الله عليه وآله وسلم